كركوك و توابعها
حكم التأريخ و الضمير

دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

E-Pirtûk
www.kurdme.com
www.all-kurd.com
www.kurdefrin.com

الأهداء الى كل عربي يرفض أن يكون ظالما بقدر ما يرفض أن يكون مظلوما

نبذة تأريخية

من الثابت تأريخيا ان مدينة كركوك تم بناؤها من قبل اللولويين، أو من قبل الخوريين، وهما شعبان أديا دورا اساسيا في تكون الشعب الكردي الحالي، كما انهما أقدم شعبين معروفين سكنا كردستان تربطهما صلات حضارية و لغوية قوية. ورد اسم اللولويين، الذين سكنوا سهليمى شهرزور وزهاو مع امتداداتهما، ورد واضحا في الكتابات القديمة التي تعود الى آلاف الثالث قبل الميلاد. وكما نلاحظ لاحقا ان كركوك دخلت ضمن إيالة شهرزور إداريا ردحا من الزمن، أي ضمن الوطن الاصلي للولويين، كما ارتبطت بها سياسيا طيلة التأريخ القديم و الوسيط و الحديث.

ومما يعزز احتمال كون اللولويين بناة مدينة كركوك الاولين هو ان اسمهما لم يرد في الكتابات السومريةو الأكدية ضمن أسماء المدن التي قام ملوك سومر و أكد بتشييدها، اذ كان كل ملك من هؤلاء الملوك يسجل عادة اسم اي مدينة تؤسس في عهده، وبأمره. بل تتوفر نصوص سومرية تؤكد صراحة ان السوباريين وهم ايضا من شعوب كردستان الاصليين عاصروا اللولويين و ادوا دورا مشابها لدورهم في تكوين الكرد

الحاليين، كانوا يعيشون خارج بلاد سومر[1]. من الضروري ان نشير هنا الى ان معظم المدن القديمة الشمالية التي نمتد الى الشرق من نهر دجلة قد تم تشييدها من قبل شعوب المنطقة الاصليين، أي من قبل شعوبا زاگروس، او من قبل الشعوب الارية، بينما كانت الشعوب السامية تبني مدنها عادة غربي دجلة و امتداداتها، اذ أراد حكام تلك الشعوب ان يكون النهر الكبير احد ادوات صد هجمات شعوب زاگروس والشعوب الآرية.

وردت اشارات صريحة الى مدينة كركوك الحالية في النصوص المسمارية التي تعود الى العهد الأكدي، مما يفترض تأريخيا ان يكونت اللولويين هم بناة المدينة. و من الثابت تأريخيا ان الخوريين هم الذين كانوا يقطنون كركوك و توابعها في الألفين الثاني و الأول قبل الميلاد، و يومذاك كانت كركوك نفسها تعرف باسمين –ارابخا و اليلاني، أي مدين الالهية. و الخوريون يؤلفون شعبا " انحذر منذ نهاية الالف الثالث قبل الميلاد من الجبال الشمالية، ولعب دورا مهما في تأريخ الشرق الأدنى و سياسته و ثقافته في الألف الثاني قبل الميلاد"[2]. ومما له مغزاه بهذا

---

[1] حول ذلك ينظر: الدكتور فوزي رشيد، سكان جبال زاگروس و كردستان القدماء، في كتاب "تأريخ الكرد القديم" (تأليف مشترك مع الدكتور جمال رشيد)، من منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. جامعة صلاح الدين، 1990، ص 41، و للتفصيل عن الخوريين و السوباريين و علاقاتهما ينظر:
I.Gelb, Hurrians and Subarians, Chicago, 1944.

[2] جان بوتيرو، بلاد الرافدين، الكتابة، العقل، الالهة، ترجمة البير أبونا، مراجعة الدكتور وليد الجادر، بغداد، 1990، ص 89.

الصدد ان اعمال بعثة التنقيب الدانماركية في دوكان، ولا سيما في تل شمشاره الواقعة في الجهة الشمالية الغربية من هضبة دوكان، قرب مضيق دوكمان تحديدا، اسفرت عن اكتشاف آثار خورية يعود زمنها الى الالف الثاني قبل الميلاد، من بينها حوض آجره من النوع المستخدم في نوزي[3]. و نوزي هو الاسم الذي أطلقه الخوريون انفسهم على مدينة كركوك[4]، التي اكتشفت فيها لوحات مدونة باللغة الأكدية، تتضمن معلومات تأريخية مهمة عن الخوريين، وعن حياتهم الاجتماعية و الاقتصادية[5]. وقد وجدت هذه الآثار بالتحديد في تل يورغان تيه التي تبعد عن كركوك الحالية مسافة ثلاثة عشر كيلومترا، والذي اتخذ مقبرة فيما بعد[6]، وتقدر بعض المصادر عدد الالواح المكتشفة هنا بأكثر

---

[3] البروفيسور هارولد اينفلوت، بعثة التنقيب الدانماركية في دوكان، 6- "سومر" (مجلة)، بغداد، الجزء الاول والثاني، المجلد الثالث عشر، 1957، ص 197- 198.

[4] G. Wilhelm, Grundzuge Der Geschichte und Kultur Der Hurriter Darmstadt, 1982, P. 10.

[5] Seton Lioyd, Twin Rivers, Oxford, 1943, P. 46 "Sovetskaya Istorcheskaya Encyclopedia", Vol. 7. Moscow, 1965, P. 289.

[6] Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 6, Moscow, 1965, pp. 178-179.

من خمسة الاف[7]، مما يؤشر عمقا حضاريا كبيرا حسب مقاييس عصره دون شك.

ومما له مغزاه ايضا ان الخوريين، الذين حكموا بلاد اشور على مدى قرن من الزمان، هم الذين شيدوا، دون ريب، عددا من توابع كركوك اهمها طوزخورماتو التي تحمل اسمهم حتى اليوم. فان اسم المدينة الأصلي هو خورماتو، المشتق مبنى من كلمتي خور، أي الخوريين، وماتو التي تعني المدينة في الأكدية، فيكون معنى الاسم مدينة الخوريين. و ظل خورماتو متداولا في العصور الاسلامية[8]. ولغاية اواخر القرن التاسع عشر دون ان يفقه الناس معناه الأصلي، وقد ظنوا خطأ ان الاسم يشير الى خورما (التمر) و تو (التوت) اللذين اشتهرت منطقة طوزخورماتو بانتاجهما يومذاك، فلقد اشار الرحالة الى وجود اشجارهما هناك بكثرة[9]. وخورما وتو كلمتان متداولتان في اللغة الكردية منذ قديم الزمان. فالاول منهما من الكلمات الشائعة في اللغات الارية القديمة، اذ وردت بصيغ متقاربة في البهولية والبازند (تفسير الافيستا) و

---

[7] سيتون لوريد، بلاد الرافدين، ترجمة الدكتور سامي سعيد الأحمد، دار الرشيد، بغداد، 1980، ص 206.

[8] "التأريخ الغياثي"، دراسة و تحقيق طارق نافع الحمداني، بغداد،/ 1975، ص 90.

[9] C. J. Rich, Narrative of a Residence in Koordistan.., Vol. 1, London, 1836, PP. 26-27.

الارمنية وغيرها[10]. وكلمة تو بمعنى (التوت) دخلت اللغات نفسها، بما فيها الكردية، منذ أقدم الأزمنة عن طريق الارامية و السريانية[11]. و أخيرا أضاف أهل المدينة، عن جهل كذلك، اسم منتوج آخر اشتهرت في منطقتهم ايضا، وهو (دوز) الذي يعني الملح في التركية، الى اسمها ليصبح دوزخورماتو الذي تحول في التداول الى طوزخورماتو.

وبقي الاسم متداولا بصيغته الاولى، أي خورماتو، حتى مطلع القرن التاسع عشر، فقد سجل الرحالة الانكليزي جيمس بكنغهام في العام 1816 الاسم هكذا[12]، وكما ورد لدى المنشيء البغدادي في العام 1820 بصيغة مقاربة[13].

و من المفيد ان نشير هنا الى ان اسماء العديد من المواقع الخورية وغيرها في كردستان لاتزال تحتفظ حتى اليوم بصياغاتها القديمة، منها، على سبيل المثال، اسم قرية شمشارة قرب دوكان التي كان يطلق عليها قديما اسم شوشرا، الموقع الذي تم اكتشاف اثار خورية كبيرة فيه قبل انت تغمره مياه السد.

---

[10] دكتر محمد معين، برهان قاطع، جلد دوم، تهران، 1331 شمسي، ص 738.

[11] المصدر نفسه، الجزء الاول، طهران، 1330، ص 527.

[12] جمس بكنغهام، رحلتي الى العراق سنة 1816، ترجمة سليم طه التكريتي، الجزء الأول، بغداد، 1968، ص 156، 168.

[13] "رحلة المنشيء البغدادي"، نقلها عن الفارسية عباس العزاوي المحامي، بغداد، 1948، ص 54 – 56.

و ينبغي ان نشير ايضا الى الصلة القوية بين الخوريين و الاريين الذين لاشك في ان الخوريين امتزجوا بهم، فكان الاريون يؤلفون بين الخوريين طبقة ارستقراطية قائدة في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، أي في الوقت الذي امتلك فيه الخوريون "عمليا كامل شمال العراق". وعلى هذا الاساس كان يطلق على المملكة الخورية ايضا اسم "مملكة ميتاني"، و الميتانيون كنية مشتقة كانت تطلق على الآريين[14].

ارتبط اسم شعب زاگروسى اخر باسم كركوك. فمن الثابت من النصوص المسمارية ان الگوتيين، الذين ادوا نفس دور اللولويين و الخويين و السوباريين، في تكوين الشعب الكردي لاحقا، كانوا يعيشون في الألف الثالث قبل الميلاد في المنطقة الواقعة جنوب سهل شهررزو[15]، ووصلوا كركوك وتوابعها، بل انهم اخذوا من كركوك "مركزا لهم، وقد اصبحت المدينة تعرف يومذاك باسم جديد هو ارابخا (ARAPKHA)[16] ، ولقد اعترف السومريون، ومن بعدهم الأكديون

---

[14] للتفصيل عن ذلك ينظر: جورج رو، العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، مراجعة الدكتور فاضل عبدالواحد علي، بغداد، 1982، ص 317-319.

[15] عن علاقة الطوتيين بالكرد تنظر: " Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol., 4 Moscow, 1963, PP. 913-914.

[16] الدكتور فوزي رشيد، المصدر السابق، ص 53.

بمملكة الگوتيين في إطار شبه المربع الواقع بين الزاب الصغير ونهر دجلة وتلال السليمانية ونهر ديالى مع عاصمتهما في ارابخا[17].

يؤيد السر سدني سمث في كتابه "تأريخ اشور القديم حتى الالف الأول قبل الميلاد "الحقيقة ذاتها حين كتب ان قلب المملكة الگوتيه" كان المربع الواقع بين نهري الزاب الاسفل ودجلة، وبين جبال السليمانية ونهر ديالى، وكانت عاصمتهما ارابخا تقع حيث مدينة كركوك الان". وكما تؤكد الواح بابل كانت بلاد الگوتيين تؤلف دولة مستقرة، و ان سكانها كانوا متخذين يحكمهم ملك واحد منذ اواسط الالف الثالث قبل الميلاد. و يبدو ان السومريين و الأكديين و الاشوريين كانوا في قتال مستمر مع الگوتيين "بوضع دفاعي اكثر منه هجومي" فمن الثابت تأريخيا ان الگوتيين كانوا يغيرون على اطراف الامبراطورية الأكدية القوية، كما انهم حكموا منطقة بابل مدة تجاوزت القرن من الزمان (اواخر الالف الثالث قبل الميلاد) ونقلو منها، ومن مدن سومر كنوزهم الى عاصمتهم ارابخا. ويبقى اسم ارابخا متداولا، وحرف حديثا الى (ارافا- عرفه)، واطلق على حي العمال الجديد في منطقة شركة نفط كركوك[18].

---

[17] " Cambridge Ancient History", Cambridge, 1924, Vol. I, P. 423; Vol. III, P.223.

[18] "سورمر"، بغداد، المجلد الثامن، الجزء الأول، 1952، ص 275.

غدت هذه الحقيقة التأريخية امرا مسلما به حتى في الكتب المنهجية العربية العامة، ورد في كتاب "الجغرافية السياسية" من تأليف عدد من الاساتذة الجامعيين المصريين في العام 1961، مانصه بهذا الخصوص:

"الاكراد سلالة منحدرة من أصل شمالي.. وكانت لهم دولة قديمة عاصمتها ارابخا ARAPKHA، هي كركوك الحالية"[19]. و من المفيد ان نشير ايضا الى ان سكان بلاد مابين النهرين القدماء كانوا في الألف الأول قبل الميلاد يطلقون اسم الگوتيين على جميع الشعوب التي كانت تقطن الى الشمال والشرق من بابل، بما في ذلك الميديون[20]. الذين انتقلوا يومذاك الى تلك المنطقة ليتفاعلوا مع بقايا شعوب زاگرون، و يؤدوا الدور الأخير في بلورة الشعب الكردى.

يلخص الاستاذ الجامعي العراقي المعروف الدكتور فوزي رشيد في مبحثه المعنون "سكان جبال زاگروس وكردستان القدماء" علاقة اصول الكرد تأريخيا بكركوك على النحو الاتي:

---

[19] **الدكتور دولت احمد صادق و آخرون، الجغرافية السياسية، الطبعة الثانية، القاهرة، 1961، ص 458.**

[20] "Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 4. P. 914.

"وهذه الحقيقة[21] لاتنقي العلاقة القوية التي كانت تربط اللولويين بالسكان القدماء الآخرين لكردستان كالگوتيين، او الخوريين، لغويا كانت ام حضاريا لكردستان كالگوتيين، او الخوريين، لغويا كانت ام حضاريا، و خاصة لو عرفنا بان مركز هؤلاء كان في مناطق قريبة بعضها عن البعض الآخر، كمستوطنات نوزي الخورية، و ارابخا الگوتيه، و بابيت اللولوبية، و جميعها حوالي كركوك الحالية"[22].

و للتأكيد على مدى تقارب الأصول الكردية القديمة هذه فيما بينها نشير الى ان المصادر الاشورية التي تعود الى الالفين الثاني و الأول قبل الميلاد كانت تطلق على الخوريين اسم السوباريين الذين كانوا يؤلفون في الألف الثالث قبل الميلاد شعبا قائما بذاتهم على الرغم من قرابتهم اللغوية والاجتماعية والحضارية مع الخوريين و اللولويين و غيرهم من شعوب زاگروس"[23].

اختلف موقف الاشوريين من كركوك و توابعها من موقف اللولويين و الخوريين و الطوتيين منها، فانهم دمروا المدينة في أواسط الالف

---

[21] يقصد تحول الصيغة الأكدية القديمة لاسم لولويو الى لولومي في الصيغة الاشورية.

[22] الدكتور فوزي رشيد، المصدر السابق، ص 49.

[23] M. Diakonov, Subaretsi, - "Sovetskskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 13, Moscow, 1971, P. 905, Khurriti, Vol. 15, Moscow, 1974, PP. 690-691.

الثاني قبل الميلاد[24] وذلك في خضم صراعهم مع شعوب زاگروس اولا، ومن ثم مع الآريين، ولاسيما الميديين منهم فيما بعد. وبعد اعادة بنائها اتخذها الاشوريون في الحقبة الممتدة بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد حصنا لصد الميديين[25]، الا ان ذلك لم يجديهم نفعا، فقد تمكن الميديون من القضاء على الدولة الاشورية، واحتلال عاصمتها نينوى سنة 612 ق. م.[26]. على اثر ذلك دخلت كل المنطقة الممتدة الى الشرق من دجلة شمالي بغداد ضمن الدولة الميدية المترامية الاطراف، بما في ذلك كركوك و اربيل وتوابعهما. وقد غدا هذا الامر ايضا حقيقة تأريخية مسلمة تقرها المصادر والمراجع على مختلف مشاربها. ورد في مصدر عراقي رسمي معتبر[27] الاتي نصه بهذا الصدد:

---

[24] " Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 7, Moscow, 1965, P. 289.

[25] J. H. Kramers, Kirkuk,- "The Encyclopedia of Islam", Vol. II, Leyden- London, 1927, P. 1027.

[26] البروفيسور فلاديمير مينورسكى، الاكراد احفاد الميديين، ترجمة و تعليق الدكتور كمال مظهر، -"مجلة المجمع العلمي الكردي"، بغداد، المجلد الاول، العدد الاول، 1973، ص 556-557.

[27] نقصد به "الدليل العراقي الرسمي لسنة 1936" وهو ةمصدر موسوعي ضخم صدرت "تحت عناية واشراف وزارة الداخلية" في عهد وزارة ياسين الهاشمي الثانية، يقع في 1220 صفحة من الحجم الكبير، اعدته مجموعة من ابرز الباحثين

"الماديون هم من الشعب الاري الذي كان يسكن البلاد التي يسميها المتأخرون بلاد شيروان و اذربيجان، وقد نهض بهم الحظ فعقدوا تحالفا مع بختنصر الكلداني، فحاربوا الاشوريين من الشمال، كما ان الكلدان حاربوهم من الجنوب الى ان قوضوا تلك الدولة القوية الشكيمة، واستولوا على تركتها. وكانت النتيجة ان انفرد الكلدان بالسيادة في الجنوب و الماديون في الشمال, فاصبح في العراق شعبان يسودانه، الكلدان وهم من الشعب السامي، والماديون وهم من الشعب الاري"[28].

بعد سقوط الدولة الميدية في العام 550-549 قبل الميلاد ظهر اقرباؤهم الفرثيون فوق المسرح السياسي للمنطقة. ففي حدود الربع الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد حكمت اسرة سكائية اديابين (حدياب) وكانت كركوك عاصمة حكامها الذين كانوا تابعين للأمبراطورية الفرثية، و كانت اربيل تدخل بدورها ضمن مملكتهم، وتؤلف احدى قواعدهم[29]. ورد في مصدرين رسمين عراقيين، صدر الاول منهما في العهد الملكي، وصدر الثاني منهما في العهد الجمهوري، ورد ما مفاده:

العراقيين المعروفين يومذاك برئاسة محمود فهمي درويش. صدر الدليل نفسه في مجلد مستقل باللغة الانگليزيه في السنة ذاتها.

[28] "الدليل العراقي الرسمي لسنة 1936"، بغداد، 1936، ص 64

[29] E. Herzfeld, Archaeological History of Iran, Oxford, 1935, p.8.

في العهد سيطرة الدولة الفرثية (141 قبل الميلاد- 227 للميلاد) كان العراق يتكون من اربع امارات، الاولى امارة ميسان، والثانية امارة الحضر في الشمال الغربي، والثالثة امارة حدياب وقاعدتها اربيل، والرابعة امارة الحيرة العربية[30].

حسب المؤرخ الارمني المعروف موسيس (موفسيس) الخورينىMoses of Khurene الذي عاش في القرن الخامس ـ بداية القرن السادس، كان الساسانيون، اقرباء الميديين، يطلقون في عهده على المنطقة اسم گەمەركان (Gamarkan) على المنطقة التي تقع كركوك في قلبها، والتي تمتد حدودها في الشمال الغربي الى حد الزاب الصغير، وفي الجنوب الغربي الى جبل حمرين، وفي الجنوب الشرقي الى نهر ديالى، وفي الشمال الشرقي الى زاگروس[31]. و قد خضعت المنطقة نفسها للحكم الساساني، كما ان جانبا كبيرا من آثار كركوك وتوابعها تعود الى ذلك

---

[30] "الدليل العراقي الرسمي لسنة 1936"، ص 68-69× "دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960 دائرة معارف علمية، تأريخية، جغرافية، اجتماعية، صناعية، زراعية، تجارية"، تأليف محمود فهمي درويش والدكتورين مصطفى جواد واحمد سوسه، صدر تخت اشراف وزارة الارشاد بقرار من مجلس الوزراء في 17 كانون الاول 1960، بغداد، 1961، ص 178.

[31] J. H. Kramers, Op. Cit., P. 1027.

العهد[32]. ومن المفيد ان نشير الى ان رشيد ياسمي، الاستاذ السابق بجامعة طهران، يعيد اصل الساسانيين الى الأكراد[33].

اطلقت المصادر السريانية على كركوك وتوابعها اسم باث گەرمه (Beth Garme)، و أطلق السلوقيون على القلعة التي شيدوها في كركوك لاحقا اسم سەربەگ ــ سەربوگ (Sarbug)[34]. و مما يجلب الانتباه ان في اللغة الكردية الحالية كلمات حية قريبة جدا من جميع هذه الأسماء الساسانية والسريانية والسلوقية. فان كلمة گەرمەكان قريبة من كلمة گەرميان التي يطلقها الكرد الحاليون على الأصقاع الحارة من بلادهم، بضمتها كركوك و توابعها. و لا يستبعد ان تكون سەربەگ كلمة مركبة، فان سەر هي الرأس في الكردية، و بەگ هي الكبير فيها، والاله في بعض اللغات الارية، فيحتمل الاسم بذلك معنى الاله الرئيس.

كوركوك و توابعها في ظل الاسلام والخلفاء

---

[32] C. J. Rich, Op. Vol. I, PP. 10-25, 30.

[33] رشيد ياسمي، كرد و پيوستگى نژادى و تأريخي او، تهران ص 165-174؛ نجلة "هەتاو"، اربيل، الاعداد 133-142، حزيران- تشرين الاول 1958 (سلسلة مقالات بعنوان "الساسانيون كانوا كردا لا فرسا" بقلم گيو موكرياني.

[34] J. H. Kramers, Op. Cit. P. 1027.

بعد ان فقد الكرد دولتهم، و تقلص دورهم الحضاري في ظل الدول التي توالى حكمها على كردستان اثر سقوط الميديين، كان امرا طبيعيا ان يرحبوا بالاسلام باعتبار ذلك وسيلة للانتقال الى وضع افضل مما كانوا فيه. دشن ذلك اول احتكاك مباشر، و واسع للكرد و كردستان، بما في ذلك كركوك و توابعها، بالعرب ـ حملة راية الدين الجديد.

لم يمس الاسلام الكيان القومي للكرد داخل وطنهم، بل انه ساعد على تعزيز ذلك الكيان بوجه الشعوب، والانظمة غير الاسلامية المتاخمة لكردستان، ولاسيما في طرفها الشمالي. يقول باحث محايد، مخلص للاسلام، ان الخلفاء لم يحاولوا" التدخل في الكيان المستقل للاغوات و البكوات الاكراد"[35] الذين يقصد بهم امراء الكرد ذلك الحين. يكمن في هذا، دون شك، احد الاسباب الاساسية التي دفعت الكرد الى الترحيب بالدين الجديد، و الاخلاص له، و التفاني من أجله. ان احتفاظ الكرد بخصائصهم القومية، و بلغتهم في ظل الاسلام و حضارته، على الرغم من تحولهم الى عنصر فاعل بالنسبة لكليهما، لهو درس بليغ من التأريخ كان يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار.

و مما يضفي اهمية خاصة على هذا الامر ان ابناء الكرد رحبوا بالعربية بوصفها لغة القرآن، و اداة الروح، و التقرب من الخالق، الا ان ذلك لم يتجاوز حدود اداء الفرائض الا بالنسبة لرجال الدين، و

---

[35] المقدم الشيخ عبدالوحيد، الأكراد وبلادهم. تأريخ الشعب الكردي منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ص 58-59>

المتخصصين الذين ظلوا، مع ذلك، متمسكين بلغتهم القومية لانهم، و كانوا في ذلك على حق، لم يروا أي تعارض بين ايمانهم واخلاصهم للغة قومهم، لذا لاغرو ان معظم شعراء الكرد البارزين من العصرين الوسيط و الحديث كانوا في الوقت نفسه رجال دين كبارا، وان بعضهم تغنى بالاسلام بلغته القومية، وان الكتاتيب و المدارس الدينية الكردية، بما فيها كتاتيب ومدارس كركوك الدينية، غالبا ماكانت تدرس تلاميذها أدب الكرد جنبا الى جنب مع علوم الدين، و اصول الفقه.

ظل الكرد يؤلفون باستمرار روح الاسلام في كركوك، فكانت مساجد المدينة و توابعها، و تكاياهما و اوقافهما و مدارسهما الدينية بيد رجال الدين الكرد اساسا. و يعتز الكرد باشرافهم على "مقام السجادة النبوية" في مدينة كركوك نفسها، الأمر الذي تولدت منه اسرة دينية كردية معروفة باسم خادم السجادة، لها مقامها الاجتماعي و السياسي، خرج من بين ظهرانيها ادباء و مفكرون قوميون، و من مثل اهل المدينة في البرلمان العراقي كما نشير الى ذلك فيما بعد.

لم يول المسلمون الاوائل كركوك اهتماما يذكر، ولم يشر البلدانيون العرب الى اسمها الحالي نهائيا، بل ذكروها نادرا باسم كرخيني[36]، فلم "يذكر ياقوت، ولا من سبقه من جغرافيين مدينة كركوك "كما ورد

[36] "سومر"، المجلد الثامن، الجزء الاول، 1952، ص 275.

نصا في مجلة "سومر" العراقية المعتبرة[37]. اما بالنسبة للكرخيين فان القلقشندي (توفي 821 هـ/ 1418 م) حدد طابعها الكردي مكانا وسكانا بالاستناد الى "مسالك الابصار في ممالك الامصار" للجغرافي الدمشقي ابن فضل الله العمري (توفي 748 هـ/ 1347-1348م). كتب القلقشندي:

"جبال الاكراد: قال في "مسالك الابصار": والمراد بهذه الجبال، الجبال الجاهزة بين ديار العرب و ديار العجم، دون اماكن من توغل من الاكراد في بلاد العجم. قال: و ابتداؤها جبال همذان و شهرزور، و انتهاؤها صياحيى الكفره من بلاد التكفور، و هي مملكة سيس و ماهوا مضاف اليها بايدي بيت لادن. ثم ذكر منها عشرين مكان في كل مكان منها طائفة من الأكراد".

بعد ذلك يعدد القلقشندي الأماكن العشرين تلك، و تحت البند العاشر منها يقول:

"بلاد الكرخيني و دقوق الناقة ــ وبه طائفة منهم (من الاكراد) عدتهم تزيد على سبعمائة، ولهم أمير يخصهم"[38]. و يجدر بالذكر ان

---

[37] القلقشندي، شهاب الدين أحمد، صبح الاعشى في صناعة الانشا، الجزء الرابع، ص 373.

[38] المصدر نفسه، ص 374.

السبعمائة رقم معتبر من المنظور الديموغرافي بالنسبة لذلك العهد والزمان.

و كانت داقوق (دقوقا) اكثر شهرة من كركوك يومذاك، بل ان الأخيرة و لغاية أواخر القرن الثامن الهجري/ اواخر الرابع عشر الميلادي غالبا ما كانت تتبع داقوق اداريا واقتصاديا، كما انهما كانتا، في الوقت ذاته، على اتصال باربيل و شهرزور و امتداداتهما اوثق من اتصالهما باي بقعة اخرى في المنطقة من جميع الاوجه. من هنا فان الجغرافيين المسلمين (ابن خرداذبه من القرن الرابع الهجري، و ياقوت الحموي من القرن السابع الهجري، و ابو الفدا من الربع الأخير من القرن السابع والثلث الأول من القرن الثامن الهجريين) عندما يأتون على ذكر داقوق فانهم يربطونها بأربيل وصفا[39]. في مطلع القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وصف العالم الجغرافي و المؤرخ حمدالله المستوفي القزويني في الصفحة 24 من كتابه المعروف "نزهة القلوب" داقوق هكذا:

"داقوق من الأقليم الرابع، بلدة متوسطة، مناخها اطيب من مناخ ايالات العراق العربي".

بالمقابل كانت صلات بغداد بكركوك ضعيفة في العصور الاسلامية الاولى، فقلما استخدم الطريق البري القديم الممتد من بغداد الى كفري ـ داقوق ـ كركوك ـ اربيل للوصول الى الموصل، بل كان يجري الاتصال

---

[39] "مجلة المجمع العلمي العراقي" (الهيئة الكردية)، بغداد، المجلد العاشر، 1983، ص 372-373؛ "سومر"، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني، 1956.

بين بغداد والموصل) حسب وصف الجغرافيين العرب، بمحاذاة نهر دجلة في الاغلب[40].

انعكس هذا الواقع بقوة على الوضع الاداري و الاقتصادي لكركوك و توابعها التي ارتبط اسمها باسم شهرزور منذ العهد الاسلامي المبكر، و قد تجاوزت حدود "بلاد شهرزور" كركوك بعيدا في العصور العباسي الأخير لتغدو اربيل قاعدة لها يومذاك. في اواسط القرن السابع للهجرة (اواسط القرن الرابع عشر للميلاد) وصف ابن خلكان شهرزور هكذا: "وهي بلدة كبيرة معدودة من أعمال اربيل"[41]. والامر نفسه مثبت في "تقويم البلدان" لأبي الفداء، و "صبح الاعشى" "للقلقشندي وغيرهما. اما ياقوت فقد قال عن "بلاد شهرزور" مانصه: "وأهل هذه النواحي كلهم أكراد"[42]. و كان هؤلاء الاكراد يتمتعون بقدر كبير من الاستقلالية، عبر عنه ياقوت نفسه هكذا "واهلها عصاة على السلطات"[43].

---

[40] " The Encyclopedia of Islam", Vol. II, P. 1027.

[41] ابن خلكان، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، حققه وعلق حواشيه و وضع فهارسه محمد محى الدين عبدالحميد، الجزء الثالث، القاهرة، 1948، ص 233، عبدالسلام محمد هارون، معجم مقيدات ابن خلكان، القاهرة، 1987، ص 193.

[42] ياقوت الحموي، معجم البلدان، باشراف فردناند وستنفلد، المجلد الثالث، لايبزغ، 1868، ص 340.

[43] المصدر نفسه.

تؤكد المصادر الاسلامية وجود مدينة قديمة باسم شهرزور كانت تقع في كورة[44] شهرزور. و يحدد العديد من الباحثين، منهم المستشرق الانگليزى المتخصص في "الجغرافية التأريخية للبلدان الاسلامية" گ. سترنج (Guy Le Strange) (1854-1933) موقع تلك المدينة بياسين تپه القريبة من مدينة كركوك الحالية[45]. يلخص المستشرق نفسه الحقائق الاتية عن مدينة كركوك و كورة شهرزور بالاستناد الى ابن خرداذبه و قدامه و ابن حوقل و القزويني و المستوفي:

"و على مسيرة اربع مراحل شمال غربي الدينور مدينة شهرزور في كورة شهرزور. و قد ذكر ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة للميلاد) شهرزور مدينة حصينة عليها سور يسكنها الأكراد، و قد سرد اسماء قبائلهم المثبتة في تلك الارجاء. وكانت "من رغد العيش، وكثرة الرخص، وخصب الناحية، بحالة واسعة و صورة رائعة". و وصفها الرحالة ابن مهلهل في المئة الرابعة (العاشرة للميلاد)، على ما اقتبسه

---

[44] كورة مصطلح اداري استخدم في العهد الاسلامي، والكورة في "مختار الصحاح" الرازي ص 582 "المدينة والصَقع، والجمع كوْر"، وفي المنجد"/ ص 702 "البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى".

[45] كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية. يتناول صفة العراق والجزيرة وايران واقاليم اسية الوسطى منذ الفتح الاسلامي حتى ايام تيمور، تقله الى العربية بشير فرانسيس وكوركيس عواد، من مطبوعات المجمع القومي العراقى، بغداد، 1954، ص 225.

منه ياقوت بقوله" شهرزور مدينات و قرى، فيها مدينة كبيرة، و هي قصبتها في وقتنا هذا".. و كان اكراد هذه الكورة حين زارها ابن مهلهل تنشيء ستين الف بيت. وحين كتب المستوفي في المئة الثامنة كانت شهرزور مدينة زاهرة، واهلها اكراد"[46].

يبدو من هذا لكلام، و مما سبقه، و من غيرهما ايضا ان شهرزور كانت جديرة في ذلك الوقت باستيعاب اصقاع شاسعة اقتصاديا و سياسيا، فقد كانت معروفة على اوسع نطاق، عامرة بالسكان، مزدهرة.

حسب المصادر العربية الكلاسيكية قامت امارة اربيل الاتابكية "على انقاض الامارة الهذبانية والامارة القبجاقية (القبجافية) التي كانت تجاوز اربيل، و تضم قلاع شهرزور و منطقة الكرخيني/ كركوك"[47]. و قد اصبحت كركوك تتبع اربيل في عهد الاتابكة على مدى قرن و نيف (مف 522 حتى 630 الهجرة، أي من 1128 حتى 1233 للميلاد)، التبعية التي تعززت بصورة خاصة في عهد مظفرالدين كوكيوري الذي حكم امارة اربيل من سنة 586 حتى سنة 630 للهجرة (1190-1130 للميلادى)، حتى ان كوكبوري اتحذ من داقوق قاعدة لصد التتر، ومنعهم من التغلغل في العراق[48]، بل انه اتخذ من سجن قلعة كركوك

---

[46] المصدر نفسه، ص 225-226.

[47] عن ذلك ينظر: محسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي 522-630 هـ/ 1128- 1233م، بغداد، 1976، ص 179.

[48] "سومر"، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني، 1956، ص 48.

مكانا للاحتفاظ بمعارضيه رهائن طوال سنوات حكمه[49]. كتب م. ستريك (M. Streck) في "دائرة المعارف الاسلامية" عن هذا الموضوع يقول:

"وقد أسس في عام 563 هـ (1167م) زين الدين علي كوچك بن بكتكين دويلة اتخذ اربل عاصمة لها. واشهر حكام هذه الدولية من الاسرة البكتكينية الكردية هو مظفر الدين كوكيوري، صهر صلاح الدين. و لم تبلغ اربل اوجها طوال العصور الوسطى الا ابان حكم هذا الأمير. فقد وسع مظفرالدين الى حد كبير هذه الدويلة التي ورثها عن اخيه عام 586 هـ (1190م)، فاخضع الامارات الصغيرة المجاورة، وضم ايضا اقليم شهرزور، بما فيه كركوك"[50].

تؤكد المصادر المعنية ان سكان الامارة الاتابكية، وجيش مظفرالدين كوكبوري كانوا من الكرد قاطبة[51]، بل ان بعض تلك المصادر تحدد

---

[49] محسن محمد حسين، المصدر السابق، ص 209، 317.

[50] "دائرة المعارف الاسلامية" "الطبيعة العربية"، المجلد الاول، العدد الاول، اكتوبر 1933، ص 571.

[51] عبدالقادر احمد طليمات، مظفرالدين كوكبوري امير اربل، القاهرة، 1963، ص 195-196.

سكان كركوك وتوابعها يومذاك بابناء عشائر زەنگنه وجاف و همونـد الكردية المعروفة[52].

كانت حدود العراق منذ اواخر القرن الرابع حتى اواسط القرن السادس للهجرة تنتهي شمالا عند سامراء و ما والاها يومذاك[53]، ولم تضم من المدن الكردية سوى خانقين و حلوان باتجاه الشمال الشرقي من بغداد. اما التوسع نحو الشمال في العصر العباسي الأخير فقد بدأ سنة 551 للهجرة (1156 للميلاد) حين جرت محاولة فاشلة للاستيلاء على قلعة تكريت التي اخذت بعد ذلك التأريخ بثلاثة عقود ونيف. ثم شمل التوسع اربيل التي" اخذت عنوة بعد وفاة صاحبها كوكبوري سنة 630 هـ ـ 1232م"، والأرجح ان شهرزور "الواقعة بين اربل وهمذان قد ضمت الى العراق في نفس الفترة التي طلمت بها اربل، و ذلك لانها كانت تابعة المظفر الدين كوكبورى صاحب اربل"[54]. و هذا

---

[52] فهمي عرب وفاضل محمد، مدينة كركوك، ترجمة هةتاو، مجلة "هةتاو"، العدد 128، 10 نيسان 1958، ص 3.

[53] في العصر البويهي (945-1058 للميلاد) كان يحدد اقليم العراق "من الشمال خط يمر عبر الانبار على نهر الفرات الى تكريت على نهر دجلة" "ينظر: محمد حسين الزبيدي، العراق في العصر البويهي. التنظيمات السياسية والادارية والاقتصادية، القاهرة، 1969، ص 65)..

[54] للتفصيل عن ذلك ينظر: الدكتور بدري محمد فهد، تأريخ العراق في العصر العباسي الأخير (522-656 ه/ 1157-1258م)، بغداد، 1973، ص 4-7.

يعني ان كردستان الجنوبية، بما فيها كركوك و توابعها، اصبحت تؤلف ولايتين من ولايات العراق العشر عندما اشرف العصر العباسي الأخير على نهايته، و هما ولاية اربيل و ولاية شهرزور التي ضمت الى العراق تحديدا سنة 630 للهجرة/ 1332 للميلاد[55].

و في غضون حوالي قرن ما يعرف بعهد السيطرة المغولية في العراق لم يغير المغول من التقسيمات الادارية التي كان عليها في العصر العباسي الأخير[56]. و في ذلك العهد تحديدا ظهر اسم كركوك بصيغته الحالية لاول مرة، و ذلك في تأريخ تيمور من تأليف شرف الدين علي يزدي. تقرأ في الكتاب المذكور ان تيمورا، بعد ان احتل العراق، توجه صوب دياربكر عن طريق داقوق وكركوك والتون كوپرو (كوپرى). بعد المغول انتقل حكم كركوك. و توابعها مع كل اقليم شهرزور، الى الاق قوينلو[57].

في المراحل التأريخية تلك دخل اقليم شهرزور، بما فيه كركوك و توابعها، ضمن الامارات الكردية شبه المستقلة التي كانت تظهر بين الحين و الآخر, منها الامارة او الحكومة الحسنوية التي تأسست في اواسط

---

[55] عن ذلك، وعن التقسيم الاداريى للعراق في العصر العباسي الاخير ينظر: المصدر نفسه، ص 128-141.

[56] الدكتور محمد صالح. داود القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية النجف، 1970، ص 219.

[57] J. H.Kramers, Op. Cit., P. 1027.

القرن الرابع للهجرة (اواسط القرن العاشر للميلاد)[58] ، و منها ايضا الامارة العنازية التي تأسست في اواخر القرن نفسه[59]. و لكركوك و توابعها موقع متميز في وقائع تلك الامارات. فكان للعنازيين اخذ ورد كبيرين مع السلاجقة الذين، كما تذكر حوادث سنة 495 للهجرة (1101-1102 للميلاد) استولوا "على جميع بلاد سرخاب من بدر الكردي الا داقوق وشهرزور" حيث نشأت امارة ضمن طوزخورماتو وغيرها، و قد "صارت حصة سرخاب بن بدر الكردي، وكان ذلك في زمن الخليفة المستظهر بالله ابو العباس احمد"[60]. و حسب "الكامل" لابن اثير و "شرفنامه" للبدليسي و غيرهما كانت داقوق في القرون الثالث و

---

[58] علي اكبر دهخدا، لفت نامه، شمارة مسلسل 171، شمارةء حرف شين، بخش دوم، تهران، خردادج 1350 و- شمسي؛ محمد امين زكي، خلاصة تأريخ الكرد وكردستان من اقدم العصور التأريخية حتى الان، نقله الى العربية وعلق عليه محمد على عوني، القاهرة، 1939، ص 140-141.

[59] "Encyclopedia Iranica", Vol, II, London, 1985, PP. 97-98.

مجله المجمع العلمى العراقى "الهيئه الكرديه)، المجلد العاشر، 1983، ص 386.

[60] للتفصيل عن ذلك تنظر: "سومر" المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني 1956، ص 46 – 47.

الرابع و الخامس الهجرية احدى مراكز الامارات الثلاث المتتابعة الحسنوية العيارية (الغمازية) والجاوانية[61].

دخلت كركوك و توابعها، مثل اربيل، مرارا في حوزة الاردلانيين الذين برزت امارتهم في القرن الخامس للهجرة، الثاني عشر للميلاد، اذ كانت حدودها تمتد احيانا الى حد الزاب الكبير، و كانت امارة قوية، منظمة، اعترف بها حتى جنگيز خان، و عجز الجلائريون الذين حكموا العراق في القرن الرابع عشر للميلاد، عن احتوائها. يعد لونگريگ اردلان افضل امارة ظهرت في المنطقة "من حيث الحضارة او الحكم الملكي" قبل الاحتلال العثماني للعراق حتى انه يصفها بالامبراطورية اكثر من مرة[62].

كركوك و توابعها في العهد العثماني

بعد ان قضى الصفويون على الآق قوينلو، و اسسوا دولتهم في مطلع القرن السادس عشر انتقل اليهم حكم شهرزور، لكن ذلك لم يدم طويلا لان العثمانيين الذين سبقوهم في تأسيس دولة قوية مترامية الأطراف

---

[61] عن ذلك تنظر: "مجلة المجمع العلمي العراقي"، المجلد العاشر، 1983، ص 434.

[62] S. H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, Oxford, 1925, PP. 5-6.

في الترجمة العربية لجعفر خياط، بغداد، الطبعة الخامسة، ص 18)

احسوا بخطرهم، فدخلوا معهم في صراع مستفحل طويل دشنته معركة چالديران المعروفة في العام 1514.

في خصم الصراع العثماني ـ الصفوي برز الكرد قوة فاعلة، لهم وزنهم في تقرير مصير ذاك الصراع. انتهج سلاطين آل عثمان سياسة حكيمة استهدفت كسب الكرد الى جانبهم، مستفيدين من التذمر العام الذي احدثته سياسة مؤسس الدولة الصفوية الشاه اسماعيل (1487 – 1524) في صفوفهم، اذ "كان يرفض كل ماهو كردي"[63] بدافع مذهبي جعله يسلط عليهم القبائل التركمانية الشيعية. بدءا استغل الامراء الكرد الهزيمة النكراء التي الحقتها قوات السلطان سليم بقوات الشاه اسماعيل، فاستعاد معظمهم مواقعهم التي فقدوها في ظل حكم الصفويين والآق قوينلو، منهم "سيد بك بن شاه علي امير السوران ـ السهران" الذي "استرد بلاد كركوك واربل"[64]. ورد عن ذلك في "شرفنامه" (اواخر القرن السادس عشر) الآتي نصه:

"مير سيدي بن شاه علي بك، هو الابن الصغير للشاه علي بك. وقد اشتهر بين حكام كردستان بالشجاعة و السخاء و الكرم. سكن بعد وفاته والده الموضع المسماة شقاباد (شقلاوه)، و اقدم على محاربة ثيربوداق حاكم بابان طالبا دم اخيه الامير عيسى. فبعد ان تمكن من قتل

---

[63] محمد امين زكي، المصدر السابق، ص 174-183، كمال مظهر، دراسات في تأريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، 1985، ص 229.

[64] محمد امين زكي، المصدر السابق، ص 176.

پيربـوداق هـذا ضـم بـلاد اخيـه إمارتـه، ثـم انثنـى علـى (الصـفويين) القزلبـاش، و حـاربهم محاربـة شـديدة حتـى انقـذ سـناجق الموصـل و كركوك و اربـل مـن ايـدي عمـالهم، وضـمها الى بـلاده، فحكـم ردحـا مـن الزمن بلاد سهران وملحقاتها حكما استقلاليا"[65].

يقـول المـؤرخ العراقـي المعـروف عبـاس العـزاوي عـن زعـيم الامـارة السورانية مير سيدي بن شاه علي بيك: "و هـذا توسـع حكمـه الى اربـل، بل زاد نطاق حكمه الى انحاء كركوك و الموصل"[66].

و قبل ان ينسحبا السلطان سليم من اراضي الدولة الصفوية اسـتعان بالشيخ حكـيم الـدين ادريـس بـن حسـام الـدين علـي البدليسـي ليتصـل بامراء الكرد من اجـل كسـبهم الى جانـب السـلطان، اذ كـان يتعـذر عليـه الاحتفـاظ بقواتـه في المنـاطق الكرديـة الـتي تم تحريرهـا مـن قبضـة الصـفويين، و الـتي لم تـدخل القـوات العثمانيـة معظمهـا اصـلا. كـان الادريسي مـن مشـاهير الكـرد و "نوابـغ عصـره في العلـم و الادب"، تمتـع بنفوذ ديني و دينوي واسع، و باسلوب ديبلوماسي في التعامل جعلـه مـن اقرب المقربين للسلطان. يقول المؤرخ الانگليـزى المخـتص بتـأريخ الدولـة

---

[65] شرف خان البدليسي، شرفنامه، الجزء الاول، طبعة القاهرة، ترجمة محمد علي عـوني بتكليـف مـن وزارة التربيـة والتعلـيم، ص 271، طبعـة بغـداد، ترجمـة مـلا جميل رؤژبيانى بتكليف من المجمع العلمي العراقي، الجـزء الاول، ص 277، الطبعـة الروسية، ترجمة فاسيلڤا، الجزء الاول، موسكو، 1976، ص 324.

[66] عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء الرابع، ص 42.

العثمانية كريسي (E.S.Creasy) عن الشيخ البدليس انه كان "صاحب القدرة الادارية العالية في تنفيذ القرارات"[67] لذا لاغرو ان عهد السلطان سليم اليه امر تنظيم المناطق الكردية من الناحية الادارية، وارسل اليه فرامين موقعه على البياض حتى يملأها حسبما يراه.

تمكن اردیس البدليسي بدهائه من ضمان ولاء عدد كبير من الامراء الكرد و مناطق نفوذهم للسلطان العثماني، على ان يحتفظوا بقدر كبير من الاستقلالية في ادارة شؤون تلك المناطق. و باعتراف عدد كبير من المصادر العثمانية و العراقية و العربية و الاجنبية والكردية كانت كركوك وتوابعها احدى تلك المناطق التي ادخلها البدليسي في حوزة العثمانيين في العقد الثاني من القرن السادس عشر، مع احتفاظ الزعماء الكرد بكامل سيطرتهم عليها[68]. و فيما يلي نقتبس ماورد على لسان مؤلفين اجنبين بهذا الصدد:

يقول الشيخ وحيد الباكستاني، و هو جامعي يحمل شهادة ماجستير في الاداب و بكلوريوس في القانون، يقول: "و قد لقيت مهمة البدليسي

---

[67] مقتبس في: الدكتور سيبار كوكب جميل، تكوين العرب الحديث 1516 - 1916، الموصل، 1991، ص 86.

[68] ينظر على سبيل المثال في: عباس العزاوي، العرق بين احتلافين، الجزء الثالث، ص 252، محمد امين زكي، خلاصة تأريخ كردستان..، ص 176-177، المقدم الشيخ عبدالواحيد، المصدر السابق، ص 118-120.
Safrastian, Kurds and Kurdistan, London, Harvill Press, 1948. PP. 39-40, 103.

نجاحا منقطع النظير، اذ استطاع عقد معاهدات مع كل من شرف بيك البدليسي.. و اسرة بدرخان العظيمة الشأن في جزيرة ابن عمر و امراء اربيل وكركوك والسليمانية وخلفاء اسرة بابان الكبيرة والبيك الكردي في دياربكر.."[69]. و يضيف المؤلف نفسه الى ذلك قوله في مكان آخر من كتابه:

"كان هدف السلطان التركي من وراء هذا التحالف هو ضمان سلامة حدوده من عدوه اللدود ملك فارس. و بمرور الزمن تمكن الملا ادريس من تكوين تسع ولايات في البلاد الكردية تعرف باسم الحكومات، و كانت كل حكومة مستقلة تماما عن الحكومات الاخرى، وعن السلطان التركي، ويحكمها (اغا) زعيم اقوى القبائل المقيمة في المنطقة، وا وسعها نفوذا. و كان لكل اغا في كل حكومة جيشه الخاص، و محاكمه الخاصة، و كان بعضهم يضرب السكة باسمه، غير ان مشكلة العملة في كردستان لم تكن مشكلة عويصة، اذ ان معظم التجارة كانت على اساس المقايضة.. و كان من بين الحكومات التي انشئت بهذه الطريقة اربيل و كركوك و حصن كيف و جزيرة ابن عمر و هكاري و ساسون و آميدي (العمادية) و بدليس، وكانت هذه الامارات المستقلة تقام بموجب فرمان سلطاني.."[70].

---

[69] المقدم الشيخ عبد الوحيد، المصدر السابق، ص 119.

[70] المصدر نفسه، ص 120.

اما مؤلف كتاب "الكرد وكردستان" ارشاك سافرستيان فيقول بصدد الموضوع نفسه ما نصه:

"دشن النصر العثماني في چالديران (سنة 1514) بداية تأريخ العشائر الكردية الحديث. فبفضل جهود الملا ادريس، و هو من مدينة بدليس، غدا التوزيع الجغرافي للعشائر الكردية و اقسامها و اسماء مناطقها و زعمائها اكثر وضوحا. كان هذا السياسي الكردي سكرتير دولة لدى يعقوب خان، احد المدعين بالتاج الايراني، قدم خدمات جلى للسلطان سليم بارشاده في شؤون كردستان و ارمينيا. في العام 1515 ارسله السلطان من اماسيا الى كردستان مع رسائل ود، وهدايا لكبار زعماء الكرد في گوتيوم[71]. و زاگروس بهدف ابعادهم عن خلفائهم الفرس، و كسبهم الى الجانب العثماني. و تلبية لدعوة السلطان اعلن تسعة من دەرەبەگ (الزعماء الاقطاعيين) الكرد ولاءهم للعثمانيين. بقيت اربع عشرة عشيرة كبيرة في معاقل زاگروس و طوروس ابرم معهم الملا ادريس باسم السلطان اشبه مايكون بمعاهدة و بعث السلطان لجميعهم فرامين تتضمن اعترافه بالزعماء بوصفهم "بگلربگا" في مناطق نفوذهم، و تنص على انتقال تلك الحقوق و الامتيازات الى

---

[71] گوتيوم (Gutium) مصطلح تاريخي يطلق على منطقة سكنى الگوتيين التي تحديها المصادر، كما اسلفنا، المربع الواقع بين الزاب الصغير ونهر دجلة وتلال السليمانية ونهر ديالى مع عاصمتها في ارابخا (كركوك) يطلق سافرستيان نفسه على طوتيوم اسم "الموطن الاصلي للعنصر الكردي"(P. 45).

ورثتهم كاملة دون المساس بقلاعهم و حصونهم و اراضيهم. انهم منحوا لقب الحكومات الكردية (Kurdish Hukumates) على ان يلتزموا فقط بدفع ضريبة اسمية، مع تقديم عدد محدد من الخيالة المسلحين في حالة الحرب"[72].

و في الملحق (أ) للفصل الثالث من كتابه يحدد سافرستيان اسماء الزعماء الاقطاعيين (الدەرەبەگ) التسعة الكرد الذين اعلنوا ولاءهم للسلطان، وهم كل من "شرف بيك البدليسي و ملا خليل، وورثة سعرد و حصن كيف (على دجلة) الذين ابعدوا الحاميات الفارسية من تلك القلاع، و محمود بيك من سامسون، و بدرخان الكبير حاكم جزيرة ابن عمر، و الامراء الوارثيين لاربيل وكركوك والسليمانية، المناطق التي تؤلف معا مملكة بابان، او مملكة شهرزور القديمة تقريبا.. و بيك دياربكر الكردي و جمشيد بيك المقدسي ومرتد ارمني من پالو"[73].

بعد ذلك يحدد سافرستيان في الملحق (ب) للفصل الثالث اسماء "الحكومات الكردية التسع "و هي" حكومات اربيل و كركوك و السليمانية و حصن كيف و جزيرة ابن عمر و هكارى و سامسون و العمادية و بدليس"التي سميت، كما يقول، بـ "اكراد حوكماتي" (Ekrad Hukmaiti)[74].

---

[72] A. Safrastian, Kurds and Kurdistan, PP. 39-40.

[73] I bid, PP. 102-103.

[74] I bid, P. 103.

يضيف سافرستيان الى ماسبق حقيقة مهمة اخرى بالنسبة لموضوعنا حين يشير الى ان "مشروع الملا ادريس استهدف اساسا حماية الحدود من غزو تشنه بلاد فارس في المستقبل. ان الحدود بين أشهر ديالى والزابين (وهي المنطقة التي تقع كركوك و توابعها في قلبها)[75] كانت تصان من قبل الحكومات الكردية"[76].

تعزز الوجود العثماني في المنطقة، و في كل العراق، بصورة فعلية في عهد السلطان سليمان القانوني الذي دخل بغداد على رأس جيشه سنة 1534 عن طريق تبريز- السليمانية، فتعد تلك السنة بداية العهد العثماني بالنسبة للعراق ككل. وضع العثمانيون بعد ذلك نظاما اداريا جديدا للعراق، قائما على أساس نظام الايالات الذي طبقوه على بقية احزاء الامبراطورية "مراعين بعض الاسس والاوضاع السائدة، و على الاخص فيما يخص الاكراد في القسم الشمالي و الشمال الشرقي من البلاد، والعشائر العربية في الأقسام الجنوبية و الجنوبية الغربية"[77].

---

[75] العبارة التي وضعت بين القوسين الكبيرين اضيفت من قبلنا من اجل التوضيح.

[76] A. Safrastian, Kurds and Kardistan, P. 44.

[77] خليل علي مراد، تأريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني (1048-1164 هو/ 1638-1750م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب- جامعة بغداد، 1975، ص 44-45.

قسم العراق حسب النظام الاداري الجديد على اربع ايالات هي بغداد و الموصل و البصرة و شهرزور. كانت"حدود ايالة شهرزور هي ايالة بغداد من الجنوب، و الموصل و حكومة عمادية من الغرب، و حكاري (هكاري) و اذربيجان من الشمال، و بلاد فارس من الشرق"[78]، بمعنى ان كركوك و توابعها كانت تقع في قلب الايالة، و تمثل جزءا اساسيا منها. فان اوليا ضلبي عندما يتحدث عن الواب الصغير يقول انه "نهر يقع في ايالة شهرزور"، و يقع الزابان الصغير و الكبير، كما هو معروف الى الشمال من كركوك. و لم يتغير واقع ايالة شهرزور على مدى القرون التالية الا قليلا، و كان التغيير في بعض الحالات يجري لصالحها. فان الاستاذ الجامعي المصري المتخصص في تأريخ العراق الحديث الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار يشير الى ان امارة بهدينان، مع عاصمتها العمادية، كانت تتبع احيانا كركوك التي غدت، كما نبين، مركزا لايالة شهرزور[79]. وأشر الممثل الروسي في لجنة تخطيط الحدود بين الدولة العثمانية و ايران في 1849 ـ1852 چيريكوف الحدود نفسها تقريبا لايالة شهرزور في ملاحظاته التي نشرها سنة 1857، و هي ايالتا الموصل و حكاري (هكاري) شمالا، و ايالة بغداد جنوبا، و نهر دجلة غربا، والحدود الايرانية شرقا. و كانت الايالة تتألف، كما ورد في

---

[78] المصدر نفسه، ص 60.

[79] الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، القاهرة، 1986، ص 118.

ملاحظاته، من سناجق كركوك و اربيل و كويسنجق و السليمانية و رواندوز و حرير، اما "مركزها فكانت مدينة كركوك"[80]. و بحكم واقع حجمها، و امكاناتها تحولت "ايالة شهرزور" الى "الند الأكبر لايالة بغداد" قبل ان تتعزز السلطة المركزية في العهد العثماني[81].

سجل اهم مصدرين عثمانيين كلاسيكيين هذه الحقائق بصورة واضحة، لا لبس فيها. المصدر الأول هو كتاب "سياحتنامه" للرحال التركي الشهير اوليا چلبى[82] الذي زار المنطقة بنفسه، و درسها عن كثب في القرن السابع عشر، أي بعد مرور قرن على دخولها في حوزة العثمانيين ورد في الصفحة 74 ــ 75 من الجزء الرابع من كتابة "سياحتنامه" ان تسع ولايات في عهده كانت تؤلف كردستان، و هي ارضروم و وان و هكاري (حكاري) و دياربكر و جزير (جزيرة ابن

---

[80] E. I. Chirikov, Putevoy Journal Russkovo Comisar Posreed- nika po Turtsko- Persidskomy Razgranichenio 1849-1852 gg., "Zapiski Kavkzskovo Otdelenia Imperatorskovo Russkovo Geographicheskovo Obshestva", Kn., IX, Tiflis, 1857, P. 457.

[81] S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, P. 209. (في الترجمة العربية: ص 251).

[82] هو محمد بن ظلي درويش المعروف باوليا چلبى) من مواليد اذار 1611، تختلف المصادر في تحديد سنة وفاته بين 1679 و 1682 و 1683. قام برحلات طويلة الى ممتلكات الدولة العثمانية وغيرها، وسجل ملاحظات دقيقة عنها نشرت في عشرة اجزاء في ستانبول في غضون الفترة الممتدة بين عامي 1896 و 1938.

عمر) و العمادية و الموصل و شهرزور (وكانت كركوك تدخل ضمنها) و اردلان، و قال عنها ان "المرء يحتاج الى سبعة عشر يوما لقطعها"[83]. وحسبما ورد في الصفحة 188 من الجزء الأول من "سياحتنامه" فان ايالة شهرزور كانت مقسمة في القرن السادس عشر على عشرين سنجقا. و كان السنجق يقابل اللواء، او ما يعرف بالمحافظة حاليا، وكان يؤلف الوحدة الاساسية في ادارة الايالة او الولاية في العهد العثماني.

أكد كاتب چلبى، و هو جغرافي و بيبليوغرافي تركي معروف[84]، عاصر اوليا چلبى، جانبا كبيرا من الحقائق نفسها في الص 445 ـ 448 من كتابة "جهان نما". و حسب قائمة الأخير ارتفع عدد سناجق ايالة شهرزور في منتصف القرن السابع عشر الى 32 سنجقا، اهمها قاطبة كان سنجق كركوك، و هو سنجق او مقر الباشا، لذلك كان يطلق اسمه احيانا على كل ايالة شهرزور، فيسمى ايالة كركوك. و كانت السناجق الاخرى الداخلة بضمنها كردية جميعها ايضا، اهمها، فضلا عن منطقة شهرزور نفسها، اربيل و حمرين و كويسنجق و حرير و شهربازار (چوارتا

---

[83] عن ذلك ينظر كذلك في الطبعة الاخيرة من "دائرة المعارف الاسلامية".
Th. Bois, Kurds, Kurdistan, -"The Encyclopedia of Islam". Leiden, 1981, P. 439.

[84] هو مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة المعروف بكاتب ضلبي، ولد سنة 1609 وتوفي سنة 1657.

حاليا) و مرگه (في قضاء پشدر) و مخمور، بل و حتى اشتو التي تدخل حاليا ضمن الاراضي الايرانية.

اقرت هذه الحقائق، الثابتة تأريخيا، المصادر الرسمية و الدراسات الجامعية العراقية مرارا[85]، منها آخر مصدر موسوعي اصدرته وزارة الثقافة والاعلام سنة 1985[86]. كما يقر الشيء نفسه المؤرخون المختصون العرب من غير العراقيين، منهم الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار الذي ذكر في كتابه "تأريخ العراق الحديث" الآتي نصه:

"و عندما اكتمل الفتح العثماني للعراق اصبح يتألف من اربع ولايات عي الموصل و شهرزور و بغداد و البصرة.. و الى الشرق من ولاية الموصل كانت توجد ايالة شهرزور (كردستان).. اما ايالة شهرزور (كردستان) فلم تعمر طويلا (اداريا)، ويرجع ذلك الى ان السلاطين العثمانيين اتبعوا سياسة الاعتراف بحكم العصبيات المحلية. وكان كردستان مليئا بالامارات والعشائر الكردية السنية التي وقفت في وجه الغزو الفارسي، وشدت ازر العثمانيين خلال حروبهم ضد الفرس. وعلى رأس هذه الامارات الامارة السورانية والبهدينانية والبابانية، فأبقوا هؤلاء الامراء على اماراتهم، وكانت لاتزال امارات صغيرة. ولكن هذا

---

[85] ينظر على سبيل المثال: "الدليل العراقي الرسمي لسنة 1936"، ص 50-52؛ خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني، ص 61-62.

[86] في النص: منها.

النظام تطور الى استبداد هؤلاء بالسلطة، حتى لم يعد للولاة اية قدرة على ادارة الأمور هناك، فترك العثمانيون امر كردستان لامرائه تحت اشراف ولاة بغداد. وكانت كركوك مقر هذه الايالة"[87].

سجلت اهم دوائر المعارف المهتمة بقضايا العالم الاسلامي الحقائق ذاتها. ففي مقالة "كركوك" في الطبعة الاولى لـ "دائرة المعارف الاسلامية" ورد ان "ولاية شهرزور ضمن 32 سنجقا، كانت كركوك واحدة منها و تحولت مدينة كركوك منذ ذلك الوقت الى المقر الرسمي لباشوات شهرزور"[88].

كان ولاة شهرزور، وحكام كركوك الاوائل من الزعماء الكرد المعروفين في زمانهم. فان اول وال لايالة شهرزور في العهد العثماني كان الزعيم الاردلاني بيطة بك. كما ان اول حاكم (محافظ) عين لسنجق كركوك في عهد سليمان القانوني كان مأمون بيك بن بيطة بك بمرتب قدره 300 الف اقضة سنويا كما هو مثبت في مذكرات مأمون بيك نفسه الذي كتبها في العام 1574 باللغة التركية، وهي عبارة عن "مخطوطة نفيسة" عثر عليها في مكتبة المجمع العلمي العراقي الباحث

---

[87] **الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار، تأريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، القاهرة، 1968، ص 7-8.**

[88] J.H.Kramers, Kirkuk, - "The Encyclopedia of Islam", Vol. II, p. 1028.

التركي عصمت پارماقستر اوغلو، فحققها، و نشرها في مجلة "بولتن" في العام 1973[89].

عقب وفاة بيطة بك، والد مأمون بك، في العام 1550 ملح الأخير ايالة شهرزور. كما ان محمدا، نجل مأمون بك "عمل هو ايضا فترة من الزمن" محافظا للواء (سنجق) كركوك. و يبدو واضحا من مضمون المخطوطة نفسها ان الامراء الكرد كانوا يؤدون في ذلك العهد الدور الحاسم في تعيين ولاة كركوك و حكامها[90]. و هنا يجدر بنا ان نشير ايضا الى ان الصفويين حين اعادوا سيطرتهم على المنطقة في عهد الشاه طهماسب الأول (1524-1576) بصورة مؤقتة فانهم عهدوا حكم كركوك الى زعيم كلهري كردي[91].

لم يطرأ تغيير يذكر على الواقع الاداري لكركوك و توابعها ضمن ايالة شهرزور على مدى حقبة تأريخية طويلة في ظل الحكم العثماني. فبعد ان استعاد السلطان مراد الرابع العراق في العام 1638 من الصفويين الذين كانوا قد احتلوه في عهد الشاه عباس الكبير (1587 - 1629)، لم يجر أي تغيير على التقسيم الاداري للبلاد سوى ماجرى من

---

[89] التفاصيل تنظر: "مذكرات مأمون بك بن بيطة بك"، نقلها الى العربية وعلق عليها محمد جميل الروذبياني و شكور مصطفى، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1980، ص 10،7،3، 12، 60-62، 76،74.

[90] المصدر نفسه، ص 10-11.

[91] عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، ص 252.

دمج ايلة البصرة بايالة بغداد، فأصبح العراق يتألف من ثلاث ايالات هي بغداد و الموصل و شهرزور. ولكن في اوائل القرن الثامن عشر انفصلت ايالة الموصل عن باشا بغداد، و خضعت زمنا لايالة دياربكر، كما انفصلت من بعدها ايالة شهرزور مع مركزها كركوك[92].

في تلك المرحلة كانت سلطة پاشا بغداد، في كل الاحوال، سلطة اسمية بالنسبة لايالة شهرزور، الظاهرة التي لاحظها المراقبون الاجانب ايضا. ففي عهد اقوى الولاة واشهرهم في تلك الايام، ونقصد به داود پاشا (1816 - 1831)، الذي قيل عنه ان العراق اصبح "في عهده، و لاول مرة بلدا موحدا وقويا" سجل الرحالة الانطليزي جيمس ريموند ولستيد[93]. الملاحظة الآتية:

"لقد اتسعت سلطة الولاية اسميا اثناء زيارتي، فراحت تمتد من البصرة جنوبا الى ماردين شمالا". ثم يضيف "غير ان الكثير من هذه الاراضي يحتله البدو الاكراد الذين كان اعترافهم بسلطان الپاشا اسميا وليس حقيقا"[94].

---

[92] "الدليل العراقي الرسمي لسنة 1936"، ص 50؛ "دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960"، ص 93.

[93] في كتابه:

J.R.Wellsted, Travels to the City of Caliphs, London, 1840.

[94] "رحلتي الى بغداد في عهد الوالي داود باشا" للرحالة الانطليزي جيمس ريموند ولستيد، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، بغداد، 1984، ص 64،7.

استوجبت التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية العميقة التي شهدتها الامبراطورية العثمانية منذ العقود الاولى من القرن التاسع عشر اثر اندماجها بالآسواق الرأسمالية العالمية، اجراء اصلاحات ادارية امتدت آثارها، بطبيعة الحال، الى الايالات العراقية ايضا، لكن دون ان يترك ذلك أي اثر ملموس على الرابطة القومية و الادارية بين المناطق الكردية بما فيها كركوك و توابعها.

صدر قانون اداري جديد للايالات العثمانية في تشرين الثاني 1864 في ضوء القانون الاداري الفرنسي، و الذي استهدف اعادة تنظيم الايالات. و تعزيز ربطها بالمركز. و في كانون الاول سنة 1870 صدر نظام ادارة الايالات على اساس القانون الجديد. طبق مدحت باشا الاسس الادارية الجديدة في عهد ولايته على العراق (1869 - 1872).

قسم مدحت پاشا العراق الى ايالتين، هما بغداد و الموصل، قد خلت كردستان العراق برمتها، استثناء خانقين و توابعها، ضمن ايالة الموصل التي اصبحت تتألف من ثلاثة الوية هي الموصل و كركوك و السليمانية. و قد ضم لواء كركوك قضاء كركوك مع نواحي داقوق و التون كوپرى و طيل و ملحة و شوان، فضلا عن قضاء اربيل مع ناحيتي سلطانية و دزهيى، و قضاء رواندز مع نواحى حرير و قوش تپه و بالّەك و شيروان، و قضاء رانية مع ناحية بيتواته، و قضاء صلاحية (كفري) مع ناحية طوزخورماتو و قرەتپه، و قضاء كويسنجق مع ناحية باليسان و شقلاوة، بمعنى ان الجزء الأكبر من اقليم شهرزور التأريخي بقي مرتبطا

بكركوك، بل استمرت المصادر تنعت مدينة كركوك بـ "عاصمة شهرزور"[95]. و جاء في القرار الصادر في عهد مدحت باشا: "2- كركوك، ويسمى لواء شهرزور"[96]. و في التاسع عشر من رجب سنة 1289 للهجرة، الموافق للثاني و العشرين من ايلول سنة 1872 نشرت صحيفة "زوراء" الرسمية قرارا يقضي بجعل متصرفية السليمانية قضاء، او قائمقامية ربطت بدورها بلواء شهرزور، أي كركوك[97]. و على الرغم من أن مفعول هذا القرار لم يدم طويلا، الا انع يعكس مدى الرابطة العضوية القوية بين كركوك و بقية المناطق الكردية في العراق، الظاهرة التي سوف نلاحظها ثانية في عهد الانتداب البريطاني على العراق بالنسبة للروابط الادارية بين كركوك و السليمانية.

و على الرغم من الاصلاحات الادارية في عهد مدحت باشا فان مصطلح "ايالة شهرزور" لم يختف من نصوص القوانين والتعليمات العثمانية اللاحقة، و بارتباط مباشر بكركوك. ففي القانون الصادر من الباب العالي "بتأريخ 1308 الموافق 1891 ميلادية" ظهر اسم "ايالة شهرزور"، مع تحديدها على اساس انها عبارة "عن لواء كركوك بما فيه

---

[95] ينظر على سبيل المثال:
J.H.Kramers, Kirkuk, - "The Encyclopedia of Islam", Vol. II. P. 1028.

[96] عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء السابع، ص 168.

[97] نشر المؤرخ العراقي المعروف عباس العزاوي بدوره هذه المعلومة في الص 13 من الجزء الثامن من كتابه المصدر "تأريخ العراق بين احتلالين".

لواء اربيل"[98]. ثبتت الحقيقة نفسها في الكتب المدرسية العثمانية. فقد ورد في كتاب "الجغرافية" من تأليف أحمد بك حمدي، المنشور في شعبان 1288هـ/ تشرين الاول 1871م، و الذي كان يدرس رسما في المدارس التركية ان الوية العراق كانت "بغداد و الموصل و سليمانية و شهرزور، أي كركوك و في ضمنه اربيل، و ديوانية و بصرة ومنتفك و كربلاء"[99].

لم يتغير هذا الواقع لغاية الحرب العالمية الاولى كما هو مثبت في السالنامات العثمانية التي تعد اهم مصدر بالنسبة لمثل هذه الموضوعات. فبموجب سالنامه 1911/1329 كان سنجق كركوك يتألف من اربيل و رواندوز و كويسنجق و رانية و الصلاحية (كفري) جميع توابع هذه البلدات[100].

كما ورد في مصدرين رسميين عراقيين، الاول منهما من العهد الملكي، و الثاني من العهد الجمهوري، الآتي نصه بهذا الخصوص:

---

[98] مقتبس في: "تقرير حزب الامة عن قضية الموصل. رفعت الهيأة المركزية لحزب الامة هذا التقرير الى لجنة الحدود التي انتدبتها عصبة الامم لحل مشكلة الحدود بين دولتي العراق وتركية"، بغداد، 1342 هـ- 1925 م، ص 23.

[99] مقتيس في المصدر نفسه، ص 17.

[100] عن ذلك ينظر كتاب الامين العام السابق للجميع العلمي العراقي الدكتور وسف عزالدين، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، الطبعة الثانية، بغداد، 1976، ص 7.

"قبل الحرب العظمى (القصد الحرب العالمية الاولى) كانت تقسيمات العراق الادارية هكذا:

1-ولاية بغداد..

2-ولاية الموصل:

أ-متصرفية الموصل: مركزها الموصل، اقضيتها الموصل، دهوك، زاخو، زيبار، عقرة، سنجار.

ب-متصرفية شهرزور: مركزها كركوك، اقضيتها كركوك، اربيل، رانية، رواندوز، كويسنجق، كفري.

ج-متصرفية السليمانية:.."[101].

سجلت افضل المصادر الجغرافية العراقية في العهد الملكي هذه الحقيقة بجذافيرها. ورد في كتاب "مفصل جغرافية العراق" للفريق الأول طه الهاشمى (1888 - 1961) رئيس اركان الجيش العراقي و رئيس الوزراء العراقي الأسبق، و الأخ للزعيم السياسي العراقي القومي المعروف ياسين الهاشمي، ان "ولاية الموصل" كانت تنقسم "قبل الحرب الكبرى" الى "ثلاث متصرفيات" و هي:

1-متصرفية الموصل..

2-متصرفية شهرزور: مركزها كركوك، واقضيتها ست، وهي كركوك، اربيل، رانية، رواندوز، كويسنجق، كفري"[102].

---

[101] "الدليل الرسمي العراقي لسنة 1936"، ص 51-52؛ "دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960"، ص 94.

اتحذت صلات كركوك و توابعها السياسية و الادارية في العهد العثماني طابعا آخر، خاصا ارتبط بتأريخ الامارات الكردية الذي امتد حتى اواسط القرن التاسع عشر.

كركوك و الامارات الكردية في العهد العثماني

لم تنقطع علاقات كركوك و توابعها بالامارات الكردية، و التي ظهرت بوادرها في العصور الاسلامية المتأخرة كما سبق الذكر. فبالسنبة للامارات الكردية الحديثة (اردلان، بابان، سوران) انها (كركوك وتوابعها) اما كانت تتحول الى جزء منها، او الى مسرح لأهم احداثها، و وقائعها.

قبل كل شيء لاحظنا ان الاردلانيين هم الذين تولوا حكم كركوك وتوابعها في عهد سليمان القانوني في النصف الأول من القرن السادس عشر. في مقالته "كركوك" في "دائرة المعارف الاسلامية" يقول كريمر، و هو من كبار المستشرقين باعتراف المصادر العربية المتخصصة[103]، عن نفوذ الاردلانيين في كركوك مانصه:

"ان السادة الحقيقيين للمنطقة (كركوك و توابعها) كانوا، على أي حال، الزعماء الكرد في مقاطعة اردلان"، و هو يستند في كلامه هذا الى

---

[102] طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، الطبعة الاولى، بغداد، 1930، ص 550.

[103] نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف بمصر، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1965، ص 670-671.

الص 45 من مصدر عثماني كلاسيكي اصيل هو "جهان نامه" للحاج خليفة الذي سبقت الاشارة اليه[104].

و حسب لونگريگ، و هو من افضل من درس تأريخ العراق الحديث و المصادر، ان "پاشا كركوك العثماني" كان يضطر احينا الى ان ينسحب من كركوك ويترك امورها لخان احمد خان زعيم امارة اردلان (توفي سنة 1636) الذي كان له، ولزعماء كرد آخرين، دورهم الكبير في الصراع العثماني الصفوي حول المنطقة في النصف الأول من القرن السابع عشر[105]. و على الرغم من ان الاردلانيين كانوا يعلنون ولاءهم للصفويين، و للعثمانيين احيانا[106]، الا انهم كانوا يتمتعون بقدر كبير من الاستقلال[107]. و لابأس ان نشير ايضا الى ان هناك رأيا علميا يرجع

---

[104]" The Emcyclopedia of Islam", Vol. II, p. 1028.

[105] S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, PP. 45, 63-67, 98.

في الطبعة العربية ص 64، 85-90، 125.

[106] R.N.Frye, Ardalan, "The Encyclopedia of Islam", Vol, I, Lieden- London, 1960, P. 626.

[107] The Encyclopedia of Islam", Vol. I, Lieden- London 1913, P. 427.

ان يكـون الاردلانيـون مـن الكاكـائيين بالأصـل[108]، وكمـا لايخفـى فـان الكاكائيين يؤلفون جزءا اساسيا من سكان توابع كركوك.

و حين ابعد الاردلانيون عن المنطقة في اواخر القرن السابع عشر ــ اوائل القرن الثامن عشر سيطر البابانيون عليها[109]. لكن اسم البابانيين ارتبط بها قبل ذلك التـأريخ بمـا لايقـل عـن قـرنين مـن الزمـان. فقبـل انتقال المنطقة الى ايدي العثمانيين بردح من الزمن انتقل حكم كركوك الى البابانيين. ومما يذكر بهذا الصدد ان "شرفنامة" حينمـا تـأتي علـى ذكر "امراء بابان" يقول عن "پيربوداق بن مير ابدال" الاتي نصه:

".. و ارسـل عـدة عمـال ومـوظفين بلقـب مـير سـنجق مـن قبلـه الى الاطراف و الجوانب، و منحهم الطبل و العلَمْ، فنشر بذلك الوية العدل و الادارة الجازمة من تلك الارجاء. ثم عمد الى ناحية كركوك، مـن اعمـال بغداد، فنزعها منهـا، و اسـند ادارتهـا لاحـد عمالـه الملازمـين لـه. و لقـد ابدع في فن الحكم والادارة بعـض القواعـد والأصـول الـتي لم يسـبق اليهـا احد من حكام كردستان"[110].

---

[108] عن ذلك ينظر في "مجلة المجمع العلمي العراقي. الهيئة الكردية"، العدد العاشـر، 1983 ص 415 (الهامش رقم 228) و ص 424-425 (الهامش رقم 263).

[109] V. Minorsky, Shehrizur, "The Encyclopedia of Islam, Vol. IV, Lieden - London, 1936, P.345.

[110] "شرفنامه"/ طبعة القاهرة ص 277، طبعة بغداد ص 289-290، الطبعة الروسية ص 330.

كما ان بعض الباحثين المعنيين حين يتحدثون عن المقاطعات الكردية التي اعلنت ولاءها للعثمانيين بوساطة ادريس البدليسي في مطلع القرن السادس عشر يطلقون على شهرزور، بما فيها كركوك واربيل وتوابعها، اسم "مملكة او امارة بابان"[111]. ومما يجلب الانتباه ان المصادر العثمانية تشير الى وجود البابانيين حتى في ماردين والرها[112].

شهدت الامارة البابانية في اواخر القرن السابع عشر و اوائل القرن الثامن عشر سلسلة تطورات مهمة بارتباط مباشر بكركوك بصورة رسمية، و ذلك بعد ان اضطر الامير الباباني سليمان بك بن مامند الى اللجوء الى العثمانيين تحت ضغط الصفويين، مع العلم انه كان الى ذلك الحين "لايعبأ بالسلطان و لا بالشاه"[113]. لكن مصير كركوك و توابعها ظل يتقرر، مع ذلك، بتأثير مباشر من زعماء المنطقة من الكرد. فبعد ان عجز باشا كركوك دلاور في ردع زعماء شهرزور، و دفع رأسه ثمنا، بدأت كركوك تعترف بالتبعية لباشوية بغداد بناء على طلب الزعماء انفسهم، فأوفد باشا بغداد الى"، كركوك متسلما"و كانت هذه المرة الاولى التي تعترف بها كركوك او الموصل بسلطة بغداد باعتبارها اكبر من

---

[111] ينظر على سبيل المثال:

Safrastian, Kurds and Kurdistan, P. 103.

[112] عن ذلك ينظر: الدكتور ابراهيم الداقوقي، اكراد الدولة العثمانية، ص 37.

[113] S. H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, PP. 80-81.

و في الترجمة العربية ص 105-106

مجرد جارة متساوية"[114]. لكن التبعية هذه بقيت، مع ذلك، اسمية على مدى حقبة طويلة من التأريخ. يقول لونگريگ عن حوادث تلك المرحلة:

"كانت باشويتا الشمال الموصل وشهرزور (وعاصمتها كركوك) على طول هذه المدة مستقلتين عن باشا بغداد الا عندما كانت تصدر الاوامر السلطانية بالتعاون و التآزر"[115].

لم يطرأ تغيير كبير على هذا الواقع طيلة جانب كبير من القرن الثامن عشر. ففي بداية ذلك القرن كان نفوذ امارة بابان" يمتد من كركوك الى همدان"[116]. و في خصم الصراع بين الزعماء البابانيين تحولت كركوك و توابعها الى ساحة للعمليات العسكرية، والى نقطة لتجمع القوات الموجهة الى المنطقة من قبل الأطراف المختلفة، بل انها تحولت الى مقر اقامة عدد من الامراء البابانيين، منهم عبدالله ثاشا[117].

و في مرحلة الاصلاحات التي عاشتها الدولة العثمانية، و ما اسفر عنها من تعزيز السلطة المركزية في اواسط القرن التاسع عشر، شهدت

---

[114] I bid, PP. 93-94. 119 في الطبعة العربية ص

[115] I bid, P. 95. 121 في الطبعة العربية ص

[116] I bid, P. 159 .193 في الترجمة العربية ص

[117] I bid, PP. 158 F, 178-180, 182F, 20F- 209, 227, 233, 246

في الترجمة العربية ص 282-284، 288، 293-294، 297 وغيرها؛ عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء الرابع، ص 168-170.

المنظقة تقلصا واضخا لنفوذ الامارات الكردية التي بدأت تلحق اداريا بكركوك و الموصل بصورة فعلية تبعا لازدياد نفوذ العثمانيين على حساب تلك الامارات[118].

سجل جميع الرحال الاجانب، الذين زاروا المنطقة في اوقات مختلفة، هذه الحقائق، مع غيرها بشيء من التفصيل نأتي على جوانب قسم منها في مكان آخر من هذه الدراسة. نقتصر هنا على ذكر ثلاثة نماذج فقط، الأول منها ما أورده الرحالة الانكليزي جيمس بيلى فريزر في كتابه الذي نشر بجزأين بعنوان "رحلات في كردستان وبلاد مابين النهرين"[119] على اثر سياحته فيهما سنة 1834. و لكلام فريزر اهميته لالمجرد كونه شاهد عيان، بل ايضا بوصفه "رجلا مهنته الكتابة"، سافر "من استانبول الى ايران بمهمة ديبلوماسية و قطع المسافة على ظهور الخيل و لانه كان يسجل في رسائل متتالية الى زوجته "بشيء غير يسير من التفصيل.. كل ما كان يرى في طريقه، او يفكر فيه" حسب وصف افضل مترجم عراقي له[120].

---

[118] I bid, P. 280 .336 في الترجمة العربية ص.

[119] J.B.Fraser, Travels in Kurdistan and Mesopotamia, London, 1840.

[120] المقصود جعفر خياط، من مقدمته لذلك الجزء من كتاب فريزر الذي عربه ونشره بعنوان "رحلة فريزر الى بغداد في 1834"، 6. اما عن كون "مهنته فريزر الكتابة" فقد اشار الى ذلك لونطريط. ينظر:

في رسالته الثالثة المؤرخة في السابع عشر من تشرين الأول 1834 يقول فريزر عن محمد باشا، امير رواندز، انه "مديده ايضا الى الغرب والشمال، و توقف في ذلك، بحيث اصبح الان مسيطر على قسم كبير من شمالي مابين النهرين، الى جانب الاصقاع الممتدة من اربيل الى كركوك في الجانب االشرقي من دجلة".

قبل فريزر باربع عشرة سنة استقبل محمد اغا، الذي كان يشغل منصب "ايشك اغاسي" (رئيس التشريفات" في ديوان الامير الباباني محود باشا، استقبل باسم الامير المقيم البريطاني في بغداد كلوديوس جيمس ريض في طوزخورماتو يوم التاسع والعشرين من نيسان عام 1820 وهو في طريقه الى مقر الأمير في السليمانية. يقول ريض عن محمد اغا انه "عين مهماندارا لنا، وجلب لي (الى طوزخورماتو) رسالة رقيقة جدا من محمود باشا"[121].

اما الميجر سون الذي زار المنطقة متنكرا في سنة 1908 فقد ذكرما يأتي عن امير كردي آخر:

S.H.Longrigg, Four centuries.., P. 337.

[121] C. J. Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I, London, 1. 36, P. 33.

"وبعد سنوات قليلة امتلك محمد باشا، و هو من البابانيين ايضا، سطوة عظيمة في روانـدوز، و طالب بدوره بالاستقلال القومي، و استطاع ان يمتلك بلاد مابين النهرين العليا، واربيل وكركوك فعلا"[122].

تحتل هذه الحقائق، في الوقت نفسه، مكانة بارزة في الدراسات الأكاديمية التي كرست لتأريخ المنطقة الحديث، الاجنبية منها والعربية على حد سواء، لقد تطرق اليها البروفيسور خالفين[123]، والدكتور جليلي جليل[124] و آخرون غيرهما.

و يهمنا ان نسجل هنا بصورة خاصة ماذكره بهذا الصدد عدد من الباحثين العرب من عراقيين و غيرهم. فحسب الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار "امتد نفوذ امارة بابان[125] الى كركوك التي كانت قاعدة ايالة شهرزور. و يرجع الغاء هذه الايالة من التقسيمات الادارية للعراق الى ان الامارة البابانية اصبحت هي القوة البارزة في تلك الجهات. نظرا

---

[122] E. B. Soane, To Mesopotamia and Kurdistan in disguse with historical notices of the Kurdish Tribes and Chaldeans of Kurdistan, Second Edition, London, 1926, PP. 371-372.

في الترجمة العربية لفؤاد جميل، الجزء الثاني، بغداد، 1971، ص 148.

[123] N. A. Khalfin, Borba za Kurdistan, Moscow 1963, P. 18.

[124] J.Jalil, Kurdi Osmanskay Imperii v perrvoy polovne xix veka, moscow, 1973, PP. 52, 60.

125

لاتساع هذه الامارة خلال الجزء الأخير من القرن الثامن عشر و اوائل القرن التاسع عشر اصبح يطلق على الحاكم باباني اسم باشا كردستان"[126].

يقول المؤرخ و الديبلوماسي العراقي الدكتور علاء موسى كاظم نورس "و أخذت الاسرة البابانية تتوسع على حساب الامارات المجاورة لها مثل الصورانية و البهدينانية، حتى اصبحت تسيطر على رواندوز و كفري و كويى و حرير و قزلجة و سروجك و قرەداغ و أربيل، و امتد نفوذها الى كركوك. و هكذا توسعت الامارة البابانية التي اصبحت تعرف في التأريخ العثماني باسم بابان اوجاغلقي"[127]. و يقول ايضا:

"و قد بلغ البابانيون ذروة مجدهم في عهد عبدالرحمن الباباني الذي تولى امارة بابان سنة 1788 (بلغت مدة حكمه اربعا وعشرين سنة تقريبا)، فقد كانت اطماعه السياسية، و مطامحه القومية ترمي دائما الى تأسيس حكومة مستقلة في العراق، فاجتهد في سبيل ذلك كثيرا، حيث اشتبك مع قوات بغداد في عدة معارك، و كاد أن ينتصر في احدى معاركه الفاصلة على قوات بغداد في معركة جوار كفري سنة 1812 لولا ان الفشل لحق به في النهاية. و لم يكن عبدالرحمن الباباني

---

[126] الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار، تأريخ: العراق الحديث، ص 112-113.

[127] علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق 1750-1831، بغداد، 1975، ص 164-أصل الكتاب رسالة جامعية قدمت الى كلية الاداب جامعة بغداد في العام 1973 لنيل شهادة الماجستير.

يعمل على تحقيق هدفه بالاستقلال عن بغداد فحسب، بل كان طامعا بباشوية بغداد ايضا.. ثم انه بلغ من القوة بحيث انه هو الذي نصب الوالي المملوك عبدالله باشا على بغداد"[128]. و يقول عن الأمير الباباني محمود الذي تولى الامارة بعد وفاة والد عبدالرحمن الباباني المذكور في سنة 1813 انه طالب الوالي داود باشا الموافقة على ضم اربيل والتون كوبري، اللتين تقعان الى شمال و الشمال الشرقي من كركوك، الى امارته[129].

و سجل الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف في كتابه "الموصل في العهد العثماني" الملاحظة الدقيقة التالية التي لها مغزاها العميق بالنسبة لموضوعة علاقة كركوك و توابعها بالامارات الكردية الحديثة. يقول الدكتور، و هو بدوره متخصص عراقي معروف في تأريخ العراق الحديث، و عضو سابق للمجلس الوطني الحالي:

"و في عام 1812م/ 1227هـ قرر و الي بغداد الجديد عبدالله باشا عزل عبدالرحمن پاشا الباباني عن الوية كوي و حرير، بعد ان كان قد حرمه ـ في العام السابق ـ من منصب لواء بابان نفسه. و عندما زحف

---

[128] المصدر نفسه، ص 166.

[129] المصدر نفسه، ص 166-167.

والي بغداد بجيشه الى كركوك وجد بان جميع روؤساء المدينة واطرافها وعشائرها يتعاونون سرا مع عبدالرحمن باشا"[130].

اما فيصل محمد الارحيم الذي نالت رسالته للماجستير "تطور العراق تحت حكم الاتحاديين "تقدير ممتاز من جامعة عين شمس بالقاهرة، فأنه يقول عن الموضوع نفسه:

"فقد توسعت هذه الامارة (البابانية) كثيرا، و امتد نفوذها حتى شمل كركوك، قاعدة ايالة شهرزور.. و في اوائل القرن التاسع عشر بلغت هذه الامارة اكبر اتساع لها، واصبح الحاكم البابانى يطلق عليه باشا كردستان.."[131].

لم تكن هذه الامور، دون ريب، مرتبطة فقط بواقع سكاني و جغرافي محدد، بل و انها نجحت، في الوقت نفسه، وفي سياق عام لاخاص يتجاوز عادة حدود الزمان و المكان، عن واقع اقتصادي مرتبط بهما بصورة موضوعية.

الواقع الاقتصادي لكركوك وتوابعها

---

[130] عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي 1139-1249 ه / 1726-1834 م، النجف، 1975، ص 150.

[131] فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين (1908-1914)، الموصل، 1975، ص 83.

لاسباب شتى لم تؤد كركوك تأريخيا دورا اقتصاديا متميزا، و يكمن في ذلك احد الاسباب الاساسية لعدم شهرتها حتى القرن العشرين على العكس تماما من الموصل مثلا. فكما اسلفنا كانت صلات بغداد بكركوك ضعيفة في العصور الاسلامية الاولى، اذ قلما استخدم يومذاك الطريق البري الممتد من بغداد الى كفري ـ داقوق ـ كركوك ـ اربيل للوصول الى الموصل. ولكن شجع الخراب الذي اصاب شاطيء دجلة و المناطق المحاذية له على تطوير ذلك الطريق في العهد العثماني، الا انه حتى يومذاك سلك اوليا ضلبي الطريق المحاذي لدجلة في سفرته من تركيا الى بغداد، و العودة منها كما هو مثبت في الصفحة السادسة من الجزء الخامس من "سياحتنامه"[132].

لكن كركوك و توابعها الفت، مع ذلك، نقطة تمويل و تلق تجاري مهما بالنسبة للمناطق الكردية منذ اقدم الازمنة في نطاق تجارتها المحدودة اصلا. جاء وصف كركوك في "دائرة المعارف البريطانية" باعتيارها "واحدة من اهم مراكز التسويق الرئيسة في كردستان"[133]. و ورد في طبعة أحدث لدائرة المعارف البريطانية بهذا الخصوص ما نصه

---

[132] عن ذلك ينظر ايضا في:

J.H.Kramers, Kirkuk, "The Encyclopedia of Islam", Vol.II, P. 1028.

[133]" Encyclopedia Britannica?, A New Survey of Universal Kno Wledge, Vol. 13, Chicago- London- Toronto, 1947, P. 414.

(تعد كركوك سوقا للمنتوج الزراعي للمنطقة.. ومركزا لتصدير الصوف والحبوب والمواشي والحفص والصمغ المنتج في مرتفعات زاگروس"[134]. وردت اشارات واضحة الى الحقيقة نفسها في كتب الرحلات. لاحظ الوكيل الرسمي الفرنسي گ. أ. اوليڤييه (G.A.Olivier) في العام 1791 القوافل المتوجهة من المناطق الكردية الشمالية، و من الموصل الى اربيل و كركوك[135].

تطلب ذلك، فضلا عن العوامل السوقية (الستراتيجية) المعروفة، ضمان اتصال وثيق بين كركوك والمناطق الاخرى، الامر الذي تتوفر عنه دلائل واضحة من مختلف العصور. فقبل ظهور الاسلام بقرون اقتضت العلاقات بين كركوك واربيل تأسيس جسر على الزاب الصغير عند موقع التون كوبرى، او بالقرب منه، اطلق عليه السكان المحليون اسم "پردێ" الذي يعني الجسر في الكردية، ليغدو بالتدريج اسما مرادفا للمنطقة باسرها. وكان الجسر موجودا في القرن السادس عشر عندما

---

[134] " Encyclopedia Britannica", Vol. 13, Chicago- London, 1965, P. 388.

[135] "رحلة اوليفية الى العراق"، ترجمة الدكتور يوسف حبي، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1988، ص 61-62.

مـر بـه السـائح الاوروبـي لئـون راولـف، فسـجل اسـم المنطقـة بصـيغته الكردية (پرسته - پردێ)[136].

تطـورت هـذه الـروابط لاحقـا. فلـم يكـن مجـرد صـدفة ان ظهـر في اواخر العهد العثماني مشروع سكة حديد كان من المقـر لـه ان يبـدأ مـن دياربكر و يمر بالموصل ثم كركوك و ينتهي في السليمانية. و في سـنوات الانتداب حاول البريطانيون تحويـل كركـوك و أربيـل الى قاعـدة لتعزيـز العلاقات الاقتصادية بغربي ايران ــ كردسـتان و اذربيجان، بهـدف شـل روابطهما التقليدية بمناطق القفقاس و ما وراء القفقاس الداخلة ضـمن الحدود السوفيتية. ففـي اواسـط العقـد الثالـث مـن القـرن العشـرين ثـم ارسال قوافل تجارية خاصة من كركوك الى داخل الحـدود الايرانيـة عـن طريـق اربيـل ــ رواندوز و مـن اجـل انجـاح التجربـة ارسـلت سـلطات الانتداب طلبا خاصا الى لنـدن لصـنع جسـرين جديـديين لنصـبهما علـى الانهر التي تعترض الطريق المذكور[137]، وتحـول هـذا الأمـر بالتحديـد الى احد العوامل الاساسية الـتي دفعـت البريطـانيين الى بـذل جهـود خارقـة،

---

[136] للتفصيل عن ذلك ينظر في: "مجلة المجمع العلمي العراقي"، المجلد الرابع، الجزء الثاني، 1375 هـ 1956م، ص 370-371.

[137] " Report by His Britannic Majesty's Government to the Council of the Leayue of Nations on the adminstration of Iraq for the year 1926', London, 1927, P. 28.

واموال طائلة لشق طريق مبلط بذلك الاتجاه، ينتهي عند الحدود العراقية ـ الايرانية[138].

اعتمدت تجارة كركوك اساسا على المنتوج الزراعي للريف لكردي المرتبط بها، فضلا عن المناطق الكردية الاخرى. و اذا استذنينا كبار التجار اليهود، و عددا من التجار المسيحيين فان التجار الكرد والتركمان، و لاسيما الصغار و المتوسطين منهم، كانوا هم المسيطرون دائما على اسواق كركوك و توابعها و ان اللغتين الكردية والتركمانية كانتا لغة التعامل في تلكم الاسواق، و كما هو معروف فان الشورجة –اكبر اسواق كركوك- هي محلة تجارية خاصة بالكرد.

لاحظ معظم الرحالة الذين زاروا كردستان الروابط الاقتصادية القوية لكركوك وتوابعها مع المناطق الكردية الاخرى. في الخامس والعشرين من حزيران سنة 1820 سجل المقيم البريطاني في بغداد كلوديوس جيمس ريض، اثناء زيارته الى كردستان، الملاحظة الآتية في يومياته عندما كان ضيفا على الامير الباباني في السليمانية:

"في الليلة الماضية كنت منهمكا جدا مع عمر اغا لمعرفة المنتوجات الطبيعية في كردستان. ان كركوك هي السوق التي ينقل اليها كل

---

[138] **للتفصيل عن ذلك ينظر:**

A.M.Harnilton, Road through Kurdistan, London, 1937.

نشر المحامي جرجيس فتح الله الترجمة العربية للكتاب ببغداد.

ماينتج في هذا الجزء من كردستان". واكد ريض ايضا ان الذين يقومون بنقل تلك المنتوجات "هم مواطنو كركوك الذين يأتون الى هنا لهذا الغرض، ولعقد الصفقات مع الزراع لشراء ما ينتجونه من رز وعسل وغيرهما.."[139].

و قبل ذلك تحدث ريض ايضاً عن منتوج الملح في طوزخورماتو، و عن تصديره برمته الى المناطق الكردية، و قدر قيمته بعشرين الف قرش في السنة[140]، مما يعد مبلغا له وزنه حسب القوة الشرائية السائدة في ذلك الزمن. كما يبدو من بعض ملاحظات ريض ان انواعاً من البضائع النادرة في عهده كانت تنقل من كركوك الى السليمانية[141].

ان مثل تلك الروابط الاقتصادية القوية هي التي دفعت افراد بعض اسر السليمانية التجارية المعروفة الى اختيار (كركوكي - كركوكلي) لقبا لهم[142].

كما ان الواقع نفسه فرض تشابها كبيرا بين المؤسسات التجارية القديمة في كركوك والمدن الكردية الاخرى، الأمر الذي لاحظه Gavin

---

[139] C.J.RRCH, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I. P. 141.

[140] I bid, Vol. I, P28.

[141] I bid, Vol. II London, 1836, P.3.

[142] M.R.Hawar, The Leader, Sheikh Mahmod and Southern State of Kurdistan, in Kurdish, London, 1990, P. 234.

Young اثنـاء زيارتـه للعـراق في أواخـر السـبعينيات مـن القـرن العشرين[143].

يمكن ملاحظة جوانب أخرى من الموضوع نفسه من خلال ماسجله الرحالة الاجانب الذين زاروا المنطقة، ممن تعد مؤلفاتهم مصادر اصيلة في ميادين التأريخ و الاجتماع و الاقتصاد و السياسة.

كركوك وتوابعها في كتب الرحالة

توجه الرحالة الاجانب الى كردستان في وقت مبكر نسبياً، و زار العديد منهم كركوك و توابعها، و سجلوا ملاحظات دقيقة عنها لها قيمتها العلمية. الخاصة كونها صادرة عن شهود عيان كانوا يتمتعون بثقافة رفيعة حسب مقاييس عصرهم، و عصرنا ايضا. ان ماهو متوفر بين ايدينا من معلومات تلك الرحلات يلقي ضوءا ساطعا على العديد من جوانب الموضوعات التي نحن بصدد معالجتها في هذه الدراسة[144]، و قد سبقت الاشارة الى قسم منها.

تشير المعلومات الواردة في اقدم الرحلات المتوفرة بين ايدينا الى الطابع الكردي لكركوك وتوابعها بوضوح. فان الطبيب والتاجر الالماني

---

[143] G. Young, Iraq: Land of Two Rivers London, 1980 PP. 235- 236, 243.

[144] لاسباب معروفة لم يتسن، للاسف، الاطلاع على جميع كتب الرحلات التي تهم هذه الدراسة.

الدكتور ليونارد راولف الذي زار كركوك وبعض توابعها في اواخر العام 1574، ونشرت رحلته بالانگليزيه في العام 1693[145]، قد حدد لنا في ذلك الوقت المبكر حدود المنطقة الكردية التأريخية، و في عهده كذلك، بصورة دقيقة حين كتب يقول:

"بدأنا مسيرتنا (من بغداد) في اليوم السادس عشر من شهر كانون الأول (سنة 1574) متجهين نحو كركوك التي تبعد مسيرة ستة أيام، و تقع في حدود ماذي (ميديا)، و قد بدأنا السفر من الطرف الثاني لنهر دجلة.. و على مسافة قصيرة من داقوق شاهدنا قلعة محصنة فيها احدى الحاميات التركية، و هذه تقع في منطقة الأكراد التي تبدأ من هنا و تسير بامتاد نهر دجلة بين ماذي (مادي ــ ميديا) و بين النهرين حتى تصل الى ارمينيا". و يقول عن الكرد انفسهم انهم "يتحدثون بلغة خاصة لم يكن رفاقي المسافرين معي[146] يعرفونها، كما ان الاكراد لايستطيعون التحدث لا بالفارسية او التركية الشائعة الاستعمال مابين

---

[145] Pr. Leonard Rauwolff, Travels, collected in "A Callection of Curious Voyages and Travels" (12 Vols) by John Ray, London, 1693 (Quoted in: S. H. Longrigg, Fuor Centuries of Modern Iraq, PP. 33,331).

[146] حتما ان هؤلاء المسافرين كانوا اما عربا او موظفين عثمانيين. ونشير بالمناسبة الى اننا اعتمدنا على ترجمة سليم طه التكريتي لرحلة راولف الذي ينعته المترجم بكونه طبيبا هولنديا، في حين يعده لونطريط طبيبا و تاجرا المانيا كما بينا ذلك في المتن.

بغداد واشور، وذلك اضطررنا الى من يعرفون اللغة الكردية ان يكونوا بمثابة مترجمين لنا اثناء مرورنا ببلاد الاكراد[147].

و حين يصل راولف الى التون كوبري في الثلاثين من كانون الاول 1574 يطلق عليها اسم ثرستة المحرفة من كلمة (پردێ) الكردية التي كان الكرد، و لايزالون يطلقونها اسما على المنطقة[148]. و عندما يصل بعد ذلك الى الزاب الكبير يفعل الشيء نفسه، اذ يطلق اسم "كەڵەك" الكردي على المنطقة، و هو نفس مصطلح "كەڵەكى ياسين اغا" المستخدم حتى يومنا هذا.، يتحدث راولف عن الطابع الكردي لهذه المنطقة على النحو الآتي:

"كان ذلك النهر يعترض طريقنا، وكان عريضا، يبلغ عرضه زهاء الميل و لم يكن من اليسير عبوره دون التعرض الى الخطر و ذلك امر يعرفه الاكراد جيدا، في ذات الوقت الذي كنا نحن نشعر فيه بالخوف من

---

[147] "رحلة المشرق الى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين للرحالة الهولندي الدكتور ليونهارد راوولف"، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1978، ص 192، 196-197.

[148] المصدر نفسه، ص 199، عن ذلك ينظر ايضا في "مجلة المجمع العلمي العراقي"، المجلد الرابع، الجزء الثاني، 1375 ه- 1956م، ص 370-371.

اولئك الاكراد انفسهم، و مع ذلك فقد وجدنا بين جماعتنا ممن سبق لهم عبور ذلك النهر، و هكذا غامرنا في عبوره"[149].

و يبدو واضحا مما سجله الدكتور راولف ان الكرد كانوا مسيطرين حتى ضواحي مدينة الموصل نفسها ــ منطقة اتاوتهم، و كانوا موجودين ايضا على مسافة مسيرة طويلة باتجاه الغرب من الموصل صوب نصيبين وحلب، فانه غالبا مايورد اسم الكرد حيثما يحل في غضون المدة التي تغطي شهر كانون الأول من العام 1574 و كانون الثاني من العام 1575 من رحلته، و باسلوب يجلب النظر تماما[150].

يبدو واضحا من كتب الرحلات الاخرى ايضا ان الكرد كانوا يمتدون بعيدا الى الغرب والجنوب من مناطق تمركزهم الحالية في كركوك وتوابعها، وكانوا موجودين على الضفة الغربية (اليمنى) من نهر دجلة باعداد تجلب النظر.

ففي شباط عام 1652 عندما توجه الرحالة الفرنسي تافْرينيه (Jean Baptiste Tavernier) من الموصل الى بغداد عن طريق نهر دجلة سجل الملاحظة الآتية في اليوم التاسع عشر من رحلته عندما وصل الى نقطة التقاء الزاب الصغير بنهر دجلة مايعرف بالفتحة الواقعة بين شرقاط شمالا و تكريت جنوبا:

---

[149] "رحلة المشرق الى العراق.."، ص 202.

[150] المصدر نفسه، ص 207-209.

"و في ذلك اليوم لم نر غير اعراب وأكراد يسيرون بمحاذاة ضفتي النهر: الكرد في جهة مابين النهرين، و العرب في الجهة الآشورية"[151].

و بعد مرور اكثر من مائة و خمسين عاما عندما يصل ج. س. بكينغهام الى دلي عباس يسجل الملاحظة الاتية التي وردت في الجزء الثاني من كتابه "رحلات في بلاد مابين النهرين"[152].

"لم نر مساكن يقطنها العرب لوحدهم اثناء طريقنا منذ ان تركنا الموصل حتى الان. فالفرسان العرب الذين التقينا بهم في التون كوثرى كانوا في حملة، في حين كان معظم سكنة المدينة من الاتراك والأكراد. اما هنا في قرية دلي عباس الصغيرة (بالقرب من بعقوبة) فان سحن السكان ومظاهرهم ولغتهم وعاداتهم كلها عربية خالصة، وان البدو فيها اكثر من الفلاحين"[153].

في العام 1834 لاحظ فريزر الحقيقة ذاتها باتجاه الجنوب الغربي من كركوك[154]. فبعد ان يترك كفري، و يتوجه صوب بغداد عن طريق حمرين يقول:

---

[151] "العراق في القرن السابع عشر كما راه الرحالة الفرنسي تافرينيه"، نقله الى العربية وعلق حواشيه بشير فرانسيس وكوركيس عواد، بغداد، 1944، ص 73.

[152] J.S.Bakingham, Travels in Mesopotamia, Vol. II, London, 1827.

[153] في الجزء الاول من الترجمة العربية لسليم طه التكريتي الذي طبع في بغداد بمساعدة المجمع العلمي العراقي بعنوان "رحلتي الى العراق سنة 1816"، ص 175.

[154] في كتابة:

"فقد زودنا مضيفنا في كفري سليم اغا بدليل الى المرحلة التالية، لكنه اوصانا بالحاح ان لانبدأ برحلتنا قبل الصباح، و لذلك لم نتحرك قبل بزوغ الفجر. و الحقيقة ان هذه المرحلة كانت مرحلة خطرة، لان الطريق بالنظر لوقوعه على الحدود بين الاكراد و العرب تماما كان يتعرض للسلب والنهب من الفريقين معا"[155].

و عندما يصل فريزر نهايات جبل حمرين يسجل ملاحظة مهمة اخرى، يقول نصها: "فكانت هذه تلال حمرين التي تعد فرعا من جبل حمرين الذي يمتد من كردستان"، و هنا بان له "في الافق البعيد خان دلي عباس"[156].

و قبل فريزر باربع عشرة سنة قدم لنا ريض، اثناء رحلته من بغداد الى كردستان، معلومات مفيدة عن الموضوع نفسه. فانه لم يشر، و منذ دخوله قرةتثة في الساعة الواحدة الا عشرين دقيقة من يوم الرابع و العشرين من نيسان، و كذلك في طريقه من قرةتثة الى كفري التي دخلها في الساعة العاشرة الا عشرين دقيقة صباح يوم الخامس و العشرين من نيسان، لم يشر الى وجود عربي واحد في كل المنطقة، مع

J.B.Fraser, Travels in Kurdistan and Mesopotamia, London, 1890.

[155] "رحلة فريزر الى بغداد في 1834"، ص 62.

[156] المصدر نفسه، ص 64-65.

العلم ان وجود عدد من اليهود في كفري، ممن "كان لديهم معبدهم الخاص هناك"، قد جلب نظره، و اثار دهشته[157].

تكتسب المعلومات التي لاحظها الضابط البريطاني الميجر فردريك مللنجن اهمية خاصة في هذا المضمار. فقد كان مللنجن يعمل بالجيش العثماني، قام برحلة داخل كردستان في العام 1869 فدرسها بقعة بقعة، وتابع كل شيء فيها "من ارضروم حتى قوتور على الحدود الايرانية"، ونشر رحلته بعد عام في كتاب اختار له عنوان "حياة بدائية بين الكرد"[158].

يقول مللنجن "ان النهاية الجنوبية لكردستان تحدد بسلسلة جبال حمرين التي تتاخم سهول بغداد وارض دجلة المنخفضة.. هنا، كما هو الحال على ضفتي نهر دجلة، ادى الاحتكاك المتواصل للكرد مع جيرانهم العرب الى ان يبصم الامر على خصائصهم و اسلوب حياتهم بما يشبه النمط العربي"[159]. و بالنسبة لكركوك نفسها لاحظ مللنجن خضوعها للامير الرواندوزي محمد باشا[160]، الامر الذي اشار اليه بعده رحالة انگليزى اخر هو المجيرسون كما اسلفنا.

---

[157] C.T.Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I, PP. 12-15.

[158] Major Fredrick Millingen, Wild life among the Kurds, London, 1870, CXLLL + 380 PP.

[159] I bid, P. 151.

[160] I bid, P. 186.

في الفصل الرابع عشر من "رحلته المتنكرة الى بلاد مابين النهرين و كردستان" وا لذي يحمل عنوان "الى كركوك"، لايتحدث الميجرسون لا في كركوك، و لا في التون كوپرى، و لا في الطريق الممتد بينهما عن لقائه سوى بمسافر عربي واحد، في حين انه يتحدث بالكردية في كل مكان زاره، ويلتقي الكرد و التركمان حيثما يذهب، ويصف سيطرة عشيرة الهموند الكردية المعروفة، التي تعد واحدة من اهم عشائر كركوك، على المنطقة باسرها، ويتحدث في الفصل الذي يليه عن القرى الكردية بين كركوك والتون كوبري وغير ذلك من امور[161]. و بعد ان يغادر التون كوبري على الكلك، متجها صوب الفتحة و بغداد، و بعد ان يقطع مسافة باتجاه الجنوب الغربي من التون كوبري يسجل لنا ملاحظة دقيقة بخصوص الواقع الأثني للمنطقة، اذ يقول مانصه:

"و قبل نحو ساعة من غروب الشمس ارسينا في قرية صغيرة كردية.. وتناولنا على شاطيء صخري غذاءنا البسيط الذي كان من الخبز و الفاكهة، و اضطجعنا للنوم على الحصي حتى لاحت تباشير الصباح. ثم سافرنا قدما على مدى ثلاثة ايام بين التلال المنخفضة في الزاب الأسفل الأخاذ وهو يخترق ارضا تكاد تكون مهجورة. لقد تجلى الان اننا، على كل حال، جعلنا الكرد والتركمان وراءنا، ذلك اننا لم نر

---

[161] E.B.Soane, To Mesopotamia and Kurdistan in disguise, PP. 235-250, 355-358.

في الترجمة العربية: ص 110،100، 113، 126، 126 وغيرها.

بعد ذلك الا العرب وعدد قليل جدا منهم (من الكرد واتركمان)"[162]. و من المفيد ان نشير الى ان العديد من الرحالة الاخرين لاحظوا قبل الميجرسون ان منطقة انتشار عشيرة هموند ونفوذها كانت اوسع بكثير من واقعها المعاصر. ففي اواخر القرن التاسع عشر، مثلا، تحدث قس من القوش الى العالم الاثاري البريطاني الشهير السر ارنست الفرد بدج (1857 - 1935) عن هجوم الهموند على دير الريان هرمز هناك في حدود العام 1750[163]. و سجلت "دائرة المعارف الاسلامية، ملحوظة مقتبسة من رحلة تعود الى اواخر القرن التاسع عشر تقول "و اعتادت عشيرة هموند ان تهبط حتى تبلغ ضفاف دجلة"[164]. اما لونگريگ فانه يقول "كان الهموند يغزون من كركوك الى همدان"[165].

---

[162] I bid, PP. 55-356. في الترجمة العربية: ص 123-124.

[163] نشره بدج لاحقا في كتابه:

Sir Willis Budge, By Nile and Tigris, Vol. II, London, 1920.

(وفي الترجمة العربية لفؤاد جميل بعنوان "رحلات الى العراق"، الجزء الثاني، بغداد، 1968، ص 137).

[164] "دائرة المعارف الاسلامية"، المجلد الثاني عشر، العدد الخامس، ص 184.

[165] S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, P. 278.

في الترجمة العربية ص 334.

و الأهم من كل ذلك ماسجله وكيل القنصل البريطاني في الموصل بهذا الخصوص في تقرير مسهب له يقع في خمس صفحات من الحجم الكبير، و يحمل تأريخ 21 نيسان عام 1910، فقد ذكر ان مناطق سكن الهموند كانت تمتد الى الجنوب من كركوك، و قدر عددهم يومذاك بخمسة الاف شخص، مما يمثل ثقلا سكانيا كبيرا حسب الواقع الديموغرافي للمنطقة يومذاك[166].

يبدو واضحا ان الهموند اضطروا الى التركز في الشمال الشرقي من كركوك، بوصفها منطقة اكثر تحصنا من جنوبي كركوك، و ذلك بعد الضربات القوية التي وجهتها اليهم السلطات العثمانية، بلغت حد نفي اعداد كبيرة منهم الى طرابلس الغرب بهدف وضع حد لتجاوزاتهم المستمرة على القوافل التجارية المارة عبر المنطقة[167].

اورد رحالة شرقي، زار المنطقة في بداية القرن التاسع عشر، اراء وملاحظات مشابهة لاراء وملاحظات الرحالة الاوروبين عن كركوك وتوابعها. فان السيد محمد بن السيد احمد الحسيني المعروف بالمنشيء

---

[166] Pubilic Recerd Office, F.O, 195/ 2339, X/K- 780, H.B.M. Vice- Conulite, Mousul, April 22 st, 1910, P.1.

[167] يبدو ذلك واضحا من كتب الرحالة المتأخرين، كما اشار اليه كل من عباس العزاوي ولونطريط والميجرسون و محمد امين زكي وغيرهم كثيرون، ووردت في تقرير وكيل القنصل البريطاني المذكور تفصيلات مهمة عنه (I bid, PP. 1-5).

البغدادي تجول سنة 1820 "في ديار الكرد ومواطن العراق الاخرى"، وعندما وصل كركوك سجل عنها مانصه:

"من تازه خورماتو الى كركوك سبعة فراسخ. وكركوك بلدة جميلة، و ان قلعتها تقع على تل، و ان البلدة في اطراف القلعة وحواليها، وان اهلها اشرار، وكلهم اتراك ينكجرية (انكشارية) واكراد)، اكثرهم شافعية، وبعضهم حنفية، ولها نحو مائتي قرية، وكل قراها علي اللهية"[168].

وعن طوزخورماتو، التي يذكر اسمها بصيغتها الشائعة يومذاك، أي دوزخورماتو، يقول "ولغتهم الكردية والتركية، وعقيدتهم العلي الهية، يرعون الغرباء ويبرونهم، ويحترمونهم في ضيافتهم، ونساؤهم شهيرات بالحسن والجمال، ويقرب عددهم من الف بيت"[169]. و على بعد نصف فرسخ من پردێ (التون كوپرى) يلتقي "قبيلة بربرية تبلغ نحو اربعمائة بيت ليس لها كسب سوى ضرب العود، و صغارها يرقصون، يذهبون لكل بلد و مدينة، وهؤلاء يقال لهم الكرد الجولكية"، ومن "التون كوپرى الى اربل ثمانية فراسخ، و في الطريق اكراد ديزةيى، ويبلغون الف بيت"[170].

توجد اراء اخرى كثيرة للرحالة الاجانب عن كركوك وتوابعها جديرة بالتسجيل نتطرق الى قسم منها في مباحث لاحقة من هذه

---

[168] "رحلة المنشيء البغدادي"، ترجمة عباس العزاوي، بغداد، 1948، ص 64.

[169] المصدر نفسه، ص 55.

[170] المصدر نفسه، ص 76.

الدراسة. يلخص لونگريگ في كتابة المصدر "اربعة قرون من تأريخ العراق الحديث" اراء الرحالة الذين مروا بكركوك في اوقات مختلفة قبل القرن العشرين بقول له مغزاه الكبير، هو:

"و قد اعجب الرحالون بكركوك، فوصفوها بانها مدينة جميلة رائعة، حيث كان النطق السائد التركية المفككة و الكردية الشهرزورية"[171].

و آخر مانقتبسه من كتب الرحالة هو ملاحظات معاصرة وردت في كتاب الصحفي الهولندي ماليبارد الذي زار العراق في مطلع العقد السادس من القرن العشرين، أي بعد طبع كتاب لونگريگ بثلاثة عقود. فبعد ان يترك ماليبارد بغداد متوجها صوب كردستان، و يقترب من تلول حمرين يصف لنا باسلوب رومانسي اخاذ في مبحثه المعنون "بين سهول العراق وجبال كردستان" الانتقال الى منطقة جديدة، فقال:

"بين تلك التلول المنتشرة وبطاحها الملتوية، حيث تبين ارض الأكراد، يبدو الربيع باجمل حلله، ينشر في الفضاء عبير نسماته فترى الارض مختصرة تكشف عن زينتها و مفاتنها على امتداد افاقها وابعادها، يسودها الهدوء و الكسينة، فيشعر الانسان في اعماق نفسه

---

[171] S.H.Longrigg, Four Centures of Moclern Iraq, P. 10.
في الترجمة العربية، الطبعة الخامسة، ص 23).

بالراحة و الهناء و الأمن و السلام، و يتحسس بعظمة الله في خلقه، و يشاهد جماله في سحر الطبيعة و اغرائها"[172].

ثم يضيف ماليبارد على ذلك قوله "و يعيش هنا على الحدود الفاصلة بين الشمال و الجنوب العرب والأكراد بسلام و وئام متجاورين، ومثل هذا الجوار نجده في اوروبا ايضا"[173].

ان مثل هذه العلاقات الطيبة بين العرب و الكرد التي اشار اليها الهولندي ماليبارد، و مراقبون آخرون كثيرون، كانت هي التي تسود الشعبيين منذ ان دخل العرب كركوك و توابعها.

العرب في كركوك و توابعها

كما اسلفنا دشن الاسلام اول احتكاك واسع للعرب بالكرد و كردستان دون ان يؤثر ذلك على واقعهما القومي الا في اطار الروح والدين. ولم يشر الرحالة الى وجود عربي متمركز في كركوك و توابعها الا في بعض مناطق الانتقال، و الحافات. حدد مارك سايكس في بحثه الرصين عن "القبائل الكردية في الامبراطورية العثمانية"، الذي هو حصيلة دراسة ميدانية اعتمدت على سفرة قطع فيها الباحث 7500 ميلا داخل

---

[172] C.H.J.Maliepard, Wasserader am Euphrat oder Zwischen Arabern und Kurde.

في الترجمة العربية للدكتور حسين كبه: نواعير الفرات او بين العرب والاكراد، بغداد، 1957، ص 206).

[173] المصدر نفسه، ص 209.

المنطقة نفسها قبل الحرب العالمية الاولى بمدة كما بيننا ذلك في مكان آخر من هذه الدراسة، حدد الوجود الاثني غير الكردي في القسم أمن مبحثه الذي يشمل المنطقة المحددة "ببحيرة و ان و الهضبة الارمنية شمالا، و بنهر دجلة غربا، و بسهول العراق جنوبا" هكذا:

"ان المجموعات الاجنبية، او على الاقل غير الكردية، يمكن حصرها بالسكان العرب ــ الاراميين (Arabo- Aramean) في الموصل، والارمن الذين يعدون نسطوريين، و المسيحيين اليعاقبة في عين كاه و عقره و كويسنجق، وا لاتراك (التركمان) في التون كوپرى والسهول الواقعة شرقي الموصل"، الأمر الذي جسده بوضوح في الخارطة التي الحقها بالبحث[174].

ان الوجود العربي المتمركز في كركوك و توابعها حديث تأريخيا، و هو على نمطين الأول عشيري، و هو الاساس، و الثاني مدني وظيفي كان اساسه قطاع العمال حتى ثورة الرابع عشر من تموز 1958.، و يبدو ان عدد قليلا من كرد المنطقة قد استعربوا بصورة طبيعية بتأثير من الاسلام و ثقافته في مرحلة ماقبل تبلور العاطفة القومية. لاحظ مراقب روسي زار المنطقة في مطلع القرن العشرين ان العرب فيها "كما

---

[174] Mark Sykes, The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire, "The Journal of the Royal Anthropogical Institute of Great Brutain and Ireland', Vol XXXVIII, 1908 (July to oecember), PP. 451-453.

يبدو من شكلهم" هم "اقرب الى الكرد وساميي سوريا" ممن تبنوا لغة العرب وثقافتهم[175].

ان اهم عشيرة عربية موجودة في كركوك و توابعها هي عشيرة العبيد. يرتبط وجود العبيد في جنوب غربي كركوك بتحرك عشيري كبير حدث في وسط العراق، والى الشمال من بغداد في اواخر القرن الثامن عشر ـ اوائل القرن التاسع عشر، نجم عن هجرة قبيلة شمر المعروفة من غرب الفرات الى شرقيه بتأثير ضغط عشيرة عنزة عليها، و بتحريض من الحكومة العثمانية التي شجعت الشمر لاسباب كان احدها يكمن في رغبتها في "كسر شوكة قبيلة العبيد"[176]. نتيجة لذلك عبرت عشيرة العبيد من الضفة اليسرى، أي الضفة الشرقية من دجلة، وانتقلت اقسام منها "الى الحويجة متخطية بذلك جبل حمرين" لاول مرة في تاريخها[177], وهو كما لا يخفى، تاريخ حديث. صاغ لنا مؤرخ "عشائر العراق" المعروف عباس العزاوي الموضوع هكذا في اكثر من مكان من كتابه المصدر:

---

[175]" Zarnetki p politcheskom Polojenii v Youjnom Kurdistane Severnay Mesopotami", "Izvestia Shtaba Kavkazskovo Voennovo Okruga", No. 1-2, 1904, P. 52.

[176] عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الاول، بغداد، 1937، ص 231، 327.

[177] S.H.Longrigg, Four Canturies of Modern Iraq , P. 202. في الترجمة العربية ص 242.

في اواخر القرن الثامن عشر تعرض العبيد الى ضغط شمر ايضا، فقد "خضدت شوكة قبيلة العبيد نوعا، بل كادت ان تلحن"[178]، فازاح الشمر العبيد "و غيرهم، وتمكنوا من مواطنهم"[179]. و قد احدث ضغط الشمر خللا كبيرا، امتد تأثيره الى الجبور، و انعكس على الواقع السكاني باتجاه الجنوب الغربي خللا كبيرا، امتد تأثيره الى الجبور، و انعكس على الواقع السكاني باتجاه الجنوب الغعربي من كركوك، فيقول العزاوي عن ذلك "ومن ثم تواردت شمر حتى عظم امرها، و احتلت الجزيرة، فدفعت هذه القبائل الى انحاء مختلفة، فحالت قبيلة العبيد الى الحويجة، وازاحت البيات الى اماكنهم الحالية، وهكذا جرى على الجبور فتفرقوا"[180]. و من الضروري ان نشير الى ان العبيد بعد ان انتقلوا الى موطنهم الجديد فان معظمهم لم يرتبطوا بالارض، بل استمروا على حياة التنقل و البداوة مدة طويلة من الزمن. ورد في تقرير سري بريطاني وضع خصيصا عن العشائر العراقية في العام 1917 الاتي نصه بخصوص هذا الموضوع:

---

[178] عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الاول، ص 144.

[179] المصدر نفسعه، الجزء الاول، ص 126.

[180] المصدر نفسه، الجزء الاول، ص 147.

"و توطنت (عشيرة العبيد) في الضفة اليمنى (الغربية) من نهر دجلة بين الموصل وبغداد. وقد عبروا[181]. نهر دجلة و استقروا في ديارهم الحالية- حويجات العبيد، و اكبر فروع عشيرة العبيد هم البوعلى، و يشتغل البعض منهم بالزراعة بالقرب من نهر دجلة، و الباقون رعاة ابل، ويعيش افراد العشيرة في خيام"[182]. و في الواقع لم يطرأ تحول ما على هذا الأمر الا بعد انجاز مشروع الحويجة الاروائي في العهد الملكي.

كان الثقل السكاني للعبيد داخل المنطقة التي نحن بصدد دراستها متواضعا. قدر التقرير البريطاني نفسه عدد العبيد في الحويجة والعظيم و الدليم معا بـ "حوالي الف دار (خيمة) و 100 رأس خيل"[183]. و بقيت مناطق تمركز العبيد تقع بعيدا خارج كركوك و

---

[181] هكذا ورد في النص.

[182] "تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة يبين الاحوال الاجتماعية والسياسية للعشائر العراقية وعلاقاتها بالادارة البريطانية"، نقله الى العربية عبدالجليل الطاهر، بغداد، 1958، ص 188.

[183] المصدر نفسه، ص 189.

توابعها[184]. ورد في تقرير رسمي عراقي يعود الى اواسط العقد الرابع من القرن الماضي عن عشيرة العبيد مانصه:

"عبيد: تقطن على ضفة دجلة اليمنى (الغربية) بين سامراء و كركوك، و هي من زبيد، ورئيسهم العاصي و مظهر بك الشاوي"[185].

تنطبق الأقوال نفسها على عشيرة الجبور التي يمتد وجودها بالنسبة للمنطقة الكردية الى بعض توابع اربيل ايضا. و باعتبار الجبور واحدة من اهم، واوسع العشائر العراقية فان مناطق تمركزها الاساسية تقع بدورها بعيدا خارج كركوك وتوابعها[186]. ورد في التقرير الرسمي الانف الذكر عن عشيرة الجبور في اواسط العقد الرابع من القرن الماضي الاتي نصه:

"جبور: تقطن بين سامراء والموصل، وعلى جانبي دجلة، وقسم منها تسكن الجزيرة بجوار رأس العين على جانبي الخابور، ومنها من

---

[184] للتفصيل عن ذلك ينظر: المصدر نفسه، ص 189-192، عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الاول، ص 144، 146-147، 199،194-200 وغيرها، الجزء الرابع، بغداد، 1956، ص 33، 61، 208، 216 و غيرها.

[185] "دليل المملكة العراقية لسنة 1935-1936 المانية"، صدر باجازة من وزارة داخلية العراق رقم 342 تاريخ 1934/10/13، بغداد، 1354 ه/ 1935مـ ص 658.

[186] للتفصيل عن ذلك ينظر: عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزؤ الاول، ص 194، 197-199، 248، 272، 306 وغيرها؛ الجزء الرابع، ص 85، 137، 140، 145-147، 207، 215-216.

سكن في جنوبي سامراء، و في الجربوعة، رؤساؤها الشيخ شاهر في الموصل، والشيخ مراد الخليل في الحلة"[187].

توجد عشائر عربية اخرى في الجنوب، والجنوب ــ الغربي من كركوك اقل شأنا من العبيد والجبور، منها اقسام من عشيرة النعيم التي جاء وصفها على لسان ادموندس، و كان حاكما سياسيا مفتشا اداريا بريطانيا في كركوك على مدى سنوات عدة في العقد الثالث من القرن الماضي، ومن ثم معاونا لمستشار وزارة الداخلية العراقية طيلة عقد كامل (من 1925 حتى 1935)، ومستشارا طيلة عقد اخر (من 1935 حتى 1945)، هكذا:

"توجد في جنوب كردستان اسر اخرى من السادة.. مثل نعيم الذين يشويهم دم عربي، لكن نفوذهم السياسي لا يعتد به"[188].

يستحق تأريخ عشيرة البيات، ووجودها في المنطقة، وقفة خاصة. تعد المصادر الرسمية العراقية البيات عربا، الرأي الذي يتمسك به العديد من زعمائهم و مثقفيهم المعاصرين، فيما تؤكد معظم المصادر ان موطن البيات الاصلي هو خراسان، انتقلوا منها مع السلاجقة الى العراق

---

[187] "دليل المملكة العراقية لسنة 1935-1936 المالية"، ص 657-658.

[188] C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs. Politics, travel and research in North- Eastern Iraq, London, 1954, P. 79. في الترجمة العربية لجرجيس فتح الله بعنوان "كرد وترك وعرب" سياسة ورحلات وبحوث عن الشمال- الشرقي من العراق 1919-1925"؛ بغداد، 1971، ص 77.

فاتخذوه وطنا لهم[189]. عندما يتحدث ادموندس عن طوزخورماتو يقول: "ان ثلاثة ارباع سكانها من الداودة (وهي من العشائر الكردية المعروفة[190]، و ثلثا الداودة يسكنون في اسافل الجبال، والثلث الاخر يسكن السهل. و العنصر الاخر الوحيد المهم في الناحية هو البيات، القبيلة العجيبة التكوين، يقال ان نواتها جاءت بالاصل من خراسان، و قراهم التي تزيد عن العشرين، تقع في الربع الجنوبي القصي من الناحية، الى جوار جبل حمرين وناحية قرةتثة، و ثاراتهم وصداقاتهم مع القبائل العربية اكثر منها مع الكردية"[191]. اما موءرخ العشائر العراقية عباس العزاوي فيقول:

"و هؤلاء (البيات) من اقدم القبائل التركمانية، و لهم كيان خاص وهم مجموعة لايستهان بها، يقطنون لواء كركوك، و كانوا في لواء واسط والان مال قسم كبير منهم الى المدن، وصاروا في قلة، و اختلطت بهم عشائر عربية"[192].

---

[189] للتفصيل عن ذلك ينظر: شاكر صابر الضابط، تأريخ التركمان في العراق، الجزء الأول، بغداد، 1961، ص 56-60.

[190] عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الثاني، ص 66، 165-170، 212.

[191] C.J.Edmondes, Kurds, Turks and Arabs, PP. 277-278.
في الترجمة العربية ص 252.

[192] عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، بغداد، 1839، ص 368.

لاتختلف اقوال الرحالة وملاحظاتهم عن ذلك. ينقل لنا ريض معلومات مهمة عن البيات الذين التقاهم، و اجتمع في الثامن والعشرين من نيسان سنة 1820 برئيسهم حسن بك الملقب بقره قوش الذي اكد له ان السلطان العثماني هو الذي وزع عليهم اراضيهم في منطقة طوزخورماتو. يؤكد ريض بدوره ان اصل البيات من خراسان، لكنه يضيف ان "بعض العرب Some Arabs" كانوا في حماية البيات"[193].

لاشك في ان صلات البيات بالعرب، واختلاطهم بهم قد تعزز اكثر بعد زوال سلطة العثمانيين، لذا فان المصادر الحديثة، بما فيها الكتب المدرسية في العهد الملكي، في الوقت الذي تعد البيات عشيرة عربية، الا انها لاتنكر، في الوقت نفسه، بانها "تشتمل على فروع تركمانية"[194]. كما ان التقرير الذي اعدته اللجنة الخاصة التي الفتها عصبة الامم للبت في مشكلة الموصل في العام 1924 يؤكد ان "البيات مزيج من الترك و العرب"[195].

---

[193] C.J.Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I, PP. 23-24.

[194] ورد ذلك في كتاب "جغرافية العراق الثانوية"، بغداد، 1938، ص90 لطه الهاشمي؛ الدكتور شاكر خصباك، العراق الشمالي. دراسة لنواحيه الطبيعة والبشرية، بغداد، 1973، ص 191.

[195] " League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq. Report submitted to the Council of the Comission instituted by the Council resolution of September 30, 1924", 1925, PP. 38-39.

لم تكن البيات، في كل الاحوال، معزولة عن الكرد. فان بعض فروع البيات ضمن الكرد ايضا، مثل طلةوقند و ينكجية[196]. كما تؤكد مصادر مختلفة، بما في ذلك كتب الرحالة، و مصادر اكاديمية حديثة[197]، شيوع اللغات الثلاث التركمانية و العربية و الكردية بين البيات. يقول منشيء البغدادي الذي زار المنطقة في العام 1820:

"و في تلك الانحاء تسكن قبيلة البيات، و يقرب عدد بيتوها من الفي بيت، يتكلمون التركية و الكردية و العربية، بعضهم شيعي، و البعض الآخر سني"[198].

ومما يذكر ان عددا من زعماء البيات وقفوا الى جانب الزعيم الكردي الشيخ محمود في نضاله ضد البريطانيين، واستقبلوه في كفري مع الرؤساء الكرد في ايلول 1922 حين مر موكبه بها بعد ان اعاده البريطانيون من منفاه في الهند، بل انهم رافقوه الى السليمانية حيث اعن الشيخ بعد مدة عن تشكيله لحكومته الكردية[199].

---

[196] عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، ص 368، 370.

[197] M.A.Karnal, Natsionalno- Osvboditelnoe dvijenie v Irakskom Kurdistane, Baku, 1967, P. 102.

[198] "رحلة المنشيء البغدادي"، ص 54.

[199] C.Jedmonds, Kurds and Arabs, P. 301 M.H. Kamal, Natsioalno.., P. 126.

و في الترجمة العربية ص 272.

يلاحظ التداخل نفسه الى حدما بين الكرد و الجبور، خصوصا في محافظة اربيل، وبين الكرد والعبيد في توابع كركوك. فقد ورد في القسم الخاص بالعشائر المتوطنة في قضاء الحويجة التابع لمحافظة كركوك في "دليل التعداد العام للسنة 1965":

"23- المتفرقة، منها اتكارتة و الدوريين و الأكراد. مركزها الحويجة، يقيمون في 5 قرى تقع على جانبي حفر القبل، و قسم منها في مركز الناحية، وتبلغ مساحتها 100 كم^2[200]. كما ان بعض قرى الحويجة ظلت تحمل اسماء الكرد وعشائرهم مثل مدينة الكراد والداودية وكواز كرد و كاميران حتى وقت متأخر حسب المصادر الرسمية العراقية[201].

لم يتغير الواقع العشيري في كركوك وتوابعها كثيرا في العهد الملكي. وردت في تقرير رسمي عراقي، يعود تأريخه الى اواسط العام 1929، معلومات مهمة بهذا الصدد، يقول نصها:

"عرب كركوك: ان القسم الأعظم من عرب كركوك مكون من العشائر المتأخرة المقيمة في حاشية اللواء الجنوبية الغربية، يعني من خمسة الاف جبوري وغيرهم على الزاب الأصغر (ناحية ملحة)، وستة

---

[200] **"الجمهورية العراقية. وزارة الداخلية. مديرية تسجيل الاحوال المدنية العامة. مديرية الشعبة الفنية. دليل التعداد العام لسنة 1965"، بغداد، 1965، ص** 386.

[201] **المصدر نفسه، ص** 154 – 158.

الاف عبيدي في جبل حمرين (ناحية الشبيجة)، ويوجد عدد من العرب المستوطنين يستحق الذكر في القسم الجنوبي الأقصى لناحية قرةتثة، وهم عبارة عن خمسة الاف من العشائر القروية (الكروية) و غيرها، وان هؤلاء العرب بعيدون بدرجة انهم لا يمكن ان يعبأ بهم من الوجهة السياسية في التأثير على رأي اللواء. و في لواء كركوك، كما في اربيل، لايوجد عنصر راق من العرب ينتمي الى المدينة لكي يمكن الاستناد اليها في تعريب اللواء"[202]. وفي الواقع لم تجر محاولات لتعريب كركوك وتوابعها طوال العهد الملكي الا في حدود ضيقة لم يكن من شأنها ان تؤثر على واقعهما القومي[203]، فان مشروع الحويجة الاروائي الذي ثم انجازه في العقد الخامس من القرن العشرين ساعد على توطين الجبور و العبيد و الشيشان، والأخير عنصر غير عربي انتقل من القفقاس الى المنطقة في اواسط القرن التاسع عشر على اثر ضم روسيا القيصرية لبلادهم اليها[204]، بينما اهمل القيمون على المشروع مصالح العشائر الكردية في المنطقة، و لاسيما الداودة التي ازيحت من مواقعها تحت

---

[202] دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية: البلاط الملكي، التسلسل العام 132- و ع، رقم الملف: د/7، موضوع الملف: القضايا الكردية، ص 15، الوثيقة رقم 1.

[203] M.S.Lazarev, Kurdkaya Problema, - "Natsionalnie Protesssi v Stranakh Blijnevo I Srednevo Vostoka", Mosccow, 1970, P. 15.7.

[204] C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, P. 247.

في الترجمة العربية ص 248-249.

ضغط العبيد بعد عبورهم لجبل حمرين في اواخر القرن الثامن عشر ــ اوائل القرن التاسع عشر، مما ولد بعض الحزازات بين الطرفين[205].

لم يؤثر ذلك كما قلنا، على الواقع القومي لكركوك و توابعها. فان نتائج الاحصاء الرسمي للعام 1957، التي نشرت تفصيلاتها "بثلاثة عشر جزءا كاملا" في العام 1965، تؤكد صحة، ودقة جميع المعلومات التي اوردناها بخصوص الوجود العشيري العربي في توابع كركوك. فبموجب ذلك الاحصاء بلغ مجموعة عدد افراد العشائر العربية المتوطنة (المستقرة) في لواء (محافظة) كركوك من غير البيات و المتفرقة و المختلطة التي ضمت العرب و الكرد و التركمان معا من دون تحديد هوياتهم القومية 34809 اشخاص[206]، و بلغ مجموع عدد افراد العشائر العربية الرحالة (المتنقلة) فيها 1366 شخصا فقط[207]، فيكون مجموعهم معا 36175 شخصا. اما عدد البيات، وكان جميعهم من المستقرين، فقد بلغ 9402، فاذا اعتبرناهم جميعا من العرب، و في هذا قدر من الاجحاف واضح، حينئذ يرتفع مجموع عدد افراد العشائر العربية المتوطنة و الرحالة في كل لواء (محافظة) كركوك الى 45577

---

[205] "تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة يبين الأحوال الاجتماعية والسياسية للعشائر العراقية وعلاقاتها بالادارة البريطانية، ص 189.

[206] "دليل التعداد العام لسنة 1965"، ص 383-392.

[207] المصدر نفسه، ص 499-502.

شخصا، يقابلهم 1780 تركمانيا، وجميعهم ايضا من المستقرين، بضمنهم ابناء عشيرة قوشجي، و 62228 كرديا، 57102 من ابناء العشائر الكردية المتوطنة في المحافظة، و 5126 منهم من ابناء العشائر الكردية الرحالة فيها[208].

يتألف النمط الثاني، المدني من الوجود العربي في كركوك وتوابعها من الموظفين و العمال و غيرهم من الكسبة الذين جاء معظمهم الى اللواء (المحافظة) بحثا عن العمل، اذ تحولت كركوك، بسبب انتاج النفط فيها، الى نقطة جذب للباحثين عن العمل، حالها في ذلك حال العاصمة بغداد والبصرة و الموصل، المحافظات الاربع التي ادى "تركز الصناعات" فيها الى "جلب اعداد كبيرة من المهاجرين الذين جاءوا من المناطق الزراعية، وخاصة من محافظة العمارة، حيث الحياة المجهدة في مزارع الرز، و تسلط الاقطاع في الماضي"[209]. احتلت كركوك، بحكم ذلك، المرتبة الثالثة بعد بغداد و الديوانية من حيث النسبة المئوية لزيادة سكانها في الحقبة الممتدة بين عامي 1947 و 1957، وذلك بسبب الهجرة المتزايدة اليها، فان النسبة المئوية لزيادة سكانها بلغت 36٪، أي

---

[208] المصدر نفسه، ص 383-392، 499-502.

[209] الدكتور احمد نجم الدين، احوال السكان في العراق، من منشورات معهد البحوث و الدراسات العربية، القاهرة، 1970، ص 29.

بمقدار مرة ونصف الى مرتين اكثر من المحافظات الاخرى[210]. يعلق احد المتخصصين على ذلك بالقول:

"ان القسم الأكبر من محافظة كركوك، وخاصة الجنوب منه، شبه جاف، ولكن وجود شركة النفط العراقية وآبارها العديدة في هذه المحافظة رفعت من نسبة الكثافة السكانية فيها"[211].

يبين تحليل نتائج احصائي عامي 1947 و 1957 ابعاد هذا الموضوع بصورة واضحة. فبوجب اول احصاء رسمي عام اجري في العراق عام 1947 بلغ مجموع سكان مركز قضاء كركوك من العراقيين 67756 شخصا، بلغ عدد المولودين منهم في لواء كركوك نفسه 49441، اما الباقون فانهم كانوا من مواليد الالوية الاخرى، و ان معظمهم ماكانوا يمتون بصلة مباشرة الى سكان المدينة الأصليين، منهم، على سبيل المثال، 3137 من مواليد لواء بغداد، و 3165 من مواليد لواء الموصل، و 1639 من مواليد لواء ديالى. وكان يوجد بينهم من كانوا من مواليد المناطق العربية الجنوبية و الوسطى الذين جاء معظمهم مع اسرهم الى كركوك للعمل لدى شركة النفط بصورة خاصة، منهم 1598 من مواليد العمارة، مركز الضخ السكاني بسبب الاستغلال الاقطاعي الفظيع، و 863 من مواليد لواء المنتفك، و 410 من مواليد لواء الحلة، و 360 من مواليد لواء البصرة، و 271 من مواليد لواء

---

[210] المصدر نفسه، ص 107.

[211] المصدر نفسه، ص 62.

الكوت، و 213 من مواليد لواء الديوانية، و 205 من مواليد لواء الدليم (الانبار)، و 98 من مواليد لواء كربلاء. بينما تختفي هذه الظاهرة بالنسبة لريف كركوك[212].

اما بموجب احصاء العام 1957، وهو اول احصاء رسمي عراقي يجري على اساس قومي، فقد بلغ مجموع العرب في لواء (محافظة) كركوك 109620 شخصا، وعدد التركمان 83371 شخصا، وعدد الاكراد 187593 شخصا[213]. وبموجب الارقام التفصيلية للاحصاء نفسه. فقد بلغ مجموع الذين كانوا بالاصل من مواليد الموصل وبادية الجزيرة 5494 شخصا، ومن مواليد لواء بغداد 4855، ومن مواليد ديالى 3708، ومن مواليد لواء العمارة 1847، ومن مواليد لواء الناصرية 995، ومن مواليد لواء الرمادي (الانبار) والبادية الشمالية 864، ومن مواليد لواء البصرة 350، ومن مواليد لواء الكوت 343، ومن مواليد لواء الحلة 313، ومن مواليد لواء الديوانية والبادية الجنوبية 224، ومن مواليد لواء كربلاء 75، ومن مواليد الاقطار

---

[212] "المملكة العراقية. وزارة الشؤون الاجتماعية. مديرية النفوس العامة. احصاء السكان لسنة 1947"، الجزء الثاني، بغداد، 1954، ص 115.

[213] "الجمهورية العراقية. وزارة الداخلية. مديرية النفوس العامة. المجموعة الاحصائية لتسجيل عام 1957. لوائي السليمانية وكركوك"، بغداد مطبعة العاني، دون سنة الطبع، ص 243.

العربيـة اكثـر مـن 300، فيكـون المجمـوع 19368[214]. واذا اسـتثنينا حـالات قليلـة (كـربلاء والبصـرة والحلـة) فـان ارتفاعـا كـبيرا يلاحـظ في نسـبة سـكان لـواء (محافظـة) كركـوك المولـودين في المحافظـات الاخـرى، تصل احيانا اكثر من مرتين قياسا بما كان عليـه الامـر في احصـاء العـام 1947. ومن الجدير بالذكر ان الاحصاء نفسـه يشير الى ان 1353 مـن سكان محافظة كركوك كانوا من مواليد تركيا بالأصل[215]. يسـتحق هـذا الموضوع، بدوره، وقفة خاصة

التركمان في كركوك و توابعها:

تطرقنا ضمن المباحث السابقة الى جوانب مختلفة مـن هـذا الموضـوع الـذي يحتـاج, فضـلاً عـن ذلـك, الى تحديـد تـأريخي مسـتقل, ذلـك لان التركمان يؤلفون جـزءاً أساسـياً مـن كركـوك وتوابعها مجتمعـاً وثقافـة و سياسة في إطار تأرخهما الحديث والمعاصر.

حسب المؤرخ التركماني العراقي شاكر صابر الضابط, وهـو يسـتند في معظم مايقول على مؤلفات العرب والمسلمين القدامى, يـرجع تـأريخ أول دخـول تركمـاني الى العـراق الى العـام 54 للهجرة (674 للمـيلاد) حـين جاءت نصرة للخليفة مؤلفة من أربعة الاف مقاتل.

214

215

دشن هذا, على مايبدو, تدفقاً تركمانياً ذا طابع عسكري الى العراق في عهود إسلامية مختلفة. يقول إبن خرداذبة في "المسالك والممالك" ان "والي خراسان عبدالله بن طاهر كان يرسل الى العراق ألفي تركي سنوياً من مختلف مدن تركستان, وذلك تنفيذاً للاوامر الصادرة اليه من الخليفة". يقول الدكتور مصطفى جواد "وكما إجتذبهم بنو العباس, فقد كانت دعاياتهم بلغت بلاد الترك في تركستان وأسيا الوسطى, وثاروا على بني أمية, وإستنهضوهم داعين الى عيش رفيع جديد.. فتوافدت اليهم جموع غفيرة من الاتراك من طامع فيمال, وراغب في تبديل حال, ومتطوع يظن طاعة لوجه الله". ورد في "العقد الفريد" (203/2) لابن عبد ربه إن هارون الرشيد أدخل التركمان في جيشه وحرسه الخاص. وكان معظم حرس المأمون منهم أيضاً, كما جند المعتصم جيشاً منهم, أسكنهم في سامراء سنة 221 للهجرة (836 للميلاد), وفي عدد من المواقع الستراتيجية. تعزز هذا النمط من وجود التركمان في العصر البويهي (أواسط القرن العاشر حتى أواسط القرن الحادي عشر لميلاد), فقد كان "غالب جنود الدولة اليهودية من الديلم والترك"[216].

بالاستناد الى هذه الحقائق, ومجموعة كبيرة غيرها, يستخلص الضابط إستنتاجاً يقول نصه "يظهر مما تقدم إن المواطنين الاتراك في

---

[216] عن ذلك ينظر:

شاكر صابر الضابط, موجز تأريخ التركمان في العراق, الجزء الاول, ص 28, 38-40, 42, 44-45, 50-87 وغيرها.

العراق كان قد عهد اليهم واجب الدفاع عن وطنهم ضد الهجمات الخارجية, والمحافظة على الامن الداخلي. ونجدهم لذلك قد أسكنوا في العصر الاموي والعباسي الأول في المدن و الثغور والمواقع العسكرية الستراتيجية في مختلف أنحاء العراق. فقد إستوطنوا في البصرة, واسط, بغداد, سامراء, تكريت, الموصل, تلعفر, أربيل, كرخيني (كركوك), بندنجين (مندلي) ومناطق ديالى الاخرى, وشهرزور (منطقة حلبجة) وغيرها من المناطق" و وإن "الاتراك الذين نزحوا الى العراق حتى عهد الدولة اليهودية كانوا قد إتخذوا أواسط العراق وجنوبه وطناً لسكناهم و إقامتهم, والمدن والمناطق الستراتيجية في الشمال, وخاصة في سامراء والموصل وأربيل وكركوك و تكريت وغيرها"[217].

يستحق رأي اللجنة الخاصة التي الفتها عصبة الامم للبت في مشكلة الموصل إهتماماً خاصاً في هذا المجال ذلك لان اللجنة رجعت الى عدد كبير من المصادر والمراجع, وإستأنست بأراء المستشرق المعروف, أحد مؤلفي "دائرة المعارف الاسلامية" وصاحب مقالة كركوك فيها ج.ه .كريمرز (J.H.Kramers), ولانها (اللجنة) لم تتأثر بأراء البريطانيين والكماليين – طرفي النزاع على ولاية الموصل. أكدت اللجنة وجود جماعتين رئيسيتين من الترك في ولاية الموصل- ترك شرقيون وترك غربيون, تتكلمان لهجتين مختلفتين, وإن أفرادهما منحدرين عن جنود

---

[217] المصدر نفسه, ص47,53.

الحلفاء العباسيين المرتزقة, وعن جنود طغرل و حلفائه, وعن جنود الاتابكة, وعن جنود السلاطين العثمانيين وضباطهم و موظفيهم في العصور المتأخرة[218]. وأغلب الظن ان هذا الواقع هو الذي دفع أدموندس الى ان يستخدم في كتابه "كرد وترك وعرب" مصطلح التركمان للدلالة على أهل القرى, أو المدن الذين هم من سواء المجتمع فيها, ويتكلمون التركمانية عموماً, والترك للدلالة على المجتمع فيها, ويتكلمون التركمانية عموماً, والترك للدلالة على أفؤاد الاسر الارستقراطية من بقايا الموظفين والعسكريين العثمانيين من ترك وغيرهم إستتركوا, ولاسيما في مدينة كركوك نفسها, ممن يتكلمون التركية العثمانية.

تذهب المصادر العلمية العراقية الى الرأي نفسه حول أصل التركمان, ومناطق وجودهم في العراق[219]، كما ورد في الدليل الرسمي العراقي عنهم إنهم:

---

[218] League of Nations.Question of the fronter between Turkey and " Iraq .. "P.47.

من المفيد أن نشير الى ان شاكر صابر الصابط لم يعترض على هذا الرأي, بل أورد مضمونه العام في النص 33-34 من كتابه المذكور "موجز تأريخ التركمان في العراق".

[219] ينظر على سبيل المثال في:

الدكتور شاكر خصباك, العراق الشمالي. دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية. بغداد, 1973, ص 211-212, طه الهاشمي, مفصل جغرافية الطرق, ص 100-101, فيصل محمد الارحيم, تطور العراق تحت حكم الاتحاديين, ص106-107.

"أنزلوا في العهد السلجوقي والعهد العثماني في مراكز على خط عسكري عند ملتقى المنطقتين العربية والكردية ثم نمت هذه المراكز فأصبحت مدناً كبيرة مثل تلعفر و الگوير ومخمور والتون كوبري وداقوق و طوز خورماتو وخامقين ومندلي والجيزاني, وكانت لغتها التركمانية تمثل السلطة الحاكمة لعهد قريب"[220].

في ظل العثمانيين تعزز وجود التركمان ونفوذهم في كركوك وتوابعها, ولاسيما بعد أن دخلتا ضمن الاملاك العثمانية دخولاً رسمياً ثابتاً وفق معاهدات الحدود الاولى بين الدولتين العثمانية و الصفوية, بدءاً بمعاهدة أماسييه الموقعة بين الطرفين يوم التاسع والعشرين من أيار سنة 1555[221].

ومما له مغزاه ان إشارات صريحة وردت في الوثائق العثمانية الرسمية بخصوص النزاع حول الحدود مع الايران, الى سناجق "شهرزور و كركوك و رواندوز و عمادية و حكاري (هەكارى)و وان و بايزيد" بوصفها مناطق كردية حتى في ويقت متأخر مثل العام 1908[222].

---

220 دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960 ", ص 421. و"

221 (221) J.H Kramers,Kirkuk,-" the Encyclopedia of Islam و "
VOL.II, P.1028, C.J.Edmonds, Kurds,
Turks and Arabs, P.265.

222 عن ذلك ينظر:

M.S.Lazarrev,Kurdistan I K urdskaya Problema (go-e godi XIX Veka-1917g), Moskva,1964,PP.134-135,M.S.Lazarev, Kurdskii Vopros 1891-1917,Moskva,1972,P.141.

منذ وقت مبكر من إحتلالهم إحتفظ العثمانيون بحامية من الجنود الانكشاريين في كركوك, لتستعيد بذلك الاهمية التي كانت تتمتع بها في عهد ماقبل الاسلام, وذلك "باعتبارها حصناً بوجه عدو آت من الشرق- من إيران"[223]. وقد تعزز الوجود العسكري العثماني هذا بمرور الزمن بسبب إزدياد الحاجة للحفاظ على الطريق التجاري الممتد من الاناضول الى العمق العراقي, ولردع العشائر الكردية, ولاسيما الهموند التي كانت تمثل خطراً حقيقياً في كركوك و توابعها. إحتفظت كركوك بموقعها هذا حتى أواخر العهد العثماني حين كان الجند يخرجون منها لقمع الخارجين على الباب العالي في أقاصي كردستان[224]. و قبل الحرب العالمية الاولى بمدة فتح العثمانيون رشدية عسكرية في كركوك التي تحولت قبل ذلك التأريخ الى "موطن يمد الحكومة العثمانية بالموظفين المدنيين والجندرمة موضع والادارة" في ذلك العهد.

وإرتبط قطاع مؤثر من التركمان بالارض والزراعة, إذ أغلق الباب العالي على بعضهم "إقطاعيات زراعية كبيرة"[225].

---

[223] " The Encyclopedia of Islam ", Vol.II,P.1028

[224] عن ذلك تنظر في:

"لغة العرب (مجلة), بغداد, الجزء العاشر من السنة الثالثة, عن جمادي الاولى 1332/نيسان 1914, ص557..

[225] للتفصيل عن هذه الامور ينظر في:

S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, P.43,C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs, PP.265-266, " Iraq.An

بحكم هذه العوامل, وغيرها, ظهرت أرستقراطية تركمانية خصوصاً داخل كركوك نفسها, تمتعت بنفوذ سياسي و إقتصادي و ثقافي كبير تعزز الى حد كبير مع أنتقال السلطة الى الاتحاديين إثر ثورتهم في العام 1908. يقول متخصص بهذا الصدد مانصه:

"ونهج الاتحاديون السياسة العثمانية السابقة, وزادوا عليها بأذكاء الروح القومية عند التركمان (في العراق) وفتحوا العديد من فروع جمعية الاتحاد والترقي في مناطقهم, وإنتسب أليها الكثير منهم, وقبلوا الطلاب التركمان في مدارس إستانبول, وشجعوهم على السفر اليها.."[226].

تركت هذه الامور بصماتها القوية على مختلف جوانب الحياة في كركوك و توابعها في العهد العثماني, حتى ان سراً كردية معروفة, أو اجزاء منها غيرت هويتها القومية, منها الاسرة اليعقوبية (آل يعقوب زاده) المعروفة التي تنتمي الى عشيرة زەنگنه الكردية[227]، مع العلم ان يعقوبيي أربيل حافظوا على هويتهم القومية الاصلية. وكان يعقوبيو كركوك من ملاكي المنطقة البارزين, مما منحهم نفوذاً كبيراً. لم

Introduction to the Past and Present of the Kingdom of Iraq", by a Committee of Officials,Baltimore, 1974,P.30,

فيصل محمد الارحيم, تطور العراق تحت حكم الاتحاديين, ص 106-108, طه الهاشمي, مفصل جغرافية العراق, ص100-101.

[226] فيصل محمد الارحيم, تطور العراق تحت حكم الاتحاديين, ص 107-108.

[227] C.J.Edmonds,Kurds, Turks and Arabs, P.266.

تقتصر هذه الظاهرة على كركوك, فأن الضابط البريطاني في الجيش العثماني الميجر مللنجن لاحظ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كيف إن العديد من كرد أرضروم و عن غيروا هويتهم القومية "من أجل التقرب من الدولة, ونيل الامتيازات".

تجاوزت الافرازات الثقافية التركية ذلك فان التركية بوصفها لغة السلطة و التعليم إنتشرت على نطاق واسع في كركوك وتوابعها, خصوصاً وإن العثمانيين أولوا التعليم في كركوك إهتماماً أكبر مما اولوه في معظم الكدن العراقية الاخرى, أنهم أسسوا فيها, على سبيل المثال, مدرسة للصنائع في وقت مبكر مثل العام 1871, وهي كانت واحدة من ثلاث مثلها في كل العراقو كما إنهم أسسوا اول مدرسة سلطانية[228] عراقية في كركوك عام 1910, وإفتتحوا الثانية في بغداد بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات (في كانون الاول 1913), في حين "لم تنجح مساعي والي الموصل مطلع العام 1914 في تحويل المدرسة الاعدادية هناك الى مدرسة سلطانية". وكانت التركية هي لغة التدريس في جميع المدارس وغيرها, حتى إن اللغة العربية كانت تدرس في المدارس العراقية باللغة التركية. ومن قبل معلمين أتراك, وكان مجموع الساعات الاسبوعية المخصصة للغة التركية في المدارس الرشدية والاعدادية إثنتين

[228] إعدادية متطورة, كانت تدرس اللغة الفرنسية بوصفها مادة إضافية.

وعشرين ساعة, أي وضعت الساعات المخصصة للعربية بوصفها لغة الدين والقرأن[229].

أدت الصحافة والمؤلفات الادبية التركية دورها الملموس في هذا المضمار. فكما هو معلوم ان العديد من الصحف العراقية كانت تصدر إما باللغة التركية, أو بالتركية والعربية, او بالتركية والكردية معاً, كما ان صحافة إستانبول لقيت رواجاً واضحاً بين مثقفي الكرد والتركمان سواء في كركوك, أو في مدن المنطقة الاخرى. وينطبق القول نفسه على نتاجات أشهر المثقفين الترك المحدثين من أمثال نامق كمال (1840-1888) الذي تأثر به أبرز شعراء الكرد, منهم الشيخ رضا الطالباني الذي كان على إتصال شخصي به, وقد أبدع هو, وغيره العديد من أدباء الكرد المعروفين, باللغتين الكردية والتركية كما نبين ذلك بشئ من التفصيل في مبحث اخر من هذه الدراسة.

لاغرو إذن ان تحولت التركية الى لغة الثقافة و والتخاطب على نطاق واسع لابين تركمان وكركوك وتوابعها وحدهم, بل أيضاً بين الكرد و العرب وغيرهم هناك دون أن يؤثر ذلك على واقعهم القومي. فحسبما

---

229 للتفصيل عن هذه الموضوعات ينظر في:

الدكتور إبراهيم خليل أحمد, تطور التعليم الوطني في العراق (1869-1932), من منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة, 1982, ص39, 58-60, الدكتور جميل موسى النجار, التعليم في العراق في العهد العثماني الأخير 1869-1918, دار الشؤون الثقافية, بغداد, 2001, ص 141-160, 182-190 وغيرها.

يؤكد كريمرزان اليهود وحدهم كانوا يتكلمون بالعربية في كركوك قبل الحرب العالمية الاولى, فيما كان مسيحيو كركوك, الذين قدر عددهم بثلاثمائة وخمسين أسرة يتكلمون "بالتركية, ويكتبون بالاحرف السريانية"[230].

إمتدت هذه الظاهرة الى توابع كركوك أيضاً, فقد لاحظ الرحالة إن "لغة أهل دوزخورماتو هي الكردية والتركية"[231] سجلت مجلة علمية عراقية معاصرة الملاحظة الاتية عن حرب زين العابدين:

"فرار الامام زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي, وهو بناء ذو ثلاث قباب مشيد على تل أثري عال يقع الىالشمال الشرقي من قصبة داقوق, وعلى بعد 7سم, يتوسط قربة تعرف بأسمه, سكانها معظمهم من العرب, ولكن اللغة السائدة بينهم هي اللغة التركية"[232].

تأثر التركمان بدورهم بعرب المنطقة وكردها في إطار تاثر و تأثير غير قسري. نورد بهذا الخصوص ماذكره طه الهاشمي:

"ولاشك في إن هؤلاء (التركمان) لم يحتفظوا بسجاياهم التركية الاصلية, لانهم إختلطوا بالاكراد والعرب, وإمتازوا عن أتراك

---

230 J.H.Kramers,Kirkuk,-" The Encyclopedia of islam ", VOL,P.1028.

231 ورحلة المنشئ البغدادي, ص39.

232 "السومر"، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني، 1956، ص 39.

الاناضول"[233]. كما يقول فيصل محمد الارحيم عن لغتهم إنها "إبتعدت كثيراً عن الاصل, وتخللتها مفردات عربية وكردية"[234].

تختلف المصادر في تقدير عدد التركمان في العراق قبل إحصاء العام 1927 الذي أشرنا الى تفصيلاته بالنسبة لهم في المبحث السابق. فأن المثقفين التركمان كانوا يبالغون في تقديراتهم, ربما بتأثير شيوع لغتهم على نطاق واسع, فيما كان غيرهم يذكرون أرقاماً أقل من الواقع بكثير, إذ أعادوا بعد مرور عقود من الزمن نفس الرقم (60 ألف) الذي قدمته الحكومة البريطانية سنة 1931 الى عصبة الامم في آخر تقرير لها عن سير الادارة في العراق[235]، الرقم الذي ذكره طه الهاشمي أيضاً في العام 1930[236]، بل إن بعضهم ذكر في العام 1975 رقماً أدنى حتى من ذلك (38852 فقط) بالاستناد الى مرجع يعود تأريخ طبعه الى العام 1936[237]، الخطأ الذي وقعت فيه أيضاً مصادر غربية, منها كتاب عن

---

[233] طه الهاشمي, مفصل جغرافية العراق, ص101.

[234] فيصل محمد الارحيم, تطور العراق تحت حكم الاتحاديين, ص 107.

[235] Special Rrport Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the progeess of Iraq during the period 1920-1931", london, 1931,P.279.

[236] طه الهاشمي, مفصل جغرافية العراق, ص100-101. أكد المؤلف ذلك مرتين, الاولى في الص 100 والثانية في الص 101.

[237] ينظر على سبيل المثال:

فيصل محمد الارحيم, تطور العراق تحت حكم الاحاديين, ص 106, 286-287.

العراق وضعته لجنة خاصة في الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية, قدر نفوس التركمان باقل من ثلاثين ألفاً[238].

يحدد الدكتور عبدالرحمن الجليلي منطقة سكن التركمان في العراق المعاصر على النحو الاتي:

"وهناك شقة من الارض طويلة, ضيقة تسكنها الاقلية التركية في أماكن متقاربة, وإن لم تكن متلاصقة, وتمتد من غربي الموصل الى أربيل, الى كركوك جنوباً, وتستمر حتى تصل قريباً من بغداد, وهي في معظمها من مخلفات الجيوش التركية التي غزت العراق, فتركت فيه حاميات في أماكن مختلفة إختلطت بالمحيط, فأحتفظت ببعض مقوماتها, وإكتسبت في نفس الوقت عادات وتقاليد البيئة (الجديدة), كما أن في المدن الكبيرة عدد لايستهام به ممن يمتون بالصلة في الاصل الى الاتراك"[239].

قبل أن نختتم هذا المبحث نرى منالضروري أن نشير الى أن أفضل العلاقات كانت تربط مابين الكرد والتركمان, سواء في كركوك وتوابعها,

---

[238] " Iraq. An Introduction to the Past and Present of the Kingdom of Iraq ", P.30.

[239] الدكتور عبدالرحمن الجليلي, محاضرات في إقتصاديات العراق, القاهرة, 1955, ص14.

أو في المناطق الاخرى[240]، الأمر الذي لاحظه مراقبون أجانب أشاروا إليه في مؤلفاتهم بصورة خاصة. يقول المقدم الشيخ عبدالواحد عن ذلك:

" وقامت أمتن العلاقات بين الشعبين الكردي والتركي بسبب كثرة الاختلاط بينهما, والسياسة الحكيمة التي اتبعها السلاطين بمنحهم الولايات الكردية الحكم الذاتي التام. كان من أهم نتائج منح الاكراد الاستقلال التام داخل اطار الامبراطورية العثمانية انهم أشتركوا مشاركة فعالة مع الحكومة التركية, وتعاونوا معها تعاوناً وثيقاً.."[241].

لكن شرخاً ما بدأ يعتري تلك العلاقات بحكم عوامل مصطنعة يتحمل الجميع بدرجات متفاوتة وزر خلقها وأثارتها بصورة, أو بأخرى, يأتي البريطانيون في مقدمتهم من حيث التسلسل الزمني في سياق التأريخ المعاصر.

كركوك وتوابعها في ظل الاحتلال البريطاني

احتلت كردستان عموماً موقفاً مهماً في وقائع الحرب العالمية الاولى على صعيد الشرق الاوسط, وحجظيت بأهتمام الاطراف المتحاربة, ولا سيما بريطانيا في جبهة الحلفاء[242]. ومما يهمنا في مجال بحثنا هذا

---

[240] يحتفظ المؤلف بصورة وثيقة مهمة محفوظة في دار الكتب والوثائق عبارة عن برقية إحتجاج شديدة الهجة رفعها المقدم (فيما بعد الفريق) عمر علي إحتجاجاً على تجاوز عدد من الجنود على قرية برزانية في العام 1947.

[241] المقدم الشيخ عبدالوحيد, الاكراد وبلادهم, ص122,126.

[242] لتفصيل عن ذلك ينظر:

الخصوص هو ان الربطانيين, على الرغم من تجاهلهم لطموحات الشعب الكردي المشروعة في اتفاقياتهم, ومماسلاتهم السرية في سنوات الحرب بخصوص مستقبل الاصقاع غير التركية من الامبراطورية العثمانية, الا أنهم أشاروا فيها صراحة الى مصطلح كردستان واطارها الجغرافي. في المذكرة المفشلة سالسرية التي اصدرتها وزارة الخارجية البريطانية (تقع المذكرة في ثلاث وعشرين صفحة من الحجم الكبير) بتأريخ 21 تشرين الثاني 1918 ورد نص صريح يبين أن كردستان العراق تمتد الى الشرق من نهر دجلة والى مابعد جبل حمرين[243]. ومن المهم أن نلاحظ أيضاً ان الشريف حسن أشار صراحة في مراسلاته السرية مع البريطانيين في سنوات الحرب العالمية الاولى الى أن يقصد بالعراق "ولايتي بغداد والبصرة و التركيتين السابقتي"[244] (وفي النص الانكليزي: the former Turkish Vilayets of Basra an Baghdad – together Iraq.

وكما تؤكد الوثائق نفسها أن أقصى ما كان يطمح اليه الشريف حسين

الدكتور كمال مظهر أحمد, كردستان في سنوات الحرب العالمية الثانية, ترجمة محمد الملاعبدالكريم المدرس, منشورات المجمع الكردي, الطبقة الثانية, بغداد, 1984, 416 صفحة.

[243] Public Record office,C.O., 733/424/75981-3303,Political Intelligence pepartment, foreign Office Special I, Memorandum about Settelment of Turkey and the Arabian peninsula, Secret,PP.5,4.

[244] Ibid, P.6.

بالنسبة للدولة العراقية التي تقرر أنشاؤها هناك هو أن تمتد حدودها بحيث تشمل "أثار بلاد ما بين النهرين" التي كان يقصد بها نينوى[245].

بعد مرور يةم واحد على اعلان لندن الحرب ضد الدولة العثمانية في الخامس من تشرين الثاني عام 1914 باشرت القوات البريطانية من الجنوب بأحتلال العراق. لكن تلك القوات لم تبلغ المناطق الكردية الا في السنة الاخيرة من الحرب, وقبيل ذلك فقط بدأت الاتصالات المباشرة بين الريطانيين وزعماء الكرد. فبعد احتلال بغداد في الحادي عشر من اذار 1917 اتصال البريطانيون لاول مرة بهؤلاء في كركوك والسليمانية. يقول لونكريك عن ذلك:

"لم يجر الضباط السياسيون, الذين كانوا يتقدمون الجيش البريطاني الزاحف, أي أتصال مع الاكراد قبل سقوط بغداد, ولذلك كانت الاعلاقات التي أقامها البريطانيون مع الاكراد بعد سقوط بغداد في شهر اذار 1917 مخيبة الامال. ولم تعقب الرسائل التي تبودلت مع الكرد الساكنين في كركوك والسليمانية أي رسائل اخرى. وكانت خانقين هي المنطقة الكردية الوحيدة التي فتحت أبوابها أمام التغلغل البريطاني.."[246].

---

[245] Ibid,P.6.

[246] S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950.A Political, Social and Economic History, Lonoon,1955,P.96.

في الترجمة العربية لسليم طه التكريتي بعنوان "العراق الحديث من سنة 1900 الى سنة 1950", الجزء الاول, بغداد, 1988, ص 162.

بعد سقوط خانقين تعززت أتصالات البريطانيين بالزعماء الكردي فقد عين الخبير بشؤون الكرد, العليم بلغتهم الميجر سون ضابطاً سياسياً هناك أعتباراً من السادس من كانون الاول سنة 1917, وهو نفسه الذي زار المنطقة, بما فيها كركوك, متنكراً قبل نشوب الحرب العالمية الاولى بسنوات. اتصل سون منخانقين بزعماء الكرد, بمن فيهم رؤساء الطالبانية. وما أن اختل البريطانيون كفري في ايار سنة 1918 حتى أقاموا صلات أوثق بعدد من الشخصيات الكردية في كركوك وتوابعها, منهم الشيخ حميد الطالباني ونجله الشيخ وهاب الطالباني[247]. وقد أخبرت السلطات البريطانية زعماء الكرد هؤلاء, وغيرهم من أكثر مناسبة, أثناء الحرب وبعدها مباشرة, أخبرتهم "بصورة رسمية أنها لاتنوي ان تفرض عليهم أدارة غريبة على تقاليدهم, ورغباتهم"[248]. ولم تأت مثل تلك التاكيدات اعتباطاً, فان رؤساء عشائر كركوك وتوابعها, أكدوا منذ البداية تمسكهم بحقوق شعبهم القومية. ورد في مذكرة بعثها الحاكم المدني من بغداد يوم

---

[247] دار الكتب والوثائق, الملف رقم 12/8, موضوع الملف: تقارير شهرية عن خانقين, "تێگەیشتنی راستی" (فهم الحقيقة)، جريدة باللغة الكردية, بغداد, 26/آب/1918, C.J.Edmonds< Kurds< Turks and Arabs, P.29 (في الترجمة العربية ص).

[248] Elie Kedouri, The Kingdom of Iraq= A Retrespect,- " The Chatam Houe. Version and other Middle Eastern Studies ", London 1970,P.256.

السابع من كانون الاول سنة 1917 الى شخص الوزير البريطاني لشؤون الهند مايلي:

"وأعتقدت العشائر الكردية بصورة عامة أن الفرصة الان اصبحت مواتية للمطالبة بحقوقها القومية, وقد تم أحياء فكرة الحكم الذاتي التي ظهرت بذورها في ظل حكم الدستوري (التركي). ومما زاد الفكرة عمقاً الشروط المعلنة للحرب في البيان الذي اعدتم أعلانه من قبلها يوم فتح بغداد[249]، والتي أظهرت وجهة نظر مغايرة تماماً نحو الطموحات, والامال القومية مقارنة بتلك (الشروط) التي كانت مطبقة من قبل الترك"[250].

في خضم حرب الدعاية الواسعة التي رافقت الحرب العالمية الاولى اصدر البريطانيون منذ اليوم الاول من كانون الثاني عام 1918, أي قبل احتلال كركوك بمدة, جريدة كردية في بغداد تحمل اسم "تێگەیشتنی راستی" "فهم الحقيقة" التي استهدفوا منها كسب الكرد الى جانبهم, وابعادهم عن العثمانيين. زينت "تێگەیشتنی راستی" صدر عددها الاول بهذا الشعار "صحيفة سياسية اجتماعية تخدم أتحاد الكرد

---

[249] **يفيد البيان الذي أذاعه الجنرال مود على أهالي بغداد يوم إحتلالها من قبل قوات البريطانية في الحادي عشر من اذار سنة 1917.**

[250] Public Recerd Office,F.O., 371/3407,XLM 7739,B.12950,No.101150.

وحـريتهم, الموضـوعة الـتي تكـررت مـراراً في مـواد أعـدادها التاليـة, ومقالاتها الافتتاحية[251].

وجهت "تێگەیشتنی راستی" نـداءاتها الى رؤسـاء الكـرد في كركـوك والسليمانية وتوابعهما اكثـر مـن أي منطقـة كرديـة أخـرى, فقـد حثت مراراً العشائر الكردية في كركوك-الطالبـاني والجـاف والهمونـد و زنكنـة وشوان وشيخ بزيني وغيرها, على أثارة "حركة واسعة" مـن أجـل انقـاذ المنطقة الكردية "من براثن العثمانيين المتخلفين". وتغنـت الصحيفة بين الجميع بمآثر الهنود بوصفها دليلاً على شجاعة الكـرد لتحـريفهم على حمل السلاح, فقالت "لاداعي لكي نبتعد كثيراً, فقبل سنوات مضت أذلت عشيرة الهمونـد الكرديـة عساكر الـترك والعجـم مـراراً"[252]. أولـت "تێگەیشـتنی راسـتی" في الوقـت نفسـه, وقـائع الحـرب دوزخورمـاتو وكفري وداقوق و كركوك وغيرها أهتماماً خاصاً, ونشرت أخبارها باللغة الكرديـة بصـورة مـثيرة[253]. وكانـت أعـداد الصـحيفة تنقـل الى كركـوك

---

[251] للتفصيل عن ذلك ينظر:

الدكتور كمال مظهرأحمد, "تێگەیشتنی راستی" و موقعها في الصحافة الكردية, مـن منشورات المجمع العلمي الكردي, بغداد, 1978.

[252] أنظر على سبيل المثال:

"تێگەیشتنی راستی"، العددان 17و 19، 23 شباط و 5 آذار 1918.

[253] تنظر على سبيل المثال:

"تێگەیشتنی راستی"، الاعداد 27و 28و 40و 6و 13 ايار و 5آب 1918.

وتوابعها, مثلما تنقل الى المناطق الكردية الاخرى التي كانت يتزود بعضها بنسخها عن طريق كركوك تحديداً. ولايختا رمثل هذه الحقائق, بالتأكيد في مغزى سياسي وثائقي محدد.

اتخذ البريطانيون أجراءات اخرى تجسد المغزى نفسه بوضوح أكبر. فبعد احتلالهم كفري في ايار 1918 قاموا بأحصاء تقديري لسكانها, ولسكان دوزخورماتو وقره تبة اللتين كانتا تابعين لها ادارياً يومذاك, مما يعد عملياً أول أحصاء يجري لسكان المنطقة بأسلوب حديث. حسب الاحصاء المذكور بلغ مجموع سكان المنطقة سبعين الفاً ونيفاً, قدر المستقرون منهم بثمان وعشرين ألفاً. اما التوزيع الاثني والديني لهؤلاء فكان على النحو الاتي:

1- 4283 من التركمان موزعين على كفري ودوزخورماتو و قرتپه.
2- 458 يهودياً.
3- 276 أيرانياً.
4- 37 عربياً موزعين على دوزخورماتو و قرتپه.
5- 1 مسيحي من كفري.

6- أكثر من 60 ألف كردي موزعين على كفري و دوزخورماتو و قرەتپه[254].

وحسب تقرير البريطانيين الاداري الذي وضعوه بعد أحتلال المنطقة مباشرة, كان جميل بيك بابان, ومن بعده كريم بيك الجاف أهم شخصيتين متنفذتين في كفري ودوزخورماتو وقرەتپه, كما حددوا فيه أسماء أهم العشائر الكردية هناك وهي الجاف والطالباني والداودە ودەلو و زەند و زەنگنه پالانى[255]. ورد في وثيقة اخرى, يعود تأريخها الى الحقبة ذاتها "أن القرى العديدة في تلول قرەتپه هي كردية صرفة"[256].

احتل البريطانيون مدينة كركوك لاول مرة يوم السابع من أيار سنة 1918. كان ذلك حدثاً مهماً بالنسبة لهم, لذا فأن وكيل الحاكم المدني المرافق للجيش البريطاني ارنولد ولسن انتقل أليها عن طريق الجو بعد أحتلالها مباشرة. عن ذلك يقول ولسن نفسه مايلي:

"وبعد أيام قليلة طرت أليها (الى كركوك) لبحث في الوسائل التي نستطيع أن نعالج بها, على الوجه الافضل, كثيراً من المشكلات العاجلة

254" Administration Repcrt for the Gadha of Kifri since its occupation (May 1918) to oecember 3lst 1918", " Reports of Administration for in Mesopotamia ", Vol.I,PP.414-415.

255 Ibid,P417.

256 Public Record Office,F.O., 371/5069-4342,P.3.

الناجمة عن زحف (القوات البريطانية), وأن نجدد عطف العشائر الكردية, وحسن نيتها"[257].

اتخذ البريطانيون, بعد أحتلالهم كركوك مباشرة, سلسلة أجراءات من اجل تنظيم شؤونها الادارية, فتم تعيين النقيب بولارد حاكماً سياسياً للمدينة وتوابعها تعرف بولارد, حسبما يذكر التقرير الاداري عن كركوك, على "أبرز شيوخها ومتنفذيها من الكرد والتركمان", وطلب منهم مساعدته في ادارة المنطقة. وكان أهم أجراء اداري أتخذوه بولارد هو تأليف ماعرف ب"محكمة السلم" على غرار المناطق المحتلة الاخرى التي تشكلت فيها محاكم بهذا الاسم من اجل "ضمان النظام والهدوء" وعين على رأسها أحمد حمدي أفندي, وهو من الشخصيات الكردية المعروفة في المدينة, كان قاذياً في العهد العثماني, قدر له أن يؤدي دوماً واضحاً في ادارة كركوك وتوابعها, وفي الحياة الثقافية الكردية فيها مكانين ذلك فيما بعد[258]. هكذا اعاد التأريخ نفسه على أرض

---

[257] A.T.Wilson, Mesepetamia 1917-1920.A clash of loyalities. A personal and historical record, London, 1930,P ,

في الترجمة العربية لفؤاد جميل بعنوان "بلاد مابين النهرين بين ولاءين"، الجزء الثاني، بغداد, 1971,ص287.

[258]" Administration Report,Kirkuk District, period October 26th – December 31st, in : " Report of Administration for 1918 of Divisions and districts of the Occupied Territories in Mesopotamia ", Vol I, P.430.

الواقع تماماً كما حدث عند احتلال العثمانيين لكركوك لاول مرة قبل ذلك التأريخ بحوالي أربعة قرون.

رحب الشيخ محمود, كذلك زعماء الهموند, بأبعاد العثمانيين من كركوك, وبعثوا رسائل خاصة الىولسن بهذا الخصوص. قال الشيخ محمود في رسالته "أن أهالي كردستان قد سرهم هذا النجاح" وهم يتطلعون الى الازدهار بمساعدة البريطانيين "على ماازتءهم العراق سواء بسوا" واختتم رسالته "راجياً أن يعطي الضمان الكافي بألا يسمح, في أي ظرف كان, السلة التركية بأن تعود الى كردستان مرة اخرى"[259].

لظروف سوقية خاصة أضطر البريطانيون الى الانسحاب منت كركوك يوم الرابع والعشرين من أيار 1918, فرجع اليها العثمانيون في الحال, مما ترك أثراً كبيراً على وضع البريطانيين في كل كردستان الجنوبية. يقول ولسن بهذا الصدد: لو أبقى قائد القوات البريطانية الجنرال مارشال " قطعاته في دوز (طوز), او لو تلبث في كركوك, لاختلف الوضع في كردستان الجنوبية ملها خلال السنتين المقبلتين"[260].

يتفق لونگريگ مع ولسن تماماً حين يذكر بصدد الموضوع نفسه: "كان تقدم القوات البريطانية بأتجاه كركوك في ربيع سنة 1918 قد

---

[259] A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920,P

في الترجمةالعربية: الجزء الثاني, ص 288.

[260] Ibid,P.

في الترجمة العربية: الجزء الثاني, ص 158

قوى أمال الانكليز في اجراء اتصال مع جنوبي كردستان, وقوبل وصول القوات الانكليزية الى كركوك من دون مقاومة تذكر من الاهالي, ومن عشيرة هموند (الكردية) غير أن تخلي البريطانيين عن كركوك قد أدى الى حدوث مآسي.."[261].

قبل الانسحاب من كركوك مباشرة كتب ولسن رسالة الى الشيخ محمود مبيناً له الوضع, وطالباً منه أن يأخذ حكم المنطقة على عاتقه, كما اعد منشوراً خاصاً حول هذا الموضوع, حالت عودة العثمانيين السريع دون نشره كما يؤكد ذلك بنفسه. وما أن اعاد هؤلاء اختلال كركوك حتى أرسلوا مفرزة الى السليمانية ألقت القبض على الشيخ محمود[262].

أعاد البريطانيون احتلال كركوك يوم السادس والعشرين من تشرين الاول عام 1918, وتم هذه المرة تعيين الكابتن (فيما بعد الميجر) نوئيل (E.W.C.Noel) حاكماً سياسياً على كركوك وتوابعها, وقد باشر مهام عمله يوم الاول من تشرين الثاني سنة 1918. ومما له مغزاة أن نوئيل بالتحديد كان أكثر البريطانيين تحمساً للكرد, ولقضيتهم القومية, بل يكاد أن يكون "لورانس الكرد" تماماً, الامر الذي يبدو

---

[261] S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950,PP.96-97.

في الترجمة العربية: الجزء الاول, ص 163.

[262] A.T.Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P

في الترجمة العربية: الجزء الثاني, ص289.

جلياً من تقاريره السرية التي كان يرفعها الى الجهات البريطانية العليا في تلك المرحلة[263]. يقول ولسن في تعليق له على تعيين نوئيل : "وكانت تعليماتي التي وجهتها اليه مايلي:

عينت حاكماً سياسياً لمنطقة كركوك أعتباراً من أول تشرين الثاني (1918) و وهذه المنطقة تمتد منت الزاب الصغير الى ديالى, وفي الشمال الشرقي الى الحدود التركية الايرانية"[264]، وهذا يعني بالتحديد أعتبار كركوك والسليمانية وقسماً كبيراً من اربيل وجميع توابعها وحدة ادارية واحدة, ولا نرى داعياً للتأكيد على أن البريطانيين لم يتخذوا مثل هذا القرار أعتباطاً.

مع أنتهاء الحرب العالمية الاولى أولت الخارجية البريطانية موضوع ادارة "كردستان الجنوبية" ومستقبلها أهتماماً مباشراً. ففي الساعة الرابعة والنصف من مساء يوم الخميس الماوفق للسابع عشر من نيسان 1919 عقد في مقر وزارة الخارجية بلندن مؤتمر مصغر خاص برئاسة شخص وزير الخارجية اللورد كيرزن, حضره عدد من كبار المسؤولين المعنيين (؟؟؟) الشرق الاوسط في وزارات الخارجية والحربية

---

[263] عن ذلك تنظر مثلاً في:

" Documents on British foreign Policy,1919-1939",first series,Vol.IV,London, 1952,PP.678,693,742,782.

[264] A.T.Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P.128.

حول الموضوع نفسه تنظر كذلك: "العالم العربي" (جريدة) بغداد, العدد 2301,12أيلول 1931.

والمالية والهند, فضلاً عن وكيل الحكم المدني البريطاني ارنولد ولسين. وردت في التقرير السري الذي أعدت عن أعمال المؤتمر والذي يقع في سبع صفحات من الحجم الكبير, معلومات مهمة عن "سكان ولاية الموصل" تنقل أدناه أهمها:

"ان سكان ولاية الموصل القديمة, التي لم تقترح حالياً أي أجراءات ادارية بحق من يقطنون خارجها (يقصد كرد تركيا), يتألقون طبيعياً من ثلاثة أقسام: القسم الاول عبارة عن شنق كردي نقي مواز لحدود بلاد فارس, يقدر عددهم بحوالي 150 ألف نسمة. أن كرد هذه المنطقة لايختلفون عن كرد بلاد فارس فيما وراء الحدود. والقسم الثاني عبارة عن شق يمر عبر كفري وكركوك والتون كوبري واربيل, يتراوح كرد مستقرون لايشبهون جيرانهم كثيراً (في عاداتهم وتقاليدهم) سوى في لغتهم.. أما القسم الثالث فهو سكان المتبقي من ولاية الموصل الذين لايزيد عددهم عن 100 ألف نسمة, جلهم من العرب, والقسم الاكبر من هؤلاء (العرب) من المستعربين . جرى تجاهل النسبة الضئيلة من بدو العرب من وجهة نظر سياسة ان ثلثي سكان المتبقي خليط من الكرد والمسيحيين وآخرين, ولاتوجد في المدينة بقة سائدة, فيما يوجد هناك عدد قليل من الاسر الكردية المتنفذة. كان بالامكان اقامة حكم ذاتي في كردستان تكون مدينة الموصل عاصمته ان هذا يرضي الرأي الكردي, وربما يؤدي الى تكوين دولة شبه مستقلة وقوية, يفوق الكرد على العرب فيها عدداً. لكن من جهة أخرى ان ذلك لايناسب سكان مدينة الموصل نفسها الذين كانوا يتوقعون أقامة ادارة عربية لاكردية حين

طالبوا أن تكون الموصل ولاية مستقلة"[265]. في الاجتماع نفسه عرض تقرير الميجر نوئيل الذي اقترح فيه الاجتماع نفسه عرض تقرير الميجر نوئيل الذي وربما كلا من عقرة وأربيل وكركوك وكفري و خانقين"[266]. خلف الكابتن لونكريك[267] نوئيل وكيلاً للحاكم السياسي في كركوك و توابعها نفسه على كل خطوة خطاها لونكريك في الميدان الاداري في تلك المرحلة الحرجة, وكانت ظاولى تلك الخطوات, واهمها قاطبة تأسيسه لمجلس ادارة سهمته "مساعدة الحاكم السياسي البريطاني هناك". تألف المجلس من أثني عشر عضواً كانوا موزعين على النحو الاتي:

1- عضو مسيحي.
2- عضو يهودي.
3- عضو عربي.

---

[265] Public Record Office,F.O., 371/4149/4325,Iiter-Departmental Conference on Middle East Affairs, Minutes of a Conference held at the Foreign Office on Thursday,April 17,1919,at 430 P.M., Secret,P.2.

[266] Ibid,P.7.

[267] S.H.Longrigg, وهو نفسه الذي الق فيما بعد مجموعة كتب قيمة عن تأريخ العراق الحديث والمعاصر, أهمها قاطبة كتابه "أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث" الذي ينطوي على معلومات في غاية الاهمية بالنسبة لموضوعنا, ولقد أعيد طبع ترجمته العربية حوالي عشر مرات, ليحتل بذلك المقام الاول في تأريخ المطبوعات العراقية.

4- ثلاثة أعضاء يمثلون التركمان.

5- ستة أعضاء يمثلون الكرد.

سجلت التقاريرالبريطانية التفصيلات المتعلقة بكل واحد من أعضاء مجلس ادارة كركوك المذكورين, وكرست لهم وثيقة خاصة صورتهاو وندون فيما يلي ترجمتها:

ال عدد	الاسم	محل الاقامة	المصالح من يمثل وغير ذلك (المهنة)	الهوية الشخصية	
				الجنس	الدي
1	أحمد خانقاه	كركوك وقرية علي غاير	رجل دين ومزارع كبير	كردي	سن
2	احمد حمدي أفندي	كركوك	رجل دين, موظف قاضي	كردي	سن
3	مجيد أفندي[268]	كركوك	رئيس بلدية (في العهد العثمتني) ملاك و موظف	تركماني	سن
4	حسي بيك نفطجي	كركوك وقرية	مصالح محلية (	تركماني	سن

[268] هو نفسه مجيد اليعقوبي, وكما اسلفنا ينتمي يعقوبيو كركوك الى عشيرة زهنگنه الكرديه.

		طوبزاوا	خصوصاً أبار النفط), ملاك تاجر ومزارع يمثل المثقفين		
5	حاجي جميل بيك	كركوك	يمثل الطائفة اليهودية, يهودي تاجر	تركماني	سن
6	حسقيل أفندي	كركوك	يمثل الطائفة المسيحية, كلداني تاجر ومزارع	يهودي	يهو
7	قسطنطين أفندي	كركوك	يمثل الطائفة المسيحية, تاجر و مزارع	كلداني	مس
8	جميل بيك بابان	كنگره بان قرب كفري	ارستقراطي محلي	كردي	سن
9	عمر أغا	كفري	ملاك مزارع	كردي	سن
10	الشيخ حميد الطالباني	كييل	عشيرة الطالبانية, ملاك عشائرعربي	كردي	سن
11	حسين العلي	الصحراء	عربي, شبه	عربي	سن

			بدوي, غير مزارع		
1 2	رضا بيك	كلار, على نهار ديالى	مـــزارع مســـتقر من الجاف	كردي	سن

ومما يجدر ذكره أن حسين العلي هو من زعماء عشيرة العبيد المعروفين, وكان هو واولاده الذين خلفوه في زعامة العشيرة, على علاقات طيبة مع كرد المنطقة, ومع الزعماء الكرد, خصوصاً مع الشيخ محمود الذي كانوا على اتصال مباشر به[270].

فضلاً عن المجلس أشغل الكرد والتركمان تقريباً جميع الوظائف الادارية في كركوك وتوابعها في مرحلة الاحتلال البريطاني, كما كان عليه الامر في العهد العثماني, وقد وردت أشارات صريحة الى ذلك في العديد من التقارير والوثائق البريطانية الخاصة التي يعود تاريخها الى تلك الحقبة. ففي دوائر البلدية, مثلاً, استخدم البريطانيون العديد من موظفي العهد العثماني منكرد و تركمان, و أسسوا دوائر خاصة بالواردات في كركوك و توابعها "كان يشرف عليها الحاكم السياسي في

---

[269] Public Record Office,F.o., 371/4152-3717.

[270] **نورد حقائق محددة عن ذلك في المبحث الخاص بعلاقة حركات الشيخ محمود بكركوك وتوابعها, فضلاً عن المبحث الخاص بمشكلة الموصل.**

كركوك, ومساعده في بقية المقاطعات[271]، يعاونهم عدد من الموظفين الكرد" كما ورد أيضاً في تقرير اداري بريطاني يحمل تأريخ العشرين من آب سنة 1919[272].

ويبدو واضحاً من الوثائق البريطانية الخاصة ان اقامة بعض المؤسسات الادارية في كركوك و توابعها كانت تعتمد على موقف الكرد تحديداً, فبأعترافهم لم يتمكن البريطانيون في البداية من تأليف فقرة خاصة للشرطة في كركوك "بسبب امتناع الاكراد عن الالتحاق بها", مما أجبرهم على استخدام ثلاثين شرطياً من خارج كركوك[273].

الى جانب احتفاظه بمعظم الموظفين السابقين لم يمس لونگريگ أيضاً سلطة زعماء العشائر الكردية في كركوك و توابعها. في تعليق له

---

[271] في سنوات الاحتلال البريطاني كان الاقليم الذي يشرف عليه الحاكم السياسي يدعى منطقة (District)، والجزء التابع له الذي يشرف عليه معاون الحاكم السياسي يدعى مقاطعة (Division) إدارياً، وكانت المنطقة تعادل اللواء او المحافظة, والمقاطعة تعادل التقاء. عن ذلك ينظر:
C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, p.g.

[272] Public Record Office, F.O,371/4149,H325,Admini-stration Record during British Occupation by Political Department,India Office,20th August,1919.

[273] " Administration Report.Kirkuk District,Period October 26th – December 31st 1918", in : a Report of Admini- stration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia ", Vol.I, P.435.

على ذلك يقول المتخصص في تأريخ العراق المعاصر, المستشرق ل.ن كاتلوف مانصه:

"وبقيت النواحي المرتبطة, بمنطقة كركوك يديرها موظفوها القدامى, وزعماء القبائل من الاقطاعيين و الاغوات لان سلطات الاحتلال البريطاني لم تتبع سياسة مركزية قاسياً في منطقة كردستان خوفاً من ادارة زعماء القبائل فيهاو الذين كانوا يتمتعون بنوع من الاستقلال الذاتي خلال العهد العثماني"[274].

اتخذ البريطانيون في سنوات الاحتلال سلسلة من الاجراءات الاخرى التي لها مغزاها السياسي والاداري والثقافي بالنسبة لموضوعنا من ذلك, على سبيل المثال, أنهم أصدروا اعتباراً من يوم الخامس عشر من كانون الاول سنة 1918 جريدة بأسم "النجمة" في كركوك, وردت تحت اسم عبارة "موقعها في دائرة الحكومة- كركوك". صدرت "النجمة" في البداية بالعربية, لكنهم سرعان ماغيروا لغتها الى التركمانية –لغة الثقافة والكتابة السائدة يومذاك بين مثقفي كركوك من كرد وتركمان –ورد في التقرير البريطاني عن ادارة كركوك سنة 1918 ان تغير لغة الجريدة جرى "بسبب الرغبة العامة" التي سادت المدينة[275]. ومن

---

[274] ل.ن. كوتلوف, حركة التحرر الوطني في العراق قبل ثورة العشرين, ترجمة الدكتور نوري السامرائي, في "مجلة كلية الادباء", البصرة العدد السابع لسنة 1971, ص 157.

[275] " Administration Report,Kirkuk District…", Vol.I,P.436.

المفيد أن نشير الى أن "النجمة" وجدت طريقها الى الكرد في مدن كردستان الاخرى على نطاق واسع. ومن المفيد أن نشير أيضاً الى أن أول اتصال تلغرافي أنشأه البريطانيون بعد احتلاله مدينة كركوك مباشرة كان مد خط مباشر بين كركوك و السليمانية, ومن ثم بين كركوك والمناطق الكردية الاخرى بعد[276].

بقيت كركوك توالف مركز الادارة الرئيس لمعظم مناطق كردستان الجنوبية طوال سنوات الاحتلال البريطاني (1918-1920), بل لم يجر فصل كركوك عن "جنوب كردستان" في المراسلات, والوثائق البريطانية التي تعود الى تلك الحقبة. ففي حديثه عن الصعوبات التي تعترض عملياً تأليف لجنة خاصة للنظر في مستقبل العراق الاداري فشل وكيل الحاكم المدني البريطاني ارنولد ولسن مدينة الموصل وحدها عن "جنوب كردستان" ضمن ولاية الموصل, اذ يقول في تقرير له يحمل تأريخ الثالث والعشرين من تشرين الثاني عام 1918 ما نصه:

".. الى جانب هذا فأن جميع طاقاتي, وطاقات الموظفين الرئيسيين معي ستتطلبها المهمة الدقيقة الخاصة بالتعرف على أتجاه الرأي المحلي المسؤول في الموصل وجنوب كردستان و ولايتي بغداد وبصرة.."[277]

---

[276] عن ذلك تنظر في:

" النجمة " (جريدة), كركوك, العدد الثاني, 16كانون الاول 1918.

[277] Public Record Office,F.O. 371/3387/194885,from Aliti-cal Officer,Baghdad,November 23,1918,Ghassan R.Atiyyah, Iraq 1908-1921.A Political Study,Beirut,1973,P.169,

في ضوء ذلك جرى البت في موضوع ادارة العراق بعد أنتهاء الحرب. في برقيته الى وزارة الهند بتأريخ العشرين من شباط عام 1919 اقترح ولسن "أن يحكم العراق من قبل مندوب سام, يكون في امرته أربعة وكلاء يديرون المناطق الاتية: 1- البصرة, 2- بغداد, 3-الفرات, 4- الموصل". ثم أضاف: ولكن اذا "منح شئ من الحكم الذاتي لكردستان" و "اذا منحت كردستان مركز\اص قانونياً منفصلاً فسيكون هناك خمسة الوية"[278]. مما يعني اضافة لواء جديد الى الالوية الاربعة الاخرى بأسم كردستان, يضم جميع ولاية الموصل ماعدا مدينة الموصل نفسها, ليصبح العراق بذلك مؤلفاً من الناحية الادارية من البصرة و بغداد والفرات والموصل وكردستان. في التاسع من أيار سنة 1919 أبلغ وزير الدولة البريطاني موافقة حكومته الى ارنولد ولسن بالصيغة الاتية:

"نخولكم المباشرة بأنشاء خمسة الوية في العراق بحدوده المعلومة.. كذلك انشاء لواء عربي في الموصل يحده شريط من دولة كردية ذات

غسان العطية, العراق. نشأة الدولة 1908-1920,ترجمة: عطا عبدالوهاب, دار اللام لندن, 1988,ص225.

[278] Public Record Office,F.O., 371/4184/60942, Secret,Mesopotamia: Future Constitution, raft Reply to Seretary of States Telegram of February 14,1919,GL.A.Atiyyah, Iraq 1908-1921,P.181,

غسان العطية, العراق . نشأة الدولة, ص 239.

حكم ذاتي برئاسة شيوخ أكراد, مع مستشارين سياسيين بريطانيين"[279].

ولئن لن تطبق هذه التوجبات بجذافيرها لاسباب نتطرف الى تفصيلات بعضها لاحقاً, الا أن شيئاً مماثلاً لها هو الذي طبق, والذي أبقى كركوك و توابعها مرتبطة في كل الاحوال, ببقية المانطق الكردية, اذ قسم البريطانيون العراق على ستة عشرة وحدة ادارية, تسمى الوحدة منها منطقة (District), هي بغداد والبصرة و القرنةوالعمارة والناصرية و الكوت و السماوة و الحلة (بضمنها كربلاء) و بعقوبة و سامراء و الدليم و الشابية (بضمنها النجف) وديز الزور و الموصل و خانقين و اخيراً كركوك[280].وهذا يعني أن جميع المناطق الكردية الممتدة الى الشرق والجنوب من خانقين والى الشرق من الموصل, أي أكثر من ثلاثة أخماس كردستان الجنوبية كانت ترتبط بكركوك ادارياً, بما فيها أربيل والسليمانية و كفري وروانذوز و كويسنجق والتون كوبري و

---

[279] Public Record Office Commissioner, Baghdad,May 19th, 1919,A.T. Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P.123,Gh-R Atiyyah,Iraq 1908-1921,PP.184-185,

غسان العطية, العراق. نشأة الدولة, ص 243.

[280]" Reports of Administration for 1918 of Divisions and Districts of the Occnpied Territories in Meseopotamia ", Vol.I,S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950, P.13

في الترجمة العربية: الجزء الاول, ص 183.

داقوق ودوزخورماتو وغيرها, وأخبر فتاح باشا مقترحاً لهذه المنطقة المهمة, وكان يتقاضى راتباً شهرياً قدره 130 روپيه وراتبه هذا كان, مثل راتب متصرف البصرة, يفوق راتب جميع متصرفي المناطق الاخرى, بما في ذلك متصرف بغداد ناجي شوكت[281]، مما يؤشر دون ريب أعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه.

ومن المهم أن نشير الى ان فتاح باشا كان تركمانياً, لكن أختباره أول متصرف لكركوك وتوابعها كان على أساس كونه "يحظى باحترام الكرد" كما ورد نصاً على لسان المندوب السامي البريطاني في العراق بيرسي كوكس أثناء المداولة في المسألة الكردية أمام مؤتمر القاهرة في اذار 1921, وهذا هو النص الانكليزي لكلامه:

"Fatah Pasha, a Turk when the Kards regarded with favenr,had been appointeel Mutassarrif of Kirkuk "[282].

متصرف, بقي مرتبطاً بكركوك ادارياً لغاية نيسان 1923، فيما بقيت السليمانية وتوابعها، وبواقع مساحة 6500-7000 ميلاً حريصاً ضمن كركوك, اذا استمرت الاولى تمثل مقاطعة (Division) تتبع

---

[281] دار الكتب والوثائق, الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي, التسلسل 542-وع, رقم الملف11/2، موضوع الملف : ملاك وزارة الداخلية لسنة 1921, ص 38-40, " العراق " (جريدة)، بغداد, 29كانون الثاني 1921.

[282] Public Record Office, F.C., 371/6343,4372,Report on Midde East Conference held in Cairo and jerusalem, March 12 to 30,1921,P.5.

كركـوك بوصـفها منطقـة (District)[283]، وبقيـت السـليمانية تتبـع كركوك اداريأ حتى اواسط العـام 1925 حيـث تم تعـيين أول متصـرف عراقي لها[284]، ولكن حتى حينذاك كانت كركوك تشمل اداريـاً مـنطقتي بازيان و قرهداغ, اللتين ضمتا الى السليمانية بتدخل من الوزير الكـردي المعروف محم امين زكي في العام 1927[285].

وبعـد الحـرب أيضـاً تم تـأليف قـوة خاصـة بأسـم "قـوة كردسـتان الجنوبية" مقرها كركوك, وهي نفسها التي قامت بقمع أنتفاضة الشـيخ محمود في حزيران سنة 1919[286].

تبلورت أبعاد الاجراءات الادارية هـذه اكثـر بعـد وضـع العـراق تحـت الانتداب البريطانية, وبأتجاه يبين بأستمرار روابـط كركـوك بكردسـتان على جميع الصعد.

---

[283] Public Record Office, 371/5069,4342,Administration Report of Sulaimanyah Division for the year 1919,P.4, " Special Report by His Majestys Government…
to the Council of the league of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931", PP.50,252-254,S.H. Lorigrigg,Iraq 1900 to 1950,P.131 .

في الترجمة العربية: الجزء الاول, ص 224.

[284] C.J>edmonds, Kurds,Turks and Arabs,PP.413,435.

في الترمة العربية : ص369,387.

[285] محمد أمين زكي, ؟؟؟؟؟؟؟, بغداد, 1928, ص7؟.

[286] A.T.Wilson,Nesopotamia 1917-1920,P.137, "العالم العربي " 17أيلول 1931.

كركوك و توابعها ف بداية عهد الانتداب:

في المؤتمر الذي عقده المجلس الاعلى للحلفاء (بريطانيا و فرنسا و أيطاليا واليابان و الولايات المتحدة الامريكية بصفة مراقب) في سان ديو بايطاليا, والذي أستغرقت أعماله أسبوعاً كاملاً من 19 حتى 26 نيسان 1920 تقرر منح بريطانيا الانتداب "على العراق و ولاية الموصل"[287]. وفي ضوء مواد معاهدة الصلح بين الحلفاء وتركيا الموقع عليها في اليوم العاشر من آب من العام نفسه في سيفر قرب باريس وضع لائحة خاصة من قبل عصبة الامم تضمنت شروط الانتداب, وألتزامات بريطانيا بوصفها الدولة المنتدبة على العراق.

تألفت اللائحة المودعة لدى عصبة الامم, والموزعة نسخها بصورة رسمية على الدول الموقعة على معاهدة سيفر, بما في ذلك تركيا, من عشرين مادة, ورد في المادة الثامنة منها ".. ولا تميز فئة على أخرى في العراق بسبب جنسية أو دين أو لغة . ويشجع المنتدب التعليم بلغات العراق الوطنية". نصت المادة السادسة عشرة منها على أن:

"لاشئ في هذا الانتداب يمنع المنتدب في تأسيس حكومة مستقلة ادارياً في المقاطعات الكردية كما يلوح له"[288].

---

[287] " People without a Country>The Kurds and Kurdistan ", Zed Press,London,1976,P.160.

[288] **ينظر نص لائحة الانتداب في:**

أورد العديد من الكتاب القوميين العرب نص هذا البند في مؤلفاتهم, كما فعل ذلك, مثلاً السياسي والمحامي والقومي المعروف, رئيس الوزراء الاسبق عبدالرحمن البزاز في محاضراته التي ألقاها عام 1954 على طلبة معهد الدراسات العربية العالمية التابع لجامعة الدول العربية, وكان مقرها في القاهرة يومذاك[289]، وكما فعل ذلك أيضاً غيره[290]. وحسب معلوماتنا جاءت آخر اشارة عراقية الى نص هذا البند في صحيفة "الجمهورية" في أواسط أيلول من العام 1992[291].

دشن الانتداب عهداً جديداً في العراق يعرف تأريخياً بعهد الانتداب الذي استمر بصورة رسمية حتى اليوم الثالث من تشرين الاول سنة 1932-تأريخ دخول العراق في عصبة الامم.

عبدالرزاق الحسني, تأريخ الوزارات العراقية, الطبعة السابعة, دار الشؤون الثقافية العامة, 1988, الملحق رقم 2, ص 301-304.

289 عبدالرحمن البزاز, محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال, الطبعة الاولى, القاهرة, 1954, ص130. وفي الطبعة الثالثة من الكتاب بعنوان "العراق من االاحتلال حتى الاستقلال", بغداد, 1967, ص325.

290 ينظر على سبيل المثال:

محمود الدرة, القضية الكردية والقومية العربية في معركة العراق, بيروت, 1963, ص71.

291 "الجمهورية" (جريدة), بغداد, العدد 8296, 19أيلول 1992, ص2.

شهدت المرحلة الاولى من عهد الانتداب تطورات في غاية الاهمية, امتدتأثارها بقوة الى المناطق الكردية, وهي مثبتة في سلسلة من المواثيق والتقارير الدولية, والوثائق الرسمية البريطانية والعراقية وغيرها, تبين جميعها الطابع القومي لكركوك و توابعها بوضوح.

في الخامس من تشرين الاول سنة 1920 عينت لندن الدبلوماسي العليم بشؤون الشرق الاوسط, سفيرها لدى طهران يومذاك لسيد بيرسي كوكس أول مندوب سام لحكومة البريطنية في العراق. وصل كوكس بغداد بعد ستة أيام, وباشر في الحال بأتخاذ سلسلة من الاجراءات الادارية لتنظيم شؤون العراق, كان أهمها تأليف "مجلس الدولة" (Council of State) برئاسة عبدالرحمن النقيب في الخامس والعشرين من تشرين الاول سنة 1920, والذي دخل التأريخ بأسم الحكومة المؤقتة: ان مايهمنا من هذا الموضوع هو أن الشخصية التركمانية, الجنرال في الجيش العثماني السابق, عزت باشا الكركوكي, وهو كما يبدو من لقبه من أهالي مدينة كركوك,, أختير لاشغال حقيبة وزارة المعارف والصحة في الحكومة المؤقتة, وسبق أن أختير عزت باشا نفسه ممثلاً عن الكرد في "لجنة الانتخابات العراقية" التي تم تأليفها قبل تشكيل الحكومة المؤقتة باشهر قليلة, وقد أشارت الى ذلك الوثائق البريطانية التي تخص الموضوع[292]. وكما يبدو واضحاً من رسائل السن

---

[292] عن ذلك ينظر في:

بيل[293] أن عزت باشا الكركوكي كان يؤدي فعلاً, دور الوسيط بين الرؤساء الكرد والسلطة, وهذا ماجعله يتمتع بوزن كبير[294].

وطيلة مدة وجود الحكومة المؤقتة التي استمرت حتى الثالث والعشرين من آب 1921, يوم تتويج فيصل الاول ملكاً على العراق, لم ترتبط كركوك و توابعها, حالها في ذلك حال جميع المناطق الكردية الاخرى, بالحكومة المؤقتة ادارياً, بل بقيت مرتبطة بالمندوب السامي البريطاني مباشرة, وذلك بموجب قرار أبلغ كوكس الحكومة المؤقتة به بصورة رسمية, على أن تكون ضمن المنطقة الكردية عموماً, بما فيها كردستان تركيا, تابعة لقسم الشرق المستحدث في وزارة المستعمرات. وقد جاءت "نصت المادة الرابعة والستين من معاهدة سيفر على انه اذا طالبت غالبية أكراد الماطق الواقعة بين حدود أرمينيا وبلاد مابين

محمد مظفر الادهمي, المجلس التأسيسي العراقي. دراسة تأريخية سياسية, الطبعة الاولى, بغداد, 1976, ص113.

[293] من المفيد ان نشير الى أن الجهات المسؤولة. جمعت نسخ الترجمة العربية لرسائل المس بيل التي أنجزها المترجم المعروف جعفر خياط, ونشرتها وزارة الاعلام سنة 1977, وذلك بعد أن أحست تلك الجهات إن مضمون العديد من تلك الرسائل لايخدم سياسة الدولة, بما في ذلك موقفها من القضية الكردية وعمليات التعريب التي كانت تنفذها في المناطق الكردية.

[294] "العراق في رسائل المس بيل" ترجمه وعلق عليه جعفر الخياط, قدم له وزاده تعليقاً عبدالحميد العلوجي, منشورات وزارة الاعلام, دار الحرية, بغداد, 1977, ص315.

النهرين خلال سنة من دول هذه المعاهدة حيز التنفيذ بالاستقلال, وأذا اقتنع مجلس العصبة بأنهم مؤهلون لذلك, فعلى تركيا أن تتخلى عن حقوقها في تلك المناطق . في تلك الحالة لن تتعرض الدول المتحالفة الرئيسة (بريطانيا العظمى, فرنسا, ايطاليا, اليابان) على الانضمام الطوعي للكرد القاطنين في المقاطعات المعروفة اسم كردستان الجنوبية, والتي ضمت الى ولاية الموصل, الى هذه الدولة المستقلة . وبأنتظار حدوث هذا, فان اللجنة التي ضمت ممثلين عن أقسام وزارة المستعمرات المعنية, أوصت بأن تناط مسؤولية كردستان بقسم الشرق الاوسط الجديد في وزارة المستعمرات البريطانية.. وقد أبلغ كوكس مجلس الدولة العراقي (الحكومة اللمؤقتة) بانه سيكون مسؤولاًعن الجزء الكردي العراقي, أي مقاطعتي كركوك والسليمانية وبعض أجزاء البلاد شمال الموصل[295]**.**

في النص الانكليزي:

"Cox had already informed the Iraqi Council of State that he would be responsible for the Kurdish part of Iraq, i.e the Kirkuk and Suleimannieh division and some country north of Mosul "

[295] Ph.Graves,The life of Sir Percy Cox,Second Impression,London and Melbournt,P.283.

استمر هذا الوضع الاداري لكركوك و توابعها حتى بعد تتويج فيصل ردحاً اخر من الزمن كما تلاحظ ذلك ضمن المباحث اللاحقة من هذه الدراسة.

ان أهم حدث سياسي تزامن مع وجود الحكومة المؤقتة العراقية كان مؤتمر خاص في القاهرة عالج ضمن قضايا أخرى, أبعاد القضية الكردية في العراق, ومستقبل كردستان الجنوبية من مختلف جوانبهما, وعلى نطاق واسع مس كركوك وتوابعها بصورة مباشرة.

كركوك و توابعها امام مؤتمر القاهرة:

توسعت شؤون المسعمرات البريطانيةو و تشعبت كثيراً مع انتهاء الحرب العالمية الاولى, مما تطلب من لندن عناية فائقة تعتمد الدبلوماسية, والدراية . جرى ذلك التوسع بالاساس على حساب مناطق في الشرق الاوسط دخلت ادارتها لاول مرة في حوزة البريطانيين, وكان العراق يؤلف دون ريب, أهم تلك المناطق.

كان تقل السياسي المحنك ونستن تشرشل (چرچل) من وزارتي الحربية والطيران الى وزارة المستعمرات واحداً من الاجراءات التي لجأت اليها لندن لمعالجة الموقف الجديد. أول مافكر فيه وزير المستعمرات البريطاني الجديد, كان تأسيس قسم خاص لشؤون الشرق الاوسط, مهمته تخطيط السياسة البريطانية تجاه هذه المنطقة الحساسة. وكان تقليص نفقات الحكومة البريطانية في هذه المنطقة يمثل المهمة الاولى التي تنتظر حلاً عاجلاً نظراً لاستياء دافع الضريبة البريطاني الذي

وقع على كاهله جزء كبير من مصاريف الحرب العالمية الاولى الباهظة التكاليف.

من هذا المنطلق ارتأل چرچل عقد مؤتمر خاص, يحضره المسؤولون البريطانيون في أقطار الشرق الاوسط, بما في ذلك العراق الذي طرح موضوع مستقبل حكمه على بساط البحث أمام المؤتمر.

تألف الوفد الى المؤتمر من المندوب السامي البريطاني السيد بيرس كوكس والسكرتيرة الشرقية لدار الانتداب ألس بيل, ومستشاري وزارات المالية والدفاع والاشغال والمواصلات في الحكومة المؤقتة, وكان جميعهم من البريطانيين, كما ضم الوفد أيضاً وزيرين عراقيين هما وزير الدفاع جعفر العسكري, ووزير المالية ساسون حسقين بوصفهما عضوين استشاريين. كان على المؤتمر أن يبت بالنسبة للعراق في الموضوعات الاتية:

-علاقة الدولة العراقية الجديدة ببريطانيا من حيث النفقات.

-تحديد من سيتولى حكم العراق.

-تحديد نوع وشكل الجيش العراقي.

-" وضع المناطق الكردية, وعلاقاتها بالعراق "[296].

---

[296]" The letters of GertrudeBell", Selected and Edited by Lady Bell,D.B.E. London,Eleveritl. Printing, April 1930,PP.431-432, عبدالرزاق الحسني, تأريخ الوزارات العراقية, الجزء الاول, ص36.

ترأس چرچل المؤتمر بنفسه, كما اشترك في اعماله أضافة الى كمبار المسؤولين البريطانيين في الشرق الاوسط, عدد من كبار مسؤولي وزارات الحربية و المالية والطيران.

عقد المؤتمر, الذي دخل التأريخ بأسم "مؤتمر القاهرة", على مرحلتين: الاولى في القاهرة حيث أفتتح يوم الثاني عشرة من اذار واستمرت أعماله هناك لغاية الرابع والعشرين من اذار 1921, لتبدا بعد ذلك مرحلته الثانية في القدس والتي استمرت لغاية الثلاثين منه, وهذا بحد ذاته يؤشر أهمية المؤتمر الذي قومته المس بيل هكذا:

"لقد كان مؤتمراً مدهشاً, أنجز فيه من الاعمال خلال أسبوعين أكثر مما كان قد أنجز من قبل خلال سنة بكامله"[297].

أثير موضوع قضية الكردية, ومعها كركوك, في أول اجتماع عقده المؤتمر للبت في مستقبل بلاد مابين النهرين . فقد ورد في ذلك الاجتماع أن المصلحة تقتضي "ان تدار كردستان بصورة مباشرة من قبل المندوب السامي, وتبقى منفصلة عن العراق نفسه" الى أن يتم ظهور "رأي عام كردي معتبر يؤثر الانضمام الى العراق", ولاحظ المجتمعون أن بذل أي محاولة لاجبار المناطق الكردية على أن "تحكم من قبل حكومة عربية سوف يؤدي الى حدوث مقاومة". وأثير بالمناسبة موضوع سحب الحامية البريطانية التي نقلت الى كركوك, ةالتي ادت

---

[297] "العراق في رسائل المس بيل", ص 274.

الدور الاساس في القضاء على الانتفاضة الكردية التي انفجرت بقيادة الشيخ محمود ذد البريطانيين في العام 1919[298].

وفي اليوم الرابع من المؤتمر, وهذا لايخلو من مغزى, الموافق للخامس عشر من أذار 1921 كرست اللجنة السياسية, وكانت اهم لجان المؤتمر, جلستها الرابعة لمناقشة القضية الكردية بصورة مستقلة. ترأس الجلسة شخص وزير المستعمرات ونستن چرچل, أما الاعضاء المشاركون فيها فكانوا السير بيرسي كوكس المندوب السامي البريطاني في العراق, والمس بيل, والكولونيل لورانس الذي كان يشغل يومذاك منصب مستشار وزير المستعمرات للشؤون الشرقية, والميجر يونك الخبير بالشؤون المالية, والميجر نوئيل خبير بالقضايا الكردية, والميجر بادكوك المشرف على تنظيم أعمال المؤتمر سكرتيراً لجلسة. خصص الملحق العاشر للتقرير و الذي أعد اعمال المؤتمر وقراراته، لمادار في تلكالجملة[299].

ان ما أثير في تلك الجلسة بخصوص "كردستان الجنوبية" وأحياناً "جنوب كردستان", وفيما يخص كركوك و توابعها بالتحديد, أمر ذو أهمية خاصة محلياً, وكذا دولياً, ويلقي ضوءاً ساطعاً على العديد من الابعاد الخفية لواقع القضية الكردية في العراق. نحاول فيما يلي أن

---

[298] Public Record Office, F.O., 371/6343/9372,Report on Middle East Conference held in Cairo and jerusalem,March 12 to 30, 1921,II,Mesopotamia,P.5.

[299] Ibid,Apendix 10, PP.59-61.

نلخص ماجاء في مؤتمر القاهرة بخصوص القضية الكردية, مع كل مايخص كركوك وتوابعها, في جملة نقاط أساسية، هي:

-ان اللجنة السياسية تعاملت مع القضية الكردية "في ضوء دراسة معاهدة سيڤر" التي منحت كرد الامبراطورية العثمانية في موادها 62-64 حق تقرير المصير, وعلى هذا الاساس "تم الانتزاع بان لايدخل كرد الجنوب تحت سيطرة حكومة العراق"[300].

-في ضوء ماتقدم اكد السير بيرسي كوكس "أنه سبق له أن أبلغ مجلس الدولة (يقصد الحكومة العراقية المؤقتة برئاسة عبدالرحمن النقيب) بأنه في غضون السنة التي تتمتع كردستان فيها بحق أختيار الاستقلال بموجب معاهدة سيڤر[301] سيقوم شخصياً بأدارة المناطق

---

[300] Ibid,P.59.

[301] يقول نص المادة 64 من معاهدة سيڤر: "إذا راجع الكرد القاطنون في المناطق الواردة ضمن المادة 62 مجلس الامم في غضون سنة من نفاذ منطوق هذه المعاهدة, مبينين عن أكثرية سكان هذه المناطق يرغبون في الاستقلال, وإذا اوصى المجلس بمنحهم أياه, فأن تركيا تتعهد من الان أن تراعي تلك التوصية, فتتخلى عن كل مالها من حقوق و حجج في هذه المناطق, وتصبح تفاصيل هذا التنازل موضوع إتفاق خاص بين الدول الحليفة الرئيسة وتركيا. وإذا وقع مثل هذا التخلي, وفي الوقت الذي يحدث فيه, فان الدول الحليفة الرئيسة لن تضع أي عراقيل بوجه الانضمام الاختياري للكرد القاطنين في ذلك الجزء من كردستان الذي مايزال حتى الان ضمن ولاية الموصل, الى هذه الدولة الكردية المستقلة". تنظر:

" Sevres and Lausanne “, Moskva,1927,PP.24-25

الكردية بما في ذلك كركوك[302]. وهنا يحدد كوكس مايقصده بالمناطق الكردية التي يقول عنها أنها عبارة "عن المنطقة التي يؤلف للكرد أكثرية سكانها, وهي مقطعتا كركوك و السليمانية, مع أصقاع معينة تمتد الى الشمال من الموصل ". بعد ذلك يذكر كوكس حقيقة جديرة بالملاحظة, مفادها "أن كركوك والموصل يداران حالياً من قبل متصرفين بأستشارة ضابطين سياسيين بريطانيين, مع ملاك من الموظفين الكرد الذين يوجد عدد كاف منهم". ثم يقتصر كوكس حديثه على كركوك وحدها' فيقول "لقد تم تعيين فتاح باشا متصرفاً لكركوك, وهو تركماني يخطى باحترام الكرد"[303].

-أثير أمام المجتمعين موضوع شكل الحكم الذي كان يجب أن يتمتع به "كرد الجنوب", فأعتقد الميجر يونگ ضرورة "أقامة دولة كردية تكون مرتبطة بالمندوب السامي بصورة مباشرة, على أن لاتكون جزءاً من الحكومة العراقية, ولاتابعة لها". وحول الموضوع نفسه, وردا على سؤال وجهه اليه چرچل, قال لميجر نوئيل بوصفه متخصصاً في القضايا الكردية, أن الكرد يرون أنهم منحوا ما مانوا يأملونه بموجب معاهدة

---

[302] " Report on Middle East Conference held in Cairo and jerusalem..",appendix 10,P.59

[303] Ibid,PP.59-60

سيفر". وأضاف "أن الكرد يفضلون Home Rule[304]، ويعترضون على قبول أي مسؤولية من طرف الحكومة العراقية"[305].

هنا توجه چرچل الى الكولونيل لورانس, بوصفه متخصصاً في القضايا العربية, متحمساً لها, ولكونه أقرب البريطانيين من الامير فيصل الذي تقرر في مؤتمر القاهرة ترشيحه لعرش العراق, يستفسر عن رأيه, فكان رد لورانس "أن من رأيه يجب أن لايوع الكرد تحت اشراف حكومة عربية". بل أكثر من ذلك أنه اعترض حتى على وجود متصرفتين في المنطقة, واحدة في الموصل والاخرى في كركوك, واقترح "أن يكون هناك متصرف واحد ليس بالضرورة أن يعطى موقع أمير كردي" على غرار الامير العربي المقترح لعرش العراق[306]. بعد أن اعترضت المس بيل على توحيد المتصرفتين في متصرفية واحدة عاد الميجر يونگ الى الكلام, فبين أنه يرى أن الوقت مناسب لاجراء أنتخابات محلية في كردستان الجنوبية "لاختيار مجلس محلي" على غرار الحكومة المؤقتة العراقية, على أن تكون بمعزل عن الانتخابات التي تقرر أجراوءها بخصوص عرش العراق. وأضاف "أن يعتقد بأن ليس

---

[304] "Home Rule' شكل من الحكم يتجاوز الحكم الذاتي كثيراً, وهو أقرب الى الكونفيدرالية, كان الايرلنديون يتمتعون به.

[305] " Report on Middle East Conference held in Cairo and jerusalem …", Appendix 10,P.60

[306] Ibid,D.60

ضـروريا أن يرسـل الى المنطقـة (الكرديـة) ليفـى عربـي[307], او قـوات بريطانيـة, وان بالامكـان ضـمان الامـن عنريـق تـأليف قـوة كرديـة خاصة"[308].

هنـا تـدخل چرچـل وقـال "أنـه يميـل الى الاتفـاق مـع هـذا المقـترح (مقترح الميجر يونگ), وان بالامكان تقديم عون مالي الى رئـيس كـردي مـع اعوانـه الاكثـر تـأثيراً, وان يمنـع (ذلـك الـرئيس) تسـهيلات تجاريـة محليـة في اطـار اتفـاق يتعهـدون بموجـب منـع الاتـراك (الكماليين) مـن تنفيـذ سياسـة في تلـك المنطقـة تضـر بالمصـالح البريطانيـة في العـراق"[309].استرسل چرچل في تعقيب, فأضاف:

"حتى لـو رغـب الكـرد في الاشـتراك في الانتخابـات (يقصـد أنتخابـات الامير فيصل لعرش العراق) فأنه شخصياً يعتقـد ان مـن الصعب ضـمهم الى العراق. فأن شريفاً (مثل فيصل) قد يقوده نسبه, وتـأريخ اسـرته الى التمسك بنظرية الحق الالهي للملك, ربمـا في الوقـت الـذي يقبـل ظاهريـاً الاجراءات الدستورية, ويوافق على تأليف برلمان, الا انه يزدري في الوقت نفسه, بالاسـاليب الديمقراطيـة والدسـتورية. واذا كـان الامـر هكـذا فـأن

---

[307] للاسف هذا هو الذي حذث فعلاً بالنسبة للكرد في عهد الملك فيصل الأول, مع العلم ان عهده كان أفضل حقبة بالنسبة للكرد في العهد الملكي.

[308]" Report on Middle East Conference held in Cairo and jerusalem…" , Appendix 10,P.60.

[309] Ibid,P.60.

يوكن بوسعه وهو يستند الى قوة جيش عربي, ان يتجاهل الشعور الكردي[310], وأن يضطهد الاقلية الكردية"[311].

هنا يبرز أسم كركوك مرة اخرى بالنسبة لنظام الكردي الذي كان المجتمعون يناقشونه, فقد أكد پيرسى كوكس "ان واردات مقاطعتي كركوك والسليمانية لاتكفي لتمويل ادارة تلك المناطق", مما يقتضي, حسب رأي يونگ, أن تبقى المنطقة مرتبطة ببلاد مابين النهرين اقتصادياً"[312].

4- ورد في التقرير النص الاتي بخصوص المنطقة الكردية:

"في رده على سؤال وجهه اليه رئيس الجلسة چرچل) قال الميجر نوئيل اذا طالب منه رسم حدود بين المنطقة الكردية والعراق فأنها يجب أن تمر تقريباً بمحاذاة خط التلول الممتدة من سفوح الجبال" التي كان يقصد بها جبل حمرين[313].

5-في الختام أشار چرچل الى أن "هناك تشابهاً كبيراً بين مهمات الحاكم العام في جنوب أفريقيا بخصوص أتحاد جنوب افريقيا وروديسيا والمهمات المقترحة بالنسبة للمندوب السامي فيما يخص بلاد

---

[310] للاسف هذا هو الذي حذث فعلاً بالنسبة للكرد في عهد الملك فيصل الأول, مع العلم ان عهده كان أفضل حقبة بالنسبة للكرد في العهد الملكي .

[311] " Report on Middle East Conference held in Cairo and jerusalem..", Appendix10,P.60.

[312] Ibid,P.61

[313] Ibid,P.61

مابينالنهرين وكردستان. وهو يشعر بان السياسة البريطانية منحت القضية العربية مساندة كبيرة للغاية, وليس بالوسع تجاهل حقوق الاقلية الكردية. وأقترح تأسيس فوجين كرديين من الممكن, كما يبدو تطويرهما بسهولة من اجل السيطرة على السليمانية وكركوك. وعبر عن ثقته بانه بتأثير المندوب السامي, الذي عليه أن يشرف على شؤون البلدين (كردستان والعراق) من خلال قنوات منفصلة, ومتحدة بدقة, يكون بالاكان تقريب كردستان والعراق من بعضهما, وربما أنها سوف تؤلفان دولة واحدة في المستقبل. وعبر (چرچل) عن أعتقاده بأن من الممكن أن تتوصل الجلسة الى قرار محدد على هذا الاساس دون الحاجة الى رفع الموضوع الى وزارة الخارجية, او الى أي جهة أخرى, سوى انه من الممكن اشعار عصبة الامم بالامر في النهاية".

وبالنسبة للنظام الكردي المقترح فان المس بيل أكدت ضرورة فصل مدينة الموصل وحدها عن المنطقة الكردية "وضمنها الى العراق دون ريب" وذلك في معرض ردها على سؤال وجهه چرچل أليها[314].

6- خصص الملحق الحادي عشر لموضوع "الجيش والليفي العربيين", وهو عبارة عن محضر لما دار في الجلسة السادسة المشتركة للجنتين السياسية والعسكرية, التي عقدت يوم التاسع عشر من اذار 1921. خصصت النقطة الثالثة من المحضر لموضوع كردستان, والتي جاء فيها:

---

[314] Ibid,P.61.

"3-كردستان: أن على اللجنة أن تأخذ على عاتقها وصنع الترتيبات التي تخص كردستان, والتي يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار الخطة الاتية:

أن كردستان المنتدبة يجب أن تدار بصورة مباشرة من قبل المندوب السامي على الارجح عنطريق مجلس محلي مؤلف من رؤساء كرد يديرون شؤونهم الداخلية, ويتمتعون بمنحة مالية, ومساعدات اخرى من أجل حماية حدود بلاد مابين النهرين من دخلاء غير مرغوب فيهم (كان يقصد بهم الكماليين في تركيا), على ان يفتح (هؤلاء الرؤساء) البلاد امام التجارة, ويشجعوا لتجنيد من اجل أهداف الامبراطورية (البريطانية). يجب أن تؤلف قوة من الليفي الكردي بأشراف الضباط البريطانيين, وضباط أخرين يرافقونهم من دون أن يتمتعوا بالسلطات. ويجب ان تكون هذه القوات مهيئة لغاية الاول من تشرين الاول سنة 1921 لتحل محل الحاميات (البريطانية) الموجودة حالياً في كل من كركوك الموصل"[315].

وفي الجلسة نفسها جرى التأكيد مرة أخرى على أن "الترتيبات المتعلقة بكردستان يجب ان تكون شبيهة بتلك التي تسود جنوب أفريقيا, حيث ان المندوب السامي مسؤول من جهة عن حكومة الاتحاد, وفي الوقت نفسه يتمتع بسلطة تنفيذية مباشرة على روديسيا ومناطق أخرى. ولاينوي مس مشاعر الكرد بوصفهم تحت (حكم), العرب سواء من حيث المبدأ, أو من حيث الموقع (أو الموضع), ولكن من جهة أخرى

---

[315] Ibid,Appendix11,P.69

(نهدف) الى ضمان قوات كردية يكون بوسعها في غضون ستة أشهر أن تخفض عنا في ادارة شؤون المنطقة"[316].

بقيت هذه الحقائق, للاسف, في الكتمان الى حد كبير, كما شوهت جوانب منها عن جهل أو عن قصد[317]. فأن المؤرخ المعروف الاستاذ عبدالرزاق الحسين, مثلاً, لم يشر سوى الى فقرة واحدة اقتبسها من احدى رسائل المس بيل, والتي عرض نصها هكذا: واما فيما يتعلق بالفقرة الرابعة (أي وضع المناطق الكردية وعلاقاتها باعراق) فقد "استمر رأي أعضاء المؤتمر على القيام بمحاولة للتوثق منمدى رغبة الكرد في الاندماج في المملكة العراقية, او الانفصال عنها"[318].

لم ينفذ منتوصيات مؤتمر القاهرة بالنسبة لكردستان شئ يذكر, وذلك بسبب مجموعة من العوامل, يأتي في مقدمتها موقف الحركة القومية الكردية من الوجود البريطاني في العراق, الموضوع الذي تتطرق الى أهم أبعاده بقدر من التفصيل لاحقاً. كما لم يؤد الخلاف في وجهات النظر الكردية الدور الاخير في ذلك, الموضوع الذي أشارت اليه المس بيل فيما بعد بأستهزاء بليغ حيث تحدثت في رسالتها المؤرخة في اثاني عشر من نيسان سنة 1923 عن الزعماء الكرد الذين قالت عنهم "ويكره كل فرد منهم الاخر كما يكره الشيطان", لتضع سوءالاً منطقياص بعد ذلك

---

316 Ibid,P.69.

317 ينطبق ذلك حرفياً على مانشر في العراق عن مؤتمر القاهرة في المدة الأخيرة.

318 عبدالرزاق الحسني, تأريخ الوزارات العراقية, الجزء الاول, ص54-55.

مباشرة يقول: "فكيف سيكون بوسعنا أن ننشئ دولة كردية؟"[319].

وضمن جواب سكرتير المندوب السامي پيرسى كوكس على أستفسار ورده في الثامن من تموز 1921 من الحكومة المؤقتة عن "السبب الذي أدى الى تأخير اكمال النظام المؤقت لانتخاب أعضاء المجلس التأسيسي" ورد النص الاتي الذي يوضح مدى عمق الخلافات التي كانت تنخر في صفوف الحركة الكردية يومذاك:

"أجيب على كتابكم 1-535, والمؤرخ في 8 تموز 1921 بان فخامة المندوب السامي ياسف للتأخير الذي حصل في امر الموافقة على قانون الانتخاب, والناشئ-كما بين فخامته سابقاً- عن الاشكال الحادث في ايجاد حل موافق لمصالح الكردية في مناطق مختلفة بحسب معاهدة سيڤر. لقد زاد في الامر اشكالاً تباين اراء الطوائف الكردية في موقفهم ازاء الحكومة الكردية..؟[320].

وينبغي ان نشير ايضاً الى ان السير پيرسى كوكس نفسه لم يكن لديه موقف ودي تجاه القضية الكردية في العراق عموماً, الامر الذي أثر سلباً على تطبيق توصيات مؤتمر القاهرة بشأنها. ورد في دراسة عن مؤتمر القاهرة بهذا الخصوص مايأتي:

---

[319] " العراق في رسائل المس بيل " , ص485.

[320] مقتبس في:

عبدالرزاق الحسني, تأريخ الوزارات العراقية, الجزء الاول, ص54-55.

"استذكر كل من يونگ و لورانس أن التساوق (أو الانسجام) في الرأي[321] في مؤتمر القاهرة قد حبذ اتباع سياسة منفصلة في كردستان, لكن طريقة كوكس, وأسلوبه جعلا مواصلة تلك السياسة أمراً صعباً جداً. وقد اختلف چرچل مع كوكس حول هذا الامر, اذ حبذ چرچل سياسة تقوم على اقامة حاجز كردي بين العرب والترك, كما تقرر ذلك أصلاً في مؤتمر القاهرة"[322]. يقر صاحب كتاب "تأريخ حياة السير پيرسى كوكس" الحقيقة ذاتها[323].

لم يكن تأثير بعض العوامل الخارجية في فرض سياسة كوكس في نهاية المطاف قليلاً, ومن أهم تلك العوامل مخاوف البريطانيين من "الخطر البلشفي", وانتصار الحركة الكمالية في تركيا في وقت أقامت الحركة الكردية العراقية نفسها علاقات مباشرة مع الكماليين, الموضوعات التي نلقي قدراً من الضوء على بعض جوانبها لاحقاً.

رغم ذلك اتخذ البريطانيون بعض الخطوات في ضوء توصيات مؤتمر القاهرة بالنسبة لمستقبل كردستان الجنوبية. فبعد عودة السير پيرسى كوكس من القاهرة نشر سكرتيره بياناً بتأريخ السادس من ايار 1921 استهله بالقول" ينظر المندوب السامي نظراً فعلياً في التدابير الواجب

---

321 في النص: Balance of Opinion.

322 A.S.Klieman, Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921,London,1970,P.168.

323 Ph.Graves,The Life of Sir Percy Cox,P.283.

اتخاذها بحق ادارة المناطق الكردية في العراق. وقد بلغه أن هناك مخاوف تساور القلوب من احتمال الحاقهم بحكومة بغداد, الامر الذي الجأ البعض الى المطالبة بنظام استقلالي. وبلغه في الوقت نفسه أن قادة الرأي الكردي العام يشعرون بالروابط الاقتصادية والصناعية التي تربطهم بالعراق, ففي هذه الحالة يرغب فخامة المندوب أن يحصل ان أمكن على مايشير الى أماني الكرد الحقيقة. وقد نشر المستشارون البريطانيون نص البيان في كل من الموصل وكركوك, التي كانت أربيل مرتبطة بها, والسليمانية[324].

على أثر تبودلت مجموعة من البرقيات الرسمية السرية, وأتخذت بعض الاجراءات نشير الى مايتعلق منها بكركوك من دون تعليق. ففي برقيته المرقمة 109, و المؤرخة في الخامس والعشرين منأيار سنة 1921 أستفسر وزير المستعمرات ونستن چرچل من المندوب السامي البريطاني في العراق پيرسى كوكس "عن رايه فيما لو يفضل أن تعامل كركوك كجزء من كردستان, او كجزء من بلاد مابين النهرين", فكان

---

[324]" Iraq.Report on Iraq administration:October 1920-March 1922",London,Published by His Majesty's Ststionery Ofice,1922,PP.11,126.

يمكن الرجوع حول الموضوع نفسه الى: عبدالرزاق الحسني, تأريخ الوزارات العراقية, الجزء الاول, ص281, محمد مظفر الادهمي, المجلس التأسيسي العراقي, ص187-188.

"من وجهة نظر" كوكس "أن المصالح الكامنة تقتضي فصل كركوك عن العراق"[325].

وفي برقية أخرى بعثها چرچل الى كوكس في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والعشرين من بعد ظهر يوم الرابع والعشرين من حزيران سنة 1921, وهي تحمل الرقم 196, ذكر چرچل الاتي نصه:

"انني أقترح أن تكون المنطقة غير العربية (في العراق) محددة بخط يمتد من مشوره داغ (Mushora Dagh) خلال تيغانا (Tegana) ليلتف حول الموصل, ويتبع الحدود الاثنية (لمنطقة) السكان العرب الخلص الى حد زاوية حدود بلاد فارس المجاورة لقلاي نفط (Kala Naft). يجب توزيع هذه المنطقة على ثلاث مقاطعات مستقلة, تشمل احداها المنطقة الواقعة في الشمال الغربي من الزاب الكبير, واخرى تشمل على منطقة كركوك, والثالثة على منطقة السليمانية. وبالامكان توسيع مقاطعة السليمانية الحالية بحيث تشتمل علىالعناصر الكردية في ديالى الاوسط, الى الشمال من قزلرباط. اما العناصر العربية في مقاطعة كركوك الحالية متصرف في كل من السليمانية و كركوك, على أن يعين متصرف لكل واحد منهما مستشار يكون مرتبطاً بك بصورة مباشرة"[326].

---

[325] Public Record Office,F.O.,371/6346/2262,Paraph- rase Telegram from the Secretary of state for the Colonies to the High Commissioner Mesopotamia,No.196.

[326] Ibid.

وفي الساعة الخامسة وعشرين دقيقة من بعد ظهر اليوم نفسه, أي بعد خمس وخمسين دقيقة بالتحديد, تم أرسال الجزء الثاني من البرقية نفسها من چرچل الى كوكس, وقد ورد في هذا الجزء من البرقية:

"أنني اميل بقوة, في المعلومات المتوفرة لدي, أن أعتبر هذا حلاً صحيحاً. وفي كل الاحوال يجب ترك الحرية للمقاطعات الثلاث أن تبقى مستقلة عن بعضها البعض أو ان تتحد في كردستان الجنوبية. وبأمكانك أن تحتفظ بمسؤول ضمن الملاك التابع لك تقع على عاتقه مهمة الاتصال بالمقاطعات غير العربية, أو اذا تحسنت المواصلات فيما بعد, أن تعتمد على مسؤول يكون مقره في كركوك, أو أي مكان اخر في المنطقة غير العربية"[327].

في ختام برقيته الاخيرة طلب وزير المستعمرات من المندوب السامي البريطاني في العراق پيرسى كوكس ان يدرس الموضوع المطروح بامعان, وأن يتشاور بصدده "اذا ارتأى" مع الامير فيصل, الذي وصل بغداد لتوه بوصفه مرشحاً لعرش العراق[328].

تعامل كوكس في ضوء التوجيهات مع الامير (فيما بعد الملك) فيصل, لانه رأى فيها وسيلة لضمان ظهور دولة عراقية مستقرة تضم القوميتين العربية والكردية. وللاستدلال نختار غيضاً من فيض

---

[327] Ibid.

[328] Ibid.

المعلومات الوثائقية المتوفرة بهذا الخصوص. ففي الاجتماع الذي عقده كوكس مع فيصل في أواخر تشرين الاول سنة 1921 للتداول في أبعاد القضية الكردية وافرازاتها المتوقعة, وحضره كل من الميجر يونگ, أحد المشتركين في مؤتمر القاهرة, و كورونواليس مستشار وزارة الداخلية والسفير البريطاني في العراق لاحقاً, جرى تحديد لالبس فيه لما ؟؟؟؟؟ بكردستان العراق بوصفها المنطقة التي تمتد "الى الشمال من تلول حمرين" التي "تفصل بين السكان العرب وغير العرب", والتي "اذا استثنيت الاقلية التركمانية الصغيرة منها في منطقة كردية" صرفة[329]. وفي الاجتماع نفسه "أخبر يونگ الملك فيصل صراحة بان السياسة البريطانية تستهدف تشجيع القومية العربية لا الاستعمار العربي" وذلك في معرض مناقشتهما للقضية الكردية[330].

سار خلف كوكس, هنري دوبس على النهج نفسه كما تبين ذلك بعد عرض بعض مما يتعلق بموقف كرد كركوك و تركمانها من ترشيح فيصل لعرش العراق, الموضوع الذي يعزز بدوره المنطلقات والحقائق المطروحة حتى الان بين دتي هذه الدراسة.

---

329 Public Record Office,F.O.,371/6347/2262,Para-phrase Telegram.The High Commissioner of Iraq to the Secretary of State for the Colonies,No.616,dated 25th October 1921

330 Ibid,A.S.Klieman,Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921,P.168.

موقف كركوك و توابعها من ترشيح الامير فيصل لعرش العراق

مع نبذة عن موقف فيصل من القضية الكردية

تقرر مؤتمر القاهرة اقامة نظام ملكي في العراق يعهد عرشه الى الامير فيصل بدلاً من أخيه الامير عبدالله, بعد ان فقد الاول منهما عرش سوريا. فقد رأى المؤتمرون أن "الامير فيصل هو أفضل من يمكن له أن يحكم بلاد مابين النهرين" وبما أنه "كان واضحاً جداً بان حكومة صاحب الجلالة لايمكن لها أن ترشح فيصل, بل يجب اختياره من قبل شعب مابين النهرين", لذا "تم وضع برنامج مفصل" من اجل "تأمين أفضل الفرص لضمان اختيار الشعب لفيصل حاكماً له من دون تدخل منجانب حكومة صاحب الجلالة لمصلحته"[331].

في ضوء ذلك بذل المسؤولون البريطانيون في العراق كل ما في وسعهم من أجل حشد أكبر تأييد ممكن للامير فيصل, الا أن ذلك لم يكن دون أن يعبر أهل كركوك وتوابعها عن ارائهم بالاتجاه الذي يبين بوضوح هويتهما القومية. فقبل كل شئ أن "القضية الكردية غير المحسومة" و "ضمانات المستقبل السياسي للمناطق الكردية" كانتا من المشكلات الاساسية التي اعترضت طريق تنفيذ قرار مؤتمر القاهرة بصدد اجراء استفتاء حول ترشيح فيصل لعرش العراق[332].

---

[331] " Report on Middle East Conference held in Cairo and jerosalem…",P.4 and Appendix 9.

[332] **الدكتور كاظم نعمة, الملك فيصل الأول, بيروت, 1988, ص**69,73.

في تعليق له على ذلك يقول مؤلف كتاب "الملك فيصل الاول والانكليز والاستقلال" بالاستثناء الى الوثائق البريطانية: "لكن حملة فيصل تراخت, فلم يتبد في اعين الناس بانه مرشحهم. فكانت هناك حركة معارضة في البصرة, كما أن الاكراد قد أعربوا عن رغبتهم, من خلال استطلاع محلي للرأي, في التمتع بادارة مستقلة"[333].

باستثناء بعض الحالات النادرة فان ابناء جميع الطوائف والاديان والاتجاهات, ممن جرى أستفتاؤهم في الوسط والجنوب, كما في مدينة الموصل وقفوا في نهاية المطاف, بحماس الى جانب ترشيح فيصل لعرش العراق, فيما اختلف الوضع عن ذلك كلياً في كردستان, خصوصاً في كركوك والسليمانية. فأن الاخيرة لم تشترك في الاستفتاء اصلاً. أما كركوك فقد صوتت ضد فيصل. تصف لنا المس بيل التي كانت متحمسة لترشيح فيصل الى أقصى حد, الموضوع هكذا:

"أن سكان منطقة السليمانية في كردستان الجنوبية قرروا, كما كان لهم الحرية في ذلك, الامتناع عن الاشتراك في أي انتخاب يجري لاختيار ملك للعراق. عدا هذا فان نتائج الانتخاب الذي جرى في بقية أجزاء البلاد اتت ب96٪ لصالح الامير. أما ال4٪ المتبقية المعترضة فقد جاءت من التركمان والكرد في كركوك"[334]. ورد الكلام نفسه تقريباً في أول تقرير عن سير الادارة في العراق قدمته الحكومة البريطانية الى "عصبة

---

[333] المصدر نفسه , ص72.

[334] " The Letters of Gertrude Bell ", P.432

الامم" في العام 1922, وذلك بوصفها الدولة المنتدبة على العراق من قبل العصبة[335].

في تعقيب له على موقف أهالي كركوك من ترشيح الامير فيصل لعرش العراق يقول المستشرق البرت م.مينتيشا شفيللى في كتابه "العراق في سنوات الانتداب البريطاني" ان لواء كركوك اتخذ مثل ذلك الموقف علىالرغم من أنه "كان يحكمه موظفوا الحكومة العراقية والمستشارون الانكليز الخاضعون لسلطات الانتداب في بغداد"[336]. ومن المفيد أن نشير الى أن الشاعر التركماني محمد صادق أفندي نظم قصيدة بالمناسبة يقول في مطلعها "أنتخاب أيتمم سني فيصل عراقك ملكنه", ومعناها "لا انتخبك يا فيصل ملكاً على العراق"[337].

في تقرير للاستخبارات عن نتائج الاستفتاء وضعته وزارة المستعمرات البريطانية وردت بالنسبة لكركوك الملاحظة الاتية:

---

[335] " Iraq.Report on Iraq administration:October 1920-March 1922",P.15.

[336] A.M.Memteshashvili,Iraq godi Anglikove Mandata, Moskva,1969,P.198.

في الترجمة العربية لدكتور هاشم صالح التكريتي بعنوان " العراق في سنوات الانتداب البريطانيين ", بغداد, 1978, ص316.

[337] مقتبس في:

شاكر صابر الضابط, موجز تأريخ التركمان في العراق, ص145-146.

"المضابط المعارضة تعلن في الاكثر أن الاهالي ليسوا من العرب, ةأنهم يفضلون الانتظار حتى يروا ماذا سيكون عليه أمر استقلال كردستان, و طالب بعضها بامير تركي. جميع المضابط المؤيدة هي من أربيل التي كانت تتبع كركوك ادارياً حين اجراء الاستفتاء[338]. ومن المفيد اننشير الى ان الحسيني سجل نص هذا الاعتراف الرسمي الخطير مراراً في كتابه المصدر "تأريخ الوزارات العراقية", كان اخره في طبعته السابقة التي نشرتها "دار الشؤون الثقافية العامة" التابعة لوزارة الثقافة والاعلام في العام 1988[339].

ورد في فقرة أخرى في التقرير نفسه عن كركوك: "بعد قراءة رسالة المستشار ف يمجلس كركوك (أنظر رقم 18, فقرة 16) قرروا بالاجماع أن يصوتوا لفيصل, ويكونوا قدوة للنواحي, غير ان الاجتماعات غير الرسمية التي عقدت في منازل خاصة مختلفة عارضت هذا القرار. ففي أجتماع عقد في 23 تموز في دار المفتي تقرر اصدار فتوى ضد فيصل "بوصفه ليس مسلماً صحيحاً, بل يزيدياً" وانه اذا أصبح ملكاً فسيطالبون بالاتحاد مع كردستان. وأعقب في اليوم التالي الاعلان المشار اليه في التقرير رقم 18, فقرة 16 المذكور في الملحق. وقد صرح زعماء

---

[338] Quoted in: Gh.R.Atiyyah, Iraq 1908-1921.A PoliticaL Study , P.329,

غسان العطية, العراق. نشأة الدولة, ص 500-501.

[339] عبدالرزاق الحسني, تأريخ الوزارات العراقية, الجزء الاول , ص 59.

الكرد والعرب في محادثاتهم الخاصة مع المستشار انهم سيصوتون على وفق رغبة الحكومة البريطانية, لكنهم لايريدون فيصلاً, ولايريدون حكومة عربية. بيد أنه كان هناك ثمة عنصر معين يميل الى خلق المشاكل, ومن المحتمل ان العناصر التركمانية كانت تفضل تأييد الاتراك, بل انه حين أعيدت أوراق البيعة بعد التوقيع تبين أن محلتين في مدينة كركوك قد طلبتا حاكماً تركياً.

أما نتائج الاستفتاء في اللواء فهي كما يلي:

1- مدينةكركوك 64 64 مع فيصل, 2786 ضده.
2- ناحية كركوك 197 مع فيصل, 720 ضده.
3- التون كوبري لايوجد أحد مع فيصل, 1500 ضده.
4- داقوق لايوجد أحد مع فيصل, 10000ضده.
5- ملحة لايوجد أحد مع فيصل, 15000 ضده.
6- شوان لايوجد أحد مع فيصل, 1263 ضده.
7- يبدو أن الاعداد الواردة في 4,5 (أي عن داقوق وملحة) قد جرى تضخيمها, ويجري التحقيق بذلك.
8- ان جميع المناطق الكردية تطالب بحكومة كردية[340], لكن فكرة الوحدة الكردية بعيدة عنهم ذلك لانهم ينفرون من

[340] ورد في الطبعة العربية من كتاب الدكتور غسان العطية بعض الاخطاء, مما إقتضى التنويه.

ضمهم الى الاقليم الكردي الحالي في السليمانية[341]. وللموقف الاخير تفسيره الذي نتطرق اليه ضمن المبحث الخاص بالشيخ محمود و كركوك. أما موقف العبيد في ملحة فيعكس, من بين مايعكس مدى توافق الرأي بينهم وبين جيرانهم الكرد, وطبيعة روابطهما فيما بينهما.

أما الكرد في اربيل, وكانوا يتبعون كركوك دارياً كما قلنا, والموصل فقد صوتوا لصالح فيصل ضمان حقوقهم القونية, بل أن قسماً منهم صوتوا له شرط استمرار الانتداب البريطاني[342]. ورد في تقرير وزارة المستعمرات الانف الذكر عننتائج الاستفتاء بالنسبة للموصل الملاحظات الاتية:

"شددت ست مضابط منها على صيانة حقوق الكرد والاقليات الاخرى, وشددت سبع منها حماية حقوق الكرد, وعشر منها وشعت الشروط التالية:

-استمرار الانتداب البريطاني, وأتباع مشورة الضباط البريطانيين في الامور المدنية والعسكرية.

-الاعتراف باللغة الكركدية في دوائر الحكومة والمدارس الابتدائية.

---

341 Quoted in: Gh.R.Atiyyah ,Iraq 1920-1921.A Polifical Studay,P.394,

غسان العطية, العراق. نشأة الدولة, ص504.

342" Iraq, Report on Iraq administration:October 1920-March 1922" PP.14-15.

-حماية الحقوق القانونية والمدنية والسياسية للسكان الكرد.

-يحتفظ كرد العراق بحق الانضمام الى كردستان تركيا, او يكون لهم ذلك حين ينظر في مسالة منح الاستقلال لكردستان تركيا[343] . كما لايخفي ان هذه المضابط كانت تمثل اراء كرد المناطق المرتبطة ادارياً بالموصل (دهوك و العمادية و عقرة و زاخو و غيرها) الذين أبلغت الحكومة البريطانية عصبة الامم بموقفهم هذا, مع موقف كرد أربيل الذين كما قالت حين صوتوا الى جانب فيصل أعلنوا صراحة أنهم يتراجعون عن قرارهم "إذا ماظهرت الظروف الواردة في المادة 64 من معاهدة سيڤر "[344] التي منحتهم حق الانضمام الى الدولة الكردية المقترحة كما أسلفنا.

-اما بالنسبة لخانقين فقد ورد في التقرير: "وفي خانقين, حيث يوجد عدد كبير من الكرد, كان هناك ثمة توف للانضمام الى دولة كردية, غير أنهم لم يجمعوا على رأي, وبعد نقاش حامي الوطيس أفلح ولي اغا من باجلان في كسب باقي أعضاء اللجنة المؤلفة من الاشراف, والتي كانت قد أستدعيت الى بعقوبة, الى جانب الانضمام الى دولة

---

[343] Quoted in: Gh.R.Atiyyah,Iraq 1908-1921.A Political Study,P.32, غسان العطية, العراق. نشأة الدولة, ص500.

[344]" Special Report..to the Council of the league of Nations on the progressof Iraq during the period 1920-1931", P.254.

عربية. عندئذ عادت اللجنة الى خانقين للحصول على تواقيع الاخرين من الاشراف ورؤساء العشائر"[345].

في اليوم الثالث والعشرين من آب سنة 1921 جرى في بغداد تتويج الامير فيصل ملكاً على العراق, وقد حضرت الحفل المهيب الذي أقيم بهذه المناسبة في ساحة القشلة ببغداد, وفود جميع الالوية فيما عدا كركوك و السليمانية[346].

عد البريطانيون موقف كركوك نذير شؤم أت من المنطقة الكردية بأسرها تقول المس بيل في راسلة لها بتأريخ الرابع عشر من آب 1921: ".. وكلا الفريقين (التركمان والكرد في كركوك و توابعها) لايريد أن الحكم العربي, ولذلك طلبت محلتان بدولة كردية مستقلة تخضع لحمايتنا .. كما أنهم يرفضون الارتباط باي طريقة كانت بمنطقة السليمانية, وقد سبق أن صوتت على الانفصال عن الدولة العراقية قبل مجئ فيصل. ولا أذكر اكثر من هذا عن القومية الكردية, التي يمكن أن تسمع السير من الهواء عنها الاشهر القليلة القادمة, مالم ينج السير پيرسى في إقناع كركوك بالانصياع للعقل و المنطق"[347].

---

[345] Quoted in: Gh.R.Atiyyah,Iraq 1908-1921.A political Study , P.394
غسان العطية, العراق. نشأة الدولة, ص503.

[346] " The Letters of Gertude Bell ", P.432

[347] " العراق في رسائل المس بيل ", ص335.

مهما يكن من أمر, لامراء في ان إختيار الاميلا فيصل ملكاً كان يعني تحولاً ما في تأريخ العراق السياسي المعاصر, وظهور عنصر جديد مؤثر بالنسبة للقضية الكردية أنعكست نتائجه على كركوك توابعها ايضاً. وكما سبق أن ذكرنا ان البريطانيين كانوا يرغبون في أن يتبنى الملك فيصل سياسة واقعية مرنة تجاه الكرد وكردستان, الامر الذي توضحت أبعاده أكثر بعد تتويج فيصل, ونشر هنا الى بعض ظواهره التي كانت كركوك وتوابعها متمثلة فيها أكثر من معظم المناطق الكردية الاخرى.

أول البريطانيون هذا الموضوع إهتماماً خاصاً بعد تتويج فيصل, ذلك لانهم كانوا يعرفون أن مصير ولاية الموصل الذي أثير لتوه من قبل قوة ثورية طموحة متمثلة بتركيا الكمالية, إنما يعتمد على موقف الكرد الى حد بعيد. كما أنهم, على العكس تماماً مما ذهب اليه عدد كبير من المؤلفين العراقيين على أساس تحليل مبسط, كانوا يرغبون في إيجاد عراق مستقر يهئ لهم ظروفاً أمثل بدوره على موقف الكرد كثيراً. ومن أجل توضيح هذه النقطة المهمة, والمشوهة الى حد بعيد في تأريخ العراق المعاصر المدون في الداخل, نورد فيما يلي مقطعاً من مذكرة سرية بعثها الى الملك فيصل السير دوبس مندوب السامي البريطاني الجديد الذي خلف السير پيرسى كوكس, والتي ورد فيها اسم كركوك ضمن مقترحات دوبس[348] أكثر من مرة:

---

[348] نتطرق الى قسم من تلك المقترحات, في حدود علاقتها بصلب الموضوع, فيما بعد.

"سري/دار الاعتماد, بغداد..

يا صاحب الجلالة: يظهر من التقارير الواردة حديثاً من الاقضية الكردية أن حركة الاستقلال الكردي قد عادت الى الوجود, وقد حدث في بعض الجهات في طي الخفاء تحريض ضد الحكومة العراقية على أنها حكومة عربية. ان التباين العاطفة بين الشعبين اكردي والعربي- ذلك التباين الذي بالطبع لابد من أن يظل موجوداً بينهما كما هي الحال بين الانكليز والاسكتلنديين لان الله خلقهما شعبين مختلفين- قد إزداد حدة, ويخشى أن يؤدي الى تنافر خطير. ان التقارير المذكورة قد اقلقتني, وأني متأكد من ان جلالتكم ستوافقني على أنه لمن المفجع للعراق أن ينصرف عن تأييده أشد عناصره حيوية.أن موقف الاكراد على الحدود لامر على جانب عظيم جداً من الاهمية للعراق,إذ أنه بولائهم الصميمي, دون غيره, يستطيع العراق حماية نفسه مما يهدده من تجاوز الاتراك ودسائسهم, ويتمكن من تأمين خطوط مواصلاته الممتدة من بغداد الىالموصل وسط كركوك وأربيل. فأن العراق إذا لم يكن محتفظاً إحتفاظاً متبيناً بالروابي الكردية الممتدة من خانقين الى رواندوز, فأنه لن يستطيع الاحتفاظ إحتفاظاً محكماً بالسهول الغنية التي في أسفل تلك الروابي, وبسكة حديد الموصل العتيدة التي ستخترق تلك السهول, ولن يقوى على حماية أعمال شركة النفط التركية المنتظر أن تعود على العراق بالكثير من الارياح. لدى التأمل في هذه الحالة طرأ على خاطري انه قد يكون في إستطاعتة جلالتكم القيام بدور نشيط للغاية في سبيل إستمالة قلوب الاكراد, وإصلاح ذات البين إصلاحاً حقيقياً ما بين

الشعبين الكبيرين اللذين يؤلفان الدولة العراقية, كما فعلت صاحبة الجلالة الملكة فكتور[349] التي كانت العامل الرئسي في توطيد دعائم الاتحاد بين الشعبين الانكليزي والاسكتلندي اللذين بقيا عدوين عدة قرون. وقد تكون جلالتكم عالمين بالغيرة التي كانت الملكة فكتوريا تبديها في كل مناسبة نحو الشعب الاسكتلندي, وكيف كانت تصرف قسماً عظيماً من وقتها في أسكتلندا, وكيف كان زوجها واولادها يرتدون كثيراً الثياب الاسكتلندية. وقد حافظ أخلافها على هذه التقاليد, وكان من نتيجة ذلك أن الاسكتلنديين الان هم تقريباً أشد أنصار العرش البريطاني والامبراطورية البريطانية"[350].

---

[349] من أشهر ملوك بريطانيا في تأريخها الحديث, تمتعت بقوة الشخصية, شهد عهدها الذي بدأ عام 1837 و إنتهى عام 1901 (حوالي 64 عاما), إصلاحات سياسية و إقتصادية داخلية ازالت جزءاً من أسوأ المقاسد التي كان المجتمع إتحدت بلادهم مع انكلترا منذ العام 1707, فضمنت بذلك ولاءهم للتاج البريطاني. يعرف عهدها المديد عادة بالعهد الفيكتوري.

[350] دار الكتب والوثائق,

No.R.O.285,The Residency,Baghdad, to His Majesty king Faisal, October 18,1926,P.3,Secret

دار الاعتماد, بغداد في 18 تشرين أول سنة 1926, الى حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم أيدالله ملكه, رقم الحفظ في ملفات البلاط الملكي 1420 بتأريخ 1926/11/20, س/15,ص3, سري.

ملاحظة: وردت نصوص هذه المذكرات باللغتين الانكليزية والعربية, لذا آثرنا تسجيل أرقامها وتواريخها , وبقية تفصيلاتها المكتبية كما هي, وباللغتين أيضاً.

بعد ذلك يطرح هنري دوبس على الملك فيصل جملة من المقترحات, منها "ان تعلن جلالتكم أن النجمتين اللتين في العلم العراقي, بقطع النظر عن أصلهما التأريخي, تعتبر الان رسمياً أنهما ترمزان الى أتحاد الشعبين الشقيقين العربي والكردي" و "أن توجه جلالتكم إهتماماً خاصاً الى الضباط الاكراد الذين في خدمة الجش العراقي.." وان "تنظر جلالتكم في تشكيل ثلة حرس ملكي خاص صغيرة من الاكراد ترتدي الثياب الوطنية الكردية لتتناوب الحراسة في البلاط, والاماكن الاخرى مع الحرس الخاص العربي", وان "تتوسل جلالتكم بوسيلة ما لاجل إظهار العطف نحو الشبان الاكراد الذين يداومون في دار المعلمين, أو المدرسة الثانوية ببغداد..", وان "نتشبث جلالتكم بتعليم اللغة الكردية", وأن "تقضي جلالتكم عادة أشد اشهر السنة حرارة في إحدى البلدان الكردية الجبلية[351] كشقلاوة مثلاً.."[352].

---

[351] يعتقد صاحب هذه الدراسة ان الرئيس العراقي السابق صدام حسين كان مطلعاً على محتويات هذه الوثائق المحفوظة في دار الكتب والوثائق ببغداد, وأخذ بها من منطلق نقيض لمنطلقات الملكة فكتوريا, فارتدى فعلاص الملابس الكردية, وأعلن عن نيته في تعلم اللغة الكردية, ويقال انه إستعان برجل المخابرات الكردي هوشنگ سيد أحمد وبأستاذ جامعي كردي لهذا الغرض, وأعلن عن نيته من تحويل أربيل الى ماسماه بالعاصمة الصيفية للحكومة العراقية, لكن هدفه من ذلك كله كان تحذير الجماهير الكردية, وتغطية سياسة النظام العنصرية تجاه الكرد, والتي إستهدفت وجودهم القومي على أرض الواقع, وبأسلوب لم يسبقه مثيل في التأريخ.

إختتم هنري دوبس مذكرته التي دونها باللغتين الانكليزية والعربية, والتي تقع في ست صفحات من الحجم الكبير, بالقول: "وإذا حولتم, ياصاحب الجلالة أفكاركم في الجهة التي بينت, فلاشك عندي في انه تحظر لكم عدة مشاريع أخرى أفضل من الذي تجرأت على إقتراحها. ولي الثقة بأن جلالتكم لاتظنون أن قيامي بكتابة ماكتبت هو في غير محلة, فالذي بعثني على كتابة هذا الكتاب هو مأشعر به من القلق الحقيقي بشأن الحالة الراهنة, ثم أملي بأن ترى جلالتكم من المناسب إستعمال تلك المآثر الملكية السامية, مآثر العطف والجود والنجابة التي إشتهرتهم بها في سبيل تأمين ولاء هذا الشعب, والقيام بخدمة فائقة للدولة العراقية. صديق جلالتكم المخلص. التوقيع"[353].

في لقاء سابق له بفيصل يوم الثامن والعشرين من شباط سنة 1923 تباحث دوبس معه حول أفضل السبل التي من شانها أن تساعد على كسب الكرد و زعمائهم الى جانب الحكومةالعراقية, فعرض عليه مقترحات أخرى بلغت الى حد أن يطلب منه "تشجيع صاحب السمو الامير زيد (شقيق الملك فيصل) على التقرب من زعماء الاكراد الذين في

---

[352] دار الكتب والوثائق, نفس الرسالة المندوب السامي البريطاني السير هنري الموجهة الىالملك فيصل الاول بتأريخ 18تشرين أول 1926.

[353] المصدر نفسه.

لوائي الموصل وكركوك, وان يستعمل نفوذ العائلة الملوكية في سبيل تأمين إنضمامهم الى الحكومة العراقية, وتعلقهم بها"[354].

يبدو أن المندوب السامي إقتنع بأن الظروف بالنسبة لكركوك تحديداً لم تنضج بعد للاقدام على مثل تلك الخطوة, لذا نراه يوجه بعد مرور أربعة أيام فقط على لقائهما رسالة الى الملك فيصل يقول فيها:

"وإذا قر الراي على تحبيذ خطة العمل هذه للامير زيد ليعمل بها, فلابد من ان جلالتكم ستنظرون في امر وجوب قيامه في العمل بالاستشارة الى أقصى مايمكن مع متصرفي الموصل وأربيل, على أنه ليس من المستحب في الاونة الحاضرة ان يدخل الامير زيد في علاقات مع أكراد كركوك والسليمانية, واني أعتقد بداهة أن جلالتكم ستبينون هذا الامر بوضوح للامير زيد في أي رسالة قد توجهونها اليه في هذا الموضوع"[355].

إنتقل الامير زيد الى الموصل, واقام إتصالاص مباشراً من زعماء الكرد, ويبدو أنه حقق قدراً من النجاح, فلقد كان يجيد اللغى التركية,

---

354 دار الكتب والوثائق,
No.R.O.285,The Residency,Baghdad,4th March,1923,To His Majesty king Faisal.
رقم: ار.او, دار الاعتماد, بغداد في 4آذار 1923, الى حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم.

355 المصدر نفسه.

وكان على إطلاع كاف على الحياة في تركيا[356]. تقول المس بيل بهذا الخصوص في رسالتها المؤرخة في الاول من أذار سنة 1923: "أعتقد إننا لو تركنا زيد وحده فأنه بوسعه أن يتوصل الى تسوية مشجعة مع الكرد الشماليين"[357].

في الثامن عشر من تشرين اول سنة 1926 إقترح المندوب السامي البريكطاني علىالملك فيصل تأسيس "جمعية في بغداد لتنمية الاتحاد بين الشعبين العربي والكردي" "ربما يفتح لها فرع في كركوك", ويكون أحد أهدافها "تنشيط درس اللغة الكردية, والادب الكردي من قبل العرب, وعلى الاخص الموظفين العرب"[358].

كانت إستجابة الملك فيصل لنصائح البريطانيين جيدة عموماً[359] وردت في التقرير الرسمي الذي بعثه السير پيرسى كوكس, المندوب

---

[356] أصغر أبناء الملك حسين, ولد سنة 1900 من زوجته التركية, كان من صفوة الهاشمين, مثقفاً, لطيف المعشر, حسن التصرف, اجاد التركية والانكليزية بطلاته.

[357] E.Burgone, Gertrude Bell from Her Personal Papers,Ernest Benn Limited ,London,1961,P.310

[358] دار الكتب والوثائق,
No.R.o,285,The Residency,Baghdad,To his Majesty king Faisal, October 18,1926,P.3,Secret.

[359] عن سياسة الملك فيصل الاول القضية الكردية في العراق عموماً يمكن الرجوع الى البحث الذي قدمه صاحب هذه الدراسة الى ندوة " بناء الدولة العربية الحديثة: تجربة فيصل بن الحسين في سوريا والعراق " التي عقدتها جامعته الى البيت في الاردن يومي 25و26نيسان سنة 1998, كان البحث بعنوان " موقف الملك فيصل

السامي البريطاني في العراق, الى وزارة المستعمرات بلندن عن الوضع المالي والاداري للعراق من نيسان 1922 حتى 31 آذار 1923 الملاحظة الاتية عن "وجهة نظر الملك فيصل فيما يتعلق بالمسألة الكردية في العراق أواخر العام 1922, وذلك في معرض تعليقه على قبول بعض المناطق الكردية بعرشه:

"لم يبق لذلك, سوى إيجاد نوع من تصالح مؤقت (في النص modus vivendi وهو مصطلح يعني إتفاق, أو صلح مؤقت يعقد بين طرفين متنازعين او متناحرين) من شانه أن يمكن عرب العراق و كرده مع العيش معاً بسلام في ظل تاج موحد مع إحترام ملزم للمشاعر القومية للعنصرين. إن موقف الملك فيصل مفيد, فانه شخصياً قومي, ذو نظرة بعيدة جداً, ليس مستعداً ان يحترم إحساس الاخرين, ويعترف به حسب, بل إنه مستعد أيضاً أن يمنح المناطق الكردية داخل العراق درجة تامة من الحكم الذاتي, وعلى الكرد أنفسهم أن يقرروا بأي اسلوب يمارسونه"[360]. سجلت الحكومة البريطانية في تقريرها الرسمي الذي قدمته الى عصبة الامم عن سير الادارة في العراق في غضون المدة الممتدة

الاول من المسالة الركدية في العراق ". ينظر نص البحث في: " بناء الدولة العربية الحديثة. تجربة فيصل بن الحسين في سورية والعراق ", منشورات جامعة آل البيت, عمان, 1999, ص 541-556.

[360]" Colonial Office. Report by His Majesty's High Commissioner on the Finance,Administration and Condition of Iraq for the period from 1st April,1922-31st March,1924,Colonial4", London , 1924,P.38.

بين نيسان 1922 وأذار 1923 الملاحظة نفسها نصاً في القسم المخصص من التقرير للقضية الكردية[361]. وعلى العموم كان الملل فيصل الاول مقتنعاً تماماً بضرورة إقامة "حكومة كردية ذات حكم ذاتي داخل حدود العراق طالما أن ذلك لايؤدي الى إنفصال سياسي, أو إقتصادي لمقاطعات الكردية" كما أخبر بنفسه حاكم كركوك السياسي أدموندس بذلك أثناء نقاش لهما بصدد القضية الكردية[362].

في ضوء قناعاته اقام الملك فيصل الاول دوال سنوات حكمه الاثنتي عشرة الاعلاقات مع العديد من الزعماء الكرد, بمن فيهم زعماء كركوك, يلتقيهمو ويتبادل معهم الرسائل[363], نتطرق الى نماذج منها في مبحث أخر من هذه الدراسة. كما أتخذت في عهده سلسلة من الاجراءات الدستورية والقانونية لصالح حل القضية الكردية, منها تأسيس مديرية خاصة للمعارف الكردية كان مقرها في مدينة كركوك. الا ان أجرأ قرار إتخذ فيعخده كان الاعتراف بحق الكرد في إقامة حكومة خاصة بهم تدخل كركوك وتوابعها ضمنها. ففي الحادي والعشرين من

---

[361] Iraq. Report on Iraq Administration, April, 1922- March, 1923", London, 1924, p.38.

[362] Quoted in: E.Burgeyne, Gertrude Bell from Her Personal Papers,P.306.

[363] ملفات البلاط الملكي التي تعود الى عهد الملك فيصل الاول, والمحفوظة في دار لكتب والوثائق ببغداد مليئة بنماذج معبرة عن تلك الرسائل التي تتوفر نسخ منها في عدد من المكتبات الخاصة أيضاً.

كانون الاول سنة 1922 أصدرت الحكومتان العراقية والبريطانية البيان الآتي:

"تعترف حكومة صاحب الجلالة البريطانية, والحكومة العراقية بحق الكرد القاطنين ضمن حدود العراق في تأسيس حكومة كردية داخل هذه الحدود, وتأملان في ان تتفق مختلف العناصر الكردية بأسرع مايمكن على الشكل الذي يودون أن تتخذ تلك الحكومة, وعلى الحدود التي يرغبون أن تمتد اليها, وان يرسلوا مندوبين مسؤلين (مفوضين) الى بغداد لبحث علاقاتهم الاقتصادية والسياسية مع كومة صاحب الجلالة البريطانية, وحكومة العراق"[364].

أبلغت بريطانيا, بوصفها الدولة المندوبة على العراقو عصبة الامم بنص هذا البيان مرتين, المرة الاولى ضمن تقريرها عن سير الادارة في العراق من نيسان 1922 حتى اذار 1923, والمرة الثانية ضمن تقريرها الشامل عن سير الادارة في العراق من بداية الانتداب حتى سنته الاخيرة (1920-1931), والذي على أساسه قبل العراق في عصبة الامم[365].

---

[364]" Report on Iraq Administration,April,1922-March,1923, P.38, " Special Report by His Majesty's Government…to the of the League of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931 ", P.256.

[365] Ibid.

ونشرت صحافة العراق في حينه البيان, كما نشره المؤرخ عبدالرزاق الحسين أشهر مؤلفاته مراراً[366].

هنا ينبغي أن نشير أيضاً الى ان تغييراً لم يطرأ على واقع إدارة كركوك وتوابعها بوصفهما جزءاً من المنطقة الكردية في ذلك العهد. تقل أدناه ما ورد في اول تقرير عن سير الادارة في العراق رفعته الحكومة البريطانية الى عصبة الامم بعد تتويج فيصل, والذي جاء ضمن مبحث مستقل بعنوان رئيسي هو "القضية الكردية" (The Kurdsh Question) وعنوان فرعي هو "الادارة المؤقتة في المناطق الكردية" (Previsional Administration in the Kurdish Districts): "لما كان لي الشرف أن أشير آخر تقرير سنوي لي فان المقاطعات الكردية في الموصل وأربيل عبرت مرتين عن نيتها للانضمام الى العراق, المرة الاولى في حزيران 1921 قبل وصول الامير فيصل, ومرة أخرى في آب (1921) حين أدت يمين الولاء له ملكاً بأستثناء قضاء رواندوز, ولكن في الحالتين كانت هنالك ثمة تحفظات مؤكدة تستهدف ضمان قدر من اللامركزية توافق عليها الحكومة العراقية, على ان يكون اسكان غير ملزمين بالانصياع الى قرارات سابقة من هذا القبيل إذا ما أستجدت ظروف في ضوء ماورد في المادة 64 من معاهدة سيڤر . من جهة اخرى

---

366 نشر عبدالرزاق الحسني هذا النص لمرة الأخيرة ضمن الطبعة السابق من تأريخ وزاراته الشهير الذي اصدرته دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة 1988, ينظر: عبدالرزاق الحسني , تأريخ الوزارات العراقية, الجزء الاول, ص282.

رفض (لواء) السليمانية كلياً فكرة الانضمام للعراق في حزيران 1921. في حين طلبت أغلبية سكان (لواء) كركوك بأن يؤجل ذلك القرار (قرار الانضمام الى العراق) لمدة سنة, وفي الوقت نفسه لم يؤدوا يمين الولاء للملك. وبأنتظار حل كان لواء كركوك يدار كما كان في السابق, من قبل الحكومة العراقية ومستشارين بريطانيين[367]. ويبدو من هذا واضحاً أن إنضمام كركوك الى العراق تأخر عن أنضمام أربيل والمقاطعات الكردية التابعة للواء الموصل اليه.

آخر إجراء مهم إتخذ في عهد الملك فيصل الاول تجاه تعزيز الوحدة الوطنية كان إعتراف الحكومة بصورة رسمية, في تموز سنة 1930, بأن النجمتين الموجودتين داخل العلم العراقي "هما رمزان للشعبين العربي والكردي- الشعبين الرئيسيين في العراق", القرار الذي عده المندوب السامي البريطاني"تطوراً عظيماً في الموقف الذي تبنته حكومة العراق حتى الان بشأن القضية الكردية"[368].

أشارت مصادر كومية لاحقاً الى هذه الحقيقة التي حاول الكثيرون طمسها, أو يحاولون إنكارها وكان في عدم وجودها مثقال ذرة من الخير للوحدة الوطنية. وردت في الدليل الرسمي للعام 1936 الذي صدر, كما قلنا, في عهد ياسن الهاشمي, العبارة الاتية في مبحث "شعار الدولة

---

[367]" Report by his Britannic M ajesty's Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the Year 1921-1922", London, 1923,P.32.

[368] Public Record Office,AIR,23/417,XM-O4583,No.15,July 21,1930.

العراقية": "تحوي الوان العلم العراقي رمزاً الى العنصرين العربي والكردي"[369]. وردت تفصيلات أدق حول الموضوع نفسه في مصدر رسمي آخر هو "دليل المملكة العراقية لسنة 1932-1936 المالية", هذا نصها:

"للدولة العراقية شعار خاص صدر به قانون بأسم قانون شعار الدولة العراقية رقم 25 لسنة 1931, ويتألف شعار الدولة من رقعة ملونة بالوان العلم العراقي, الاحمر فوق, فالاسود, فالأبيض,فالأخضر, تضمها حاشية مذهبة, وفي طرفيها العلويين ضمتان يتكون منهما زهرتان مربوط كل منهما بشريط مذهب متشابك على شكل ذوابة, ويعلوا الرقعة التاج العراقي مستنداً الى كوكبين ذوي سبع شعب مرزخرفة تحوي ألوان العلم العراقي رمزاً الى العنصرين العربي و الكردي"[370].

بقيت كركوك, مع ذلك كله, أقل المدن العراقية ولاء لفيصل الاول بوصفه ملكاً للعراق, الامر الذي لايخلوا من مغزى بالنسبة لموضوعنا. ورد في تقرير ضابط الاستخبارات البريطاني في كركوك عن زيارة فيصل للمدينة في كانون الاول 1924:

---

[369] " الدليل العراقي الرسمي لسنة 1936 " , ص122.

[370] " دليل المملكة العراقية لسنة 1935-1936 الحالية. يصدر باللغتين العربية والانكليزية... بأجازة من وزارة داخلية العراق رقم 342 تأريخ 1934/10/13 ", بغداد, 1354م, ص153.

"زيارة الملك فيصل الى كركوك: على الرغم من الاستقبال الحافل الذي جرى للملك فيصل لدى وصوله كركوك, فأن زيارته أدت الى تفجير شعور الكراهية تجاه الحكومة العراقية. أن الشتائم الموجهة لملك كانت تسمع من جميع الاطراف.. أن مبعث الاساءة للملك هومنصبه لاشخصيته التي كشفت بمهارة بأنها متحسسة, ودية, وعميقة التفكير, ولدت إنطباعاً حسناً بالنسبة للاشخاص كافة الذين قابلوه"[371].

رافق الملك فيصل في زيارته تلك, التي شملت اربيل والموصل أيضاً, الشخصية الردية المعروفة إبراهيم الحيدري الذي كان يشغل يومذاك منصب وزير الاوقاف في وزارة ياسين الهاشمي. يتذكر شهود عيان أن الوجود العربي داخل مدينة كركوك أثناء تلك الزيارة كان يقتصر على محلة صغيرة تعرف ب(عربلر) يقطنها القصابون و اصحاب الجواميس, فضلاً عن عدد الحديديين على الطرق بين محطة القطار والمدينة, أمر الملك فيصل بازالتها بسبب منظرها, ونقل أصحابها الى مكان آخر[372].

على الرغم من مواقفهم الانفة الذكر حاول البريانيون, لاسباب تخص مصالحهم, إبعاد كركوك و توابعها عن الحركة القومية الكردية, ولا سيما عن حركات الشيخ محمود التي كانت كركوك وتوابعها تمثل

---

[371] Public Record Office, AIR,23/184,Part I,XM 4583,Intelligence Report No.2for the period ending 28th December 1924.

[372] مقابلة مع محمد جميل الروزبياني بتأريخ 20كانون الاول 1992, مقابلة مع اللواء المتقاعد فؤاد عارف بتأريخ 7كانون الثاني 1993.

دائماً أحد اهم أهدافها المركزية, ومنطقة أساسية من حيث التأثر بأحداثها, والتأثير فيها.

كركوك وتوابعها وحركات الشيخ محمود:

للشيخ محمود البرزنجي[373] واسرته روابط تأريخية مع كركوك وتوابعها وعشائرها و تكاياها وحركاتها السياسية والاجتماعية على مختلف الصعد يعود تأريخها الى مرحلة سبقت قيادته للحركة القومية الكردية. فان أجدادها كانوا يخطون بأحترام عميق بين أكهالي كركوك وتوابعها بوصفهم رجال دين كباراً, وكانوا على أتصال وثيق بوجوه المدينة نفسها, بمن فيهم المشرفون على التكية الطالبانية, والشاعر الشهير الشيخ رضا الطالباني. وتحول مرقد كاك أحمد الشيخ الى مزار للكركوكيين, مثل غيرهم من كرد المنطقة. وحين سافر الشيخ سعيد, والد الشيخ محمود الى إستانبول تلبية لدعوة من السلطان عبدالحميد الثاني سنة 1311 للهجرة (1893 للميلاد) أستقبل في كركوك بحفاوة بالغة في طريقه الى هناك, وكان الشيخ محمود يرافق والده في سفرته تلك. وجدير بالذكر أن عزت كاكائي, احد مثقفي كركوك يومذاك, كان سكرتيراً شخصياً للشيخ سعيد[374].

---

[373] يلقب أيضاً كونه حفيداً لكاك أحمد الشيخ. يذكره العديد من المؤرخين, منهم لونگريگ بلقبه البرزنجي.

[374] للتفصيل عن ذلك ينظر في:

عندما أغتيل الشيخ سعيد في كانون الاول سنة 1908 في الموصل, الى حيث نفاه الاتحاديون[375] وقف الى جانب أتباعه "عدد من أفراد الجندرمة الخيالة المسلحين بالبنادق, جميعهم من أهالي كركوك و السليمانية"[376]. تؤكد مختلف المصادر إن إغتيال الشيخ سعيد سعيد أثار أهالي أربيل وكركوك والسليمانية بشدة. يقول المترجم والمؤرخ جعفر الخياط في تعقيب له على ما تذكره المس بيل عن مقتل الشيخ سعيد:

"فكان للحادث دوي كبير في منطقتي كركوك والسليمانية بين السكان"[377].

وحسبما يبدو من مذكرات سكرتير الشيخ سعيد, عزت كاكائي, أن تدخل عدد من أعوان الشيخ سعيد و أقاربه قد حال دون وقوع أعمال عنف "في كل من أربيل و كركوك" بأنتظار نتائج التحقيق الذي وعد

M.R.Hawar , The Leader Shaikh Mahmood and Southerm State of Kurdistan, in Kurdish,London,Jaf Press,1990,PP.136-137,147,209.

375 عن إغتيال الشيخ سعيد, وأسبابه ونتائجه ينظر في:

Ibid,PP.143-147, عبدالمنعم الفلاحي, الضحايا الثلاث,موصل. 1952, ص12-26.

376 عبدالمنعم الفلاحي, ثورتنا في شمال العراق 1337-1338هـ 1919-1920م, الجزء الاول, بغداد, 1966, ص133.

377 " فصوا من تأريخ العراق القريب ", كتاب يبحث عن العراق في عهد الاحتلال البريطاني بين سنتي 1914 و 1920 كتبه بالانكليزية المس بيل, نقله الى العربية وكتب حواشيه جعفر الخياط, الطبعة الثانية, بغداد, 1971, ص137.

الاتحاديون أجراءه في الحادث[378]. وفي العام 1913 طلب الشيخ محمود بأسم كرد السليمانية وكركوك وأربيل وغيرها مساعدة الروس لحركته الاتسقلالية[379]. وعندما ذهب الشيخ محمود على رأس حوالي ثلاثة الاف من الفرسان الكرد حسب تقدير وزارة الحربية البريطانية[380] لصد القوات البريطانية جنباً الى جنب أبناء العشائر العربية في وسط العراق وجنوب, وإشترك فعلاً في موقعة الشعيبة قرب البصرة في نسان 1915, فأن عدة مئات من متطوعي كركوك وتوابعها من الكرد أشتركوا في تلك المعركة تحت قيادته التي رافقه فيها ثلاثة من زعماء الكرد في كركوك هم كل من رفعت إسماعيل بيك دادوده وأبن عمه علي نامق أغا وسيد احمد خانقاه الذي مثل كركوك في البرلمان العراقي لاحقاً. وكان علي نامق أغا احد شهداء الكرد في معركة الشعيبة التي جلبت سمعة رفيعة للشيخ محمود بين الاوساط الشعبية العربية إنعكست في أهزوجة تقول "ثلثين الجنة لها دينا وثلثها للشيخ محمود واكرده"[381]. وكان لكرد ماوراء العمارة والكوت, خصوصاً كرد البدرة و إمتداداتها دورهم في خطط الشعيبة, فقد إتصل بهم بأسم قادة المجاهدين والقيادة العثمانية

---

[378] M.R.Hawar,The Leader Shaikh Mahmud…,P.148.

[379] M.S.Lazarev,Kurdistan I Kurdskaya Problema,P.230.

[380] Public Record Office, War Office , 32/5806/2205,The Potential Enemies in Mesopotamia,No.162/428,Dated April 15,1920.

[381] للتفصيل عن الموضوع ينظر في: كمال مظهر, الكرد ومعركة الشعيبة, في مجلة " روشنبيرى نوى " (المثقف الجديد), بغداد, العدد 125,1990 , ص36-40.

الشيخ محمود رضا الشبيبي خصيصاً لهذا الغرض[382]. ورد في مصدر موثوق بهذا الخصوص مانصه:

"التحق الشبيبي نفسه ببعثة عسكرية مرسلة الى عشائر الاكراد في الجنوب الشرقي من العراق لمنع الانكليز وأعدائهم من التغلغل والتسلل الى تلك الجهة من منطقة البصرة (يقصد الشعيبة), او من ناحية الاهواز, وتطويق الجيش التركي المحارب في مواقع الكوت والفلاحية. وبعد أن مكث الشيخ الشبيبي في تلك الجهات بعض الوقت تلقى برقية تدعوه للاتحاق بهيئة القيادة العامة للحملة العسكرية المجهزة لاسترداء البصرة"[383].

يجدر بالذكر ان تركمان كركوك وتوابعها كان لهم أيضاً حضورهم في معركة الشعيبة, ويرد إسمهم جنباص الى جنب إسم الكرد في المصادر التي تطرقت الى هذا الموضوع. يقول العميد الركن شكري محمود بهذا الخصوص:

---

[382] حسن الأمين, الشيخ محمد رضا الشبيبي علامة العراق وشاعر العرب, - " العربي " (مجلة), الكويت, العدد 159, فبراير 1972, ص76-77.

[383] عبدالرزاق الملالي, دراسات وتراجم عراقية, بغداد-بيروت, 1972, ص19.

"تحشد القسم الكبير من المجاهدين في منطقة الناصرية, فبلغ عدهم في أواخر كانون الثاني (1915) زهاء 12 ألف مجاهد عربي وألفي مجاهد كردي وتركماني"[384].

تطرقنا الى جانب من إتصالات البريطانيين بالشيخ محمود في السنة الاخيرة من سنوات الحرب العالمية الاولى عن طريق خانقين وكركوك, وتحولت الاخيرة مع إنتهاء الحرب الى مركز تلك الاتصالات, والى مكان إلتقاء ممثلي الشيخ محمود بالمسؤولين البريطانيين, ومن ثم الى تحشيد القوات البريطانية لضرب حركاته. وكما بينا أن أول حاكم سياسي عين في كركوك بعد إحتلالها للمرة الثانية كان نوئيل الذي جاء إختياره على أساس إطلاعه الواسع على الشؤون الكردية, وليكون حلقة وصل مع الشيخ محمود الذي دخل الانكليز في مساومة صريحة معه بسبب النزعة الاستقلالية التي كانت تسود المنطقة, ولصعوبة الاحتفاظ بقوات كبيرة هناك, مما كان يتنافى كلياً مع التوجهات السياسية التي كانت تسود بريطانيا نتيجة إستياء دافع الضريبة من التكاليف الباهظة التي كان يتطلبها وجود القوات البريطانية في الخارج. يقول الضابط السياسي الانكليزي السابق في كركوك لونگريگ:

ط كانت مشكلة كردستان الجنوبية في تشرين الثاني عام 1918 تتلخص فيان إقامة نظام أفضل من الفوضى, وأن لاتؤذي جاراتها بلاد

---

[384] العميد الركين شكري محمود نديم, حرب العراق 1914-1918. دراسة علمية, الطبعة الثامنة, بغداد, 1974, ص29-30.

فارس[385] والعراق, من غير الحاجة الى إستخدام قوات لم تكن متوفرة أصلاً"[386].

على هذا الاساس إعترف البريطانيون بالشيخ محمود حكمداراً على كردستان الجنوبية لان "الشعور القومي الكردي في ذلك الوقت كان متجسداً في شخصه" بأعتراف أهم وثيقة قدمتها الحكومة البريطانية الى عصبة الامم في سنوات الانتداب[387]. تبين جميع الوثائق البريطانية المبكرة المعنية بالموضوع أنه كان من المقرر أن تدخل كركوك و توابعها ضمن "حكمدارية كردستان الجنوبية" التي غدت, مع "حكمدار كردستان الجنوبية" مصطلحاص متداولاً في الوثائق البريطانية التي

---

[385] كانت العلاقات بين لندن وطهران جيدة يومذاك, وكان البريطانيون يهمهم إستقرار الاوضاع في إيران كثيراً بهدف تحويلها الى سد أمام الخطر الجديد المتمثل بالبلاشفة الجاثمين على حدودها الشمالية بصورة مباشرة, لذا فأنهم كانوا منهمكين يومذاك بالتخطيط من أجل توقيع معاهدة ثنائية معها تحقق لهم هذا الهدف السوقي المهم.

[386] S.H.Longrigg,Iraq 1900to 1950,P.103.

لم ترد ترجمة هذه الفقرة في الترجمة العربية للكتاب بسبب حذفها من الرقيب أغلب الظن, وإلا فأن مترجم الكتاب نفسه المرحوم سليم طه التكريتي لم يكن يعاني من أي حساسية تجاه الكرد وقضيتهم, بل كان معروفاً بحبه الجم لهم بحكم جذور فكره التقدمي.

[387])" Special Report by His Majesty's government ..to the Council of the league of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931",P.255.

تطرقت الى ما يخص الموضوع في ذلك الحين[388]. يتحدث الحاكم المدني العام في العراق وكالة أرنولد ولسن, الذي كان مسؤولاً عن تطبيق سياسة حكومةته في كردستان الجنوبية في ذلك الوقت, عن زيارته للسليمانية يوم الاول منكانون الاول سنة 1918, أي بعد أيام من تأسيس الحكمدارية, وعن إجتماعه بالشيخ محمود وعدد من عماء الكرد, وفي خضم حديثه سجل لنا الملاحظة الاتية:

"وقد أعطيت الشيخ محمود مقابل مضبطة الزعماء الكرد[389] مذكرة بينت فيها أن جميع العشائر الكردية القاطنة داخل الحدود الايرانية, الراغبة في قبول زعامة الشيخ محمود يسمح لها بذلك, ونحن نساعده مساعدة أدبية غير مادية لادارة هذه البلاد نيابة عن الحكومة البريطانية التي يتعهد بأطاعة أوامرها"[390].

ورد النص نفسه في كتاب لونگريگ الانف الذكر[391], وكذلك في كتابات بيل التي تقول أن ولسن "وقع وثيقة" بهذا المضمون[392], كما

---

[388] ينظر على سبيل المثال في:
Public Record Office ,F.O,371/5069/4342.

[389] في النص : مقابل هذه.

[390] A.T.Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P.129.

[391] S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950,P.103.

لم ترد, للاسف هذه الفقرة في الترجمة العربية للكتاب للسبب نفسه الذي نوهنا اليه سابقاً.

[392] " فصول من تأريخ العراق.. كتبه بالانكليزية ألس بيل ", ص190-191.

سجلته الصحافة العراقية أيضاً[393]. كما بينا مراراً, وبالاستناد الى مجموعة من الوثائق الرسمية, كانت كركوك وتوابعها ترغب في الانضمام الى نظام كردي, لكنها, مع ذلك, لم تكن مستعدة في أكثريتها يومذاك للانذواء تحت حكم الشيخ محمود بالتحديد. يقول ولسن بهذا الخصوص:

"إلا أن العشائر والاهلين القاطنين في منطقتي كفري وكركوك لم يرغبوا في الانضواء تحت راية الشيخ محمود, وإتفق الاخيرون الا يطلبوا إدخالهم تحت سلطته"[394].

أما عبدالمنعم الاغلامي, وهو ممن راقبوا الاحداث عن كثب, فيقدم تفصيلات اكثر من ولسن بصدد الموضوع نفسه, إذ يقول: "وقد أخذ الشيخ محمود يعمل الى توسيع دائرة نفوذه لتشمل أماكن أخرى, من بينها منطقتا كفري و كركوك, إلا أن عشائر هاتين المنطقتين رفضوا الخضوع الى زعماته, مرجحين عليها البقاء تحت الحكم البريطاني المباشر عدا سادة عشيرة الجباري, وقبيلة شيخ بزيني على شاطئ الزاب الصغير, وكذلك جماعة عبدالكريم بيك من رؤساء قبيلة الهموند في منطقة چمچمال"[395].

---

[393] " العالم العربي ", العدد 2302, 13أيلول 1931.

[394] A.T.Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P.129.

[395] عبدالمنعم الفلاحي, ثورتنا في شمال العراق, ص 93.

تكمن أسباب ذلك في مجموعة من العوامل. نقبل كل شئ أن عدداً من العشائر الكردية المتنفذة في كركوك و تواعها لم تكن على وفاق منذ مدة مع البرزنجيين المعروفين بالشيخان-أسرة الشي محمود تأتي الطالبانية على رأس تلك العشائر التي بلغت خلافاتها مع البرزنجيين منذ اواخر القرن التاسع عشر الى الحد الذي وجدت لها إنعكاساً بليغاً في الادب الكردي[396], بل ان قطاعاص منأبناء تلك العشيرة لم يترددوا في الانضمام الى صفوف القوات المعادية لشيخ محمود. إستمر الخلاف البرزنجي-الطالباني ردحاً طويلاً من الزمن علىالرغم من المحاولات المخلصة التي بذلت بين الحين والاخر من أجل تسويته[397], ويبدو أن زواج بابا علي, نجل الشيخ محمود, من سيدة طالبانية معروفة[398] إنصب في مجرى تلك المحاولات التي أثمرت في وقت لاحق حين حل الوعي القومي الاوسع أفقاً محل الوعي العشائري الاضيق أفقاً. لكن موقف الطالبانيين من البرزنجيين لاينفي قطعاً تمسك الاولين بقضية قومهم. فقد برز بينهم من دافع عن القضية الكمردية في وقت مبكر, منهم الشيخ محمد علي الطالباني الذي إتصل في كانون الاول سنة

---

396 الشيخ محمد الخال, ديوان الشيخ رضا الطالباني, من مطبوعات المجمع العلمي العراقي باللغة الكردية, بغداد, بلا, ص7.

397 M.A.Hawar,The Leader Shaikh Mahmood,PP.208-212.

398 هي السيدة رشادت, كريمة عميد الاسرة الطالبانية الشيخ حميد الذي مثل كركوك في المجلس التأسيسي, والبرلمان العراقي أكثر من مرة.

1911 بقنصل روسيا العام في بغداد بأسم عشائر الطالبانية والداودة والزنگنه مبدياً إستعداده للتعاون معهم ضد الاتحاديين[399]. كما ان عدداً من شعراء الكرد القوميين البارزين كانوا من الطالبانيين, منهم الشيخ رضا الطالباني والشيخ علي طالباني الذي كتب قصيدة يرثي فيها الشيخ سعيد, والد الشيخ محمود بعد أغتياله في الموصل تكون نتيجة أبياته حسب الحروف الابجدية 1326, أي سنة إغتيال الشيخ سعيد, ومنهم أيضاً الشي محمد الطالباني (خالص) الذي كتب قصيدة طويلة جداً لشيخ محمود تمثل قمة الادب الكلاسيكي الكردي, وعمقاً في التفكير والتقويم, تنطوي على نقد لاذع, مخلص لبعض تصرفاته, ولمن حوله[400].

إتخذ بابانيو كركوك من الشيخ محمود موقفاً مشابهاً تماماً لموقف الطالبانيين . ورد تقرير فريد كتبه أحمد أعوان الملك فيصل الاول ما نصه بهذا الخصوص:

"لما قابلت جميل بيك بابان (عميد الاسرة البابانية) في الصلاحية (كفري), وإستمزجت رأيه أجاب بان السلطة الكردية من حقوقه, وحقوق أجداده, ورغماً عن وعد الحكومة البريطانية بمنحها إياهم, قد

---

[399] M.S.Lazarev,Kurdistan I Kurdskaya Problema,P.201,M.S.Lazarev,Kurdskii Vopros 1891-1917.P.202.

[400] " روشنبیری نوی ".

أعطتها للشيخ محمود.. وبعد المذاكرة وافق على بذل كل جهد لمقاومة بروباغندا الشيخ محمود"[401].

لكن بابانيى كركوك كانوا مع ذلك, من أشد المتحمسن لطموحات الكرد القومية. ورد في التقرير نفسهو وعن جميل بيك بن مجيد باشا بابان نفسه أنه من "ناشري فكرة الاستقلال بين الاكراد" وله "بعض النفوذ, لكنه منحصر في عشائر كركوك و الصلاحية وبشدر"[402].

وفي الوقت نفسه لم يكن جانب كبير من القطاع المؤثر من أهالي كركوك يميلون الى الشيخ محمود بسبب تخلف بعض أساليبه في التعامل, ونتيجة موقف التجار الذين وقفوا, مثل تجار السليمانية, ضد الشيخ خوفاً من آثار حركاته المتوقعة على روابطهم التجارية الوثيقة ببغداد. لم يختلف عن ذلك الموقف المؤثر للتركمان الذي كانوا "يرنون يومذاك الى عودة الاتراك"[403].

ومن أجل وضع الصورة في إطارها الطبيعي نقول إن كرد أربيل وتوابعها إتخذواو بدورهم, موقفاً مشابهاً لموقف كرد كركوك وتوابعها من حكمدارية الشيخ محمود, وذلك بغض النظر من حماسهم الكبير

---

[401] دار الكتب والثائق, الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي, رقم الملف 2574, عنوان الملف: إدارة كردستان , الوثيقة رقم 6, ص18.

[402] المصدر نفسه, الوثيقة رقم 6, ص15.

[403] Public Record Office,F.O.,371/12255/2542,Secret,Reference No1/407,P.6.

لتأسيس نظام كردي كما لاحظنا ذلك جلياً في اكثر من مناسبة. يلخص أحد المستشرقين الموضوع هكذا:

"لقد وقف سكان كركوك وأربيل والاقضية الكردية في لواء الموصل مواقف مختلفة من مجئ الشيخ محمود الى السلطة, فالبورجوازية الكردية الفتية في أربيل و كركوك كانت تخشى من أن تتحول هاتان المدينتان بعد إنتصاره الى تابعتين السليمانية المتأخرة. لكن السند الرئيس للشيخ محمود كان الفلاحون والرحل في لواء السليمانية, وساندته بقوة أيضاً القبائل القاطنة في منطقة كفري بلواء كركوك. وعلى العموم كانت فكرة إستقلال كردستان تلقى مساندة حارة من جانب الاغلبية الساحقة من الشعب الكردي"[404].

مهما يكن من أمر فأن هذا الواقع قد تحول بسرعة الى أحد الاسباب الاساسية لتحريك الشيخ محمود ضد البريطانيين الذين كان الشيخ يحملهم وزر موقف كركوك واربيل وتوابعهما من حكمداريته, الاتهام الذي لم يخل من قدر كبير من الحقيقة في الواقع, الامر الذي يقره البريطانيون صراحة. ورد في "التقرير الاداري عن منطقة السليمانية للعام 1911" مايأتي نصه بهذا الصدد:

"كان الشيخ محمود ينظر بأنزعاج الى فصل كفري وكركوك (عن حكمداريته), وإرتداد الجاف عليه, وفشله في التأثير شخصياً بقوة على

---

[404] A.M.Menteshashvili,Iraq gode Angliskovo Mandata,P.202.
في الترجمة العربية: ص322.

كوي (كويسنجق) وروانـدوز, وبـدأ الان يتخـذ خطـوات نشـطة ضـد الحكومـة البريطانيـة.. ولهـذا أدعـا في هـذا المنعطـف الى جانبـه شخصـية سيئة السمعة من الحدود الفارسية[405], وبمساعدته, ومساعدة عـدد مـن أنصـاره و أقاربـه إسـتحوذ علـى مـايمكن وصـفه عمليـاً بالسـيطرة علـى كركوك من أجل كردستان حرة"[406].

في النص الانكليزي:

..took possession of the practically detention of Capturing Kirkuk for a free Kurdi stan.

هكذا وقع الصدام المباشر بين الشيخ محمود والبريطـانيين مـن اجـل كركوك في سياق نضاله التحرري, فأن الشيخ إستمر في "خطته" الرامية "الى توسيع دائرة نفوذه لتشمل أماكن أخرى مـن بينهـا منطقتـا كفـري وكركوك" من "دون الالتفات الى أي إعتبـار آخـر (ممـا) لم يكـن مقبـولاً من نائب الحـاكم الملكـي العـام في العـراق, فقـرر الحـد مـن سـلطة الشـيخ محمـود, وتقلـيص نفـوذه, وإيقافـه عنـد حـدود السياسـة الـتي تنتجهـا حكومة الاحتلال في هذه المنطقة من العراق"[407].

---

[405] يقصد التقرير محمود خان دزلي, من زعماء هورامان المعروفين, وأخلص أعـوان الشيخ محمود, قضى بموافقة مفاجع البريطانيين الذين لك يكفوا عن مطاردته.

[406] Public Record Office,F.O.,371/5069/4342,Adniinistration Report of Sulaimaniyah Division for the year 1919,P.3.

[407] عبدالمنعم الفلاحي, ثورتنا في شمال العراق, ص93.

حين علمت سلطات الاحتلال بنيات الشيخ محمود وجهت قواتها صوب السليمانية, فوقع اول صدام بين الطرفين في طاسلوجة يوم الخامس والعشرين من آيار سنة 1919, إنتهى بأندحار البريطانيين الذين خلفوا في ساحة المعركة أربع مدرعات و تسع عشرة شاحنة من نوع فورد, فضلا عن قتلاهم[408].

مع تفاقم الوضع, وإقتراب الخطر من كركوك حشد البريطانيون قوات كبيرة بقيادة الجنرال فريزر. وقع الصدام الجديد في مضيق بازيان على الطريق بين كركوك و السليمانية يوم السابع عشر من حزيران 1919. في معركة غير متكافئة إنتصر البريطانيون, وجرح الشيخ محمود نفسه, فوقع في أسرهم. قدم الشيخ في بغداد الى محكمة عسكرية بريطانية أصدرت حكم الاعدام بحقه على أساس أن "موت الشيخ محمود هو أهم ضمانة للاستقرار في كردستان الجنوبية" حسب تعبير الحاكم الملكي العام وكالة في العراق ارنولد ولسن[409].

غير البريطانيون حكم الاعدام الصادر بحق الشيخ محمود الى السجن المؤبد, ومن ثم نفوه الى الهند. لكن ذاك لم يجلب لهم الاستقرار المنشود, ولاسيما أن عنصراً جديداً ظهر على الساحة, تمثل في تعاون القوى الثورية الكردية مع الكماليين في تركيا, وقد تحولت كركوك تحديداً الى أحد أهم مراكز التوجه الجديد الذي أقلق البريانيين الى حد كبير. في

---

408 A.T.Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P.137.

409 Ibid,P.139.

خضم ذاك حققت القوى الكردية المعادية للوجود البريطاني نجاحاً كبيراً كان أحد أسبابه الجوهرية يمكن في تعاون قادتها مع الكماليين. وقد ادت كركوك و وابعها دوراً ملموساً في نضال الكرد في مرحلته الجديدة. ففي آيار 1922 إنتفض أبناء عشيرة زەنگەنە, كما لم يهدأ الهمونديون الذين إغتالوا ضابطين بريطانيين هما الكابتن ماكانت (R.K.Makant) والكابتن بوند (S.S.Bond). إنعكست أحداث كركوك هذه على بقية المناطق الكردية. يقول الضابط السياسي لكركوك حينئذ لونگريك إن ما حدث هناك "وطد مركز الترك في رواندوز"[410], ويقصد بالترك القوة العسكرية الصغيرة التي بعثها الكماليون الى رواندوز للتعاون مع الكرد ضد البريطانيين. أما في السليمانية فان البريطانيين إضطروا الى نقل موظفيهم المدنيين والعسكريين جواً من هناك الى كركوك يوم الخامس من أيلول 1922, ليتم بذلك إنسحاب البريطانيين الى خط أربيل-كركوك-كفري بأعتراف وثائقهم التي قدموها الى عصبة الامم عن سير الادارة في العراق[411]. تقول وثيقة رسمية عراقية عن تأثير الانسحاب من السليمانية على كركوك ما نصه:

---

[410] S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950,P.144.

[411] " Report on Iraq Administration April,1922-March,1923 " , P.35.

"وقد أخليت السليمانية, إلا ان الامن في كركوك إضطرب ثانية, فحصلت ضرورة لاحتلالها ثانية"[412].

تزامنت مع هذه الاحداث حملة تطالب بعودة الشيخ محمود من منفاه في الهند, شملت معظم المناطق الكردية, بما فيها كركوك و توابعها[413]. إستجاب البريطانيون لهذه الدعوة بامل أن يتعاون معهم الشيخ لاعادة الاستقرار الى كردستان الجنوبية, ولردع الكماليين. مارس الشيخ محمود مناورة ذكية أقنع بها البريطانيين للسماح له بالعودة, لكنه أقام سراً إتصالاً مباشراً مع الكماليين قبل شهر كامل من عودته الى كردستان في الثلاثين من أيلول سنة 1922, وذاك بأعتراف الوثائق البريطانية الخاصة[414]. جدير بالذكر أن البريطانيين لم يقفوا مباشرة على إتصالات الشيخ محمود السرية بالكماليين, بل إنهم إطلعوا عليها إعادة إحتلالهم لرواندوز. وردت في المراسلات تلك معلومات مفصلة عن إتصالات الشيخ محمود بالكماليين تجاوزت الى حد كبير المعلومات الاستخبارية التي كانت متوفرة لدى البريطانيين أنفسهم, بل يذهب كورد أوغلو في مبحثه المفصل المعنون (الكرد والامبريالية) الى التأكيد

---

412 دار الكتب والوثائق , الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي, التسلسل العام 1132-وع, رقم الملف د/7, موضوع الملف: القضايا الكردية, ص7, الوثيقة رقم1.

413 M.A.Kamal,Natsional??-osvoboditelnoeQvijenie Iraq rdistane,P.101,????.Edemonds,Kurds, Turks and Arabs ,PP.122-123.

414" Report on Iraq Administration April,1922-March,1923 ", P.35.

على وجود إتفاق سري ثنائي وقع بين الشيخ محمود والكماليين, يورد تفصيلات عدد من بنوده ضمن بحثه[415].

مهما يكن من أمر أن علاقات الشيخ محمود السرية بالكماليين سببت, مع أجراءاته الاخرى, خيبة كبيرة للبريطانيين جاء وصفها على لسان صحيفة (تايمس) اللندنية على النحو الاتي:

"كان الخطأ الوحيد الذي إرتكبه السير پيرسى كوكس[416] على مدى مدة عمله الطويلة في الشرق الاوسط هو قراره بصدد إرجاع الشيخ محمود من الهند"[417]. منح البريطانيون الشيخ محمود لقب حكمدار كردستان في تشرين الاول سنة 1922, إلا ان أعلن نفسه ملكاً لكردستان الجنوبية في الشهر التالي. مايهمنا من الموضوع هنا أنه يبدو واضحاً منالمصادر المعنية التي عالجت هذا الامر أن كركوك وتوابعها كانت ضمن التنظيم الاداري الجديد الذي خطط البريطانيون لاقامته بالتعاون مع الشيخ محمود في ظل الظروف التي إستخدمت مع بروز خطر الكماليين. جاء في العدد الثالث عشر من جريدة "بانگ كردستان" (نداء كردستان) الناطقة بأسم حكومة الشيخ محمود مايأتي نصاً:

---

[415] Kurd Oqlu,Kurdi I Imperialism, " Bulletin Srednevo Vostoka ", Moskva ,No.13-14,1932,P115.

[416] بقي السير بيرسي كوكس مندوباً سامياً بريطانياً في العراق حتى الاول من ايار 1923, ليخلفه السير هنري دوبس وكالة, ومن ثم أصالة منذ الخامس عشر من أيلول من العام نفسه.

[417] Quoted in: " Zaria Vostoka ",May 28,1931.

"عندما يوافق جناب المندوب السامي لحكومة بريطانيا المعظمة, حسبما وعد في بغداد[418], على ألحاق جميع ألوية واقضية كردستان بموجب الخارطة, حينذاك تصدر إرادة حضرة الحكمدار, دامت شوكته, بدعوة الرجال المرموقين, وإقامة التشكيلات الدائمية في كركوك وأربيل وزاخو وعقره وعمادية و دهوك و صلاحية (كفري) و خانقين وغيرها من بلاد كردستان"[419].

ورد في التقرير البريطاني الى عصبة الامم عن سير الادارة في العراق من نيسان 1922 الى أذار 1923 مايشير الى حقيقة نفسها دون لبس. وبغض النظر عن أسلوب التقرير فأن ماجاء فيه يبين بوضوح موقع كركوك و توابعها في الاحداث الجديدة, ولكن من وجهة نظر بريطانية تعبر عن خيبة مريرة من موقف الشيخ محمود الاخير من الكماليين, والذي رأوا فيه نكوصاً صريحاً منه لتعهداته لهم حين سمحوا له بالعودة من منفاه. يقول التقرير:

"في تشرين الاول (1922) إنتحل الشيخ محمود لقب حكمدار كردستان, وفي التشرين الثاني أعل نفسه ملكا. ان كردستان التي ادعى السلطة عليها لم تكن اقل من جميع المناطق الكردية داخل العراق

---

[418] التقى السير پيرسى كوكس الشيخ محمود ببغداد في طريق عودته من المنفى الى كردستان.

[419] " بانگ كردستان ", العدد الثالث عشر, 12ربيع الاول 3/1341تشرين الثاني 1922,ص2.

بصرف النظر عن حقيقة ان لا أربيل، و لا كركوك، و لا الأقضية الكردية في منطقة الموصل لم تعبر عن أي رغبة في حكمه". و يفسر التقرير ذلك بعدم ميل "مواطني اربيل و كركوك المثقفين و المتعلمين جيدا" الى ان يكونوا تابعين "لقرية نائية، مختلفة مثل السليمانية"[420]. ليس هناك مجال دحض الاتهامات والادعاءات التي ينطوي عليها هذا التعليق, ولكن يكفي أن نشير الى ان الميجر نوئيل كان موافقاً الى جانب الشيخ نحمود ممثلاً عن المندوب السماي البريطاني حين أعلن الشيخ نفسه حكمداراً, وبقي في السليمانية مدة من الزمن زار بغداد وكركوك مراراً في أثنائها, وخلفه چاپمن في مهمته, وكان الاخير أيضاً موجوداً حين أعلن الشيخ نفسه ملكاً على كردستان الجنوبية كما وردت تفصيلاته في مذكرات شاهد عيان[421].

تبدو الحقائق نفسها واضحة من خلال مواد صحافة الشيخ محمود. فحين أعلن أسماء أعضاء وزارته في العدد العاشر من صحيفة (بانگ كردستان)[422] كان نوئيل لايزال موجوداً في السليمانية بوصفه ممثلاً

---

[420] " Report on Iraq Administration April,1922-March,1923 ",PP.36-37.

[421] رفيق حلمي, يادداشت (مذكرات), الجزء الخامس, بغداد, 1957, ص98-110, الجزء السادس, بغداد, 1958, ص43-44.

[422] " بانگ كردستان ", العدد الحادي عشر, 28صفر 20/1341تشرين أول 1922, ص1-2.

للمندوب السامي البريطاني. كما نشرت الصحيفة نفسها في عددها التالي الخبر الاتي تحت عنوان "جناب الميجر نوئيل".

"قبل يومين سافر وكيل المندوب السامي جناب الميجر نوئيل مرة أخرى الى كركوك جواً, وقد وصل السليمانية الكابتن چاپمن وكيلاً عنه"[423].

أما أدموندس, الذي خلف لونگريگ في كركوك, يؤكد, بالاستناد الى صحافة ذلك العهد, أن الشيخ محمود كان ينظر الى الميجر نوئيل بوصفه ضابط إرتباط (Liasion Officer), فيما أنه كما يؤكد "لم يكن في الواقع سوى قنصل من نوع ما ليكون حلقة إتصال مع المندوب السامي"[424]. وكل ذلك يعني أن ماحدث في السليمانية تم بحضور البريطانيين, وبموافقتهم التي تراجعوا عنها بعد وقوفهم على علاقات الشيخ محمود بالكماليين في تركيا, ولعوامل أخرى تأتي على تفصيلاتها بعد قليل.

وفضلاً عن كل ما سبق نشير الى أن الحقائق الواردة في التقارير والوثائق البريطانية والعراقية الخاصة تبين أن كرد كركوك وتركمانها وقفوا هذه المرة, ويدوافع شتى الى جانب الشيخ محمود بحماس على

---

[423] " بانگ كردستان ", العدد الحادي عشر, 28صفر 1341/20تشرين أول 1922,ص6.

[424] C.J>Edmonds, Kurds,Turks and Arabs,P.301.

في الترجمة العربية: ص272.

العكس تماماً مما ذكره التقرير البريطاني الانف الذكر. فقد ورد في التقرير نفسه أعتراف صريح حول ذلك بالنسبة لاهالي كفري والمناطق المجاورة لها[425]. ولم يقتصر الامر على الكرد وحدهم, فان زعماء عشيرة بيات إستقبلوا الشيخ محمود في طريق عودته من الهند الى السليمانية, بل رافقوه الى هناك[426]. والاهم من ذلك بكثير هو أن الاجتماع المهم الذي عقده الشيخ محمود يوم الخامس عشر من كانون الثاني 1923 مع 43 عشائرياً لوضع خطة عمل لنظامه, كان توزيعهم الجغرافي علىالنحو الاتي:

1- 10 من رؤساء العشائر الكردية في إيران.
2- 13 من رؤساء عشائر السليمانية وحلبجة.
3- 4من رؤساء عشائر أربيل و كويسنجق.
4- 16 من رؤساء عشائر كركوك.

يهمنا بصورة خاصة تحليل الرقم الاخير, أي مايتعلق برؤساء عشائر كركوك الذين كانوا يحتلون المقام الاول من حيث الكم, أما من حيث النوع فأنهم كانوا يمثلون الجاف والهموند و زنگنه وداوده وجباري و دەلو, والاهم من ذلك قطعاً هو أن إثنين منهم كانا من رؤساء العشائر

425" Report on Iraq Administration April,1922-March,1923,P.36.

426 M.A.Kamal,Ntsionalno-Osvobcditelone Dvijenie Irakskom Kurdistane,P.102,C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,P.272.
في الترجمة العربية : ص301.

العربية في الحويجة, الاول رئيس فخذ البوعلي فرحان الروحان, والثاني هو سيد عبدالقادر أغا من ملحة. وبقي أن نضيف أن قائمة أسماء هؤلاء الرؤساء وردت ضمن تقرير سري خاص أعد لملك فيصل الاول من قبل مندوب له بعثه الى الشيخ محمود "وصل السليمانية في الخامس من كانون الثاني 1923 متمثلاً لاوامر جلالته" و قابل "الحكمدار في الثامن عشر من الشهر المذكور" والذي "بعد تسليم الكتاب (له) اظهر إمتنانه من صاحب الجلالة"[427], مما يؤشر إعترافاً صريحاً بحكمدارية الشيخ محمود من قبل الملك فيصل وحكومته. تعاون مع الشيخ في تلك المرحلة أيضاً أعرق تركمان كركوك, واكثرهم نفوذاً, منهم كما يؤكد هنري فوستر مؤلف كتاب "نشاة العراق الحديث", ناظم بيك نفطجي عميد أسرة النفطجي في المدينة[428], وهو شخصية سياسية و إجتماعية معروفة مثل كركوك في مجلس المبعوثان قبل الحرب العالمية الاولى, وكان على إتصال وثيق بجمعية العلم في الموصل التي عرفت بمواقفها المعادية لبريطانيا[429]. أثار موقف ناظم بيك هذا حفيظة البريطانيين,

---

[427] دار الكتب والوثائق, الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي, رقم الملف 2574, عنوان الملف: إدارة كردستان, الوثيقة رقم 6, ص11و17, الملحق: قائمة اسماء العشائر المجتمعة في السليمانية يوم 15كانون الثاني 1923.

[428] هنري فوستر, نشأة العراق الحديث, ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي, الجزء الاول, بغداد, 1989, ص255.

[429] عبدالمنعم الفلاحي, ثورتنا في شمال العراق, ص 29-30.

والملك فيصل الاول الذي راقبه بوساطة أعوانه عن كثب[430]. ومن المفيد أن نشير الى أن ناظم بيك نفسه أولى حركات بارزان فيما بعد إهتماماً خاصاً[431].

أولى الشيخ محمود بدوره التركمان إهتماماً أكبر من السابق. فأن إحدى جرائده, وهي "بانگ كردستان" كانت تنشر قسماً من موادها الاساسية باللغة التركية بأشراف رفيق حلمي- احد أبرز أعوان الشيخ محمود, و أحد أبرز مثقفي الكرد يومذاك. في عددها الاول, مثلاً, نشرت الصحيفة ثلاثاً من موادها الرئيسية باللغة التركية. وفي حالات غير قليلة كانت "بانگ كردستان" تنشر قرارات حكومة الشيخ محمود أيضاً باللغة التركية. كما أقام الشيخ إتصالاً مباشراً مع أبرز زعماء التركمان في كركوك. يصف لنا لونگريگ ذلك هكذا:

"إنه بدأ يتأمر مع الجمعية التركية النشطة التي ألفها في كركوك أسرة آل النفطجي, وعدد من أنصار تركيا العندين"[432].

---

[430] دار الكتب والوثائق, الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي, رقم الملف 2574, عنوان الملف: إدارة كردستان, الوثيقة رقم 6, ص18.

[431] Public Record Office, A??,23/187,Part 17,XMO/1583,from Special Service Officer Royal Air Force Sulaimani to Air Staff Intrlligence Air Headquarters,Hinaidi,Secret.

[432] S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950, P.272.

في الترجمة العربية: ص 301.

لكن الذي أثار البريطانيين أكثر من أي شئ آخر, ودفعهم الى بذل كل شئ من أجل إبعاد كركوك عن الحركة القومية الكردية, وعن الشيخ محمود بالذات, كان مطالبة الاخير بنفط كركوك, وبولاية الموصل باسرها, فضلاً عما أقامه من إتصال مباشر بالسوفيت, وجميعها كانت من الامور غير المسموح بها مطلقاً في نظر البريانيين. كان الشيخ محمود يردد في محافله الخاصة باستمرار عبارة "النفط نفطي فما شأن الاخرين به"[433].

وقد شاع الاتجاه نفسه بين صفوف أبرز مثقفي الكرد يومذاك, منهم الشخصية الدينية السياسية والاجتماعية المرموقة, عضو المجلس التأسيسي الملا محمد الكويي المعروف, لغزارة علمه, بالملا الكبير, فلقد كتب قصيدة في عشرينات القرن الماضي بعنوان "هەناسەی نەوتاوی" (الانفاس المنفوطة)[434] وينقل المهندس البريطاني اولتن, الذي أشرف

---

[433] هذا مارواه لي المرحومان مصطفى رسول, والد الدكتور عزالدين و محمد جميل الروزبياني.

[434] يقول مطلع القصيدة:

" هەر نەيسە كە ئينگليزو ئەفرەنج
پاش حەربەكەی زۆر بە ميحنەت و رەنج
بەم فيكرى عميق و حدس و حسه
گەر ببنە شەريكى نفع و حصه
ئەمما (خەڵكى ترى) كەپو فيچ
هيچ حەقى نيە بەحەقى خوا هيچ ".

على تشييد طريق أربيل-رواندوز-رايات ماذكره له بهذا الخصوص اسماعيل بيك رواندوزي الذي مثل أربيل أول مجلس نيابي عراقي:

"تذكره أن حقول النفط تقع في كردستان, لذا لدينا بعض الحق في أن نطالب بحقنا من الارباح التي تجنى من وارداته. لكننا لم نجن حتى الان من نفطنا سوى الرصاص والقنابل"[435].

كما كتبت مجلة "زاري كرمانجي" (لسان الكرد)ك "تقع الثروة المعدنية كافة في الارض الكردية, مع هذا فان الكرد يجدون الابواب موضدة بوجودهم" القول الذي نقله تقريراً إستخباري بريطاني في الحال[436].

لاداعي للتأكيد أن نفط كركوك كان أول, واهم مايغري البريطانيين في كل ما إصطلحوا هم على تسميته بجنوب كردستان أحياناً, وكردستان الجنوبية غالباً. يبرز واضحاً في سجلات مفاوضاتهم السرية بشأن مستقبل المنطقة قبل إنهيار الامبراطورية العثمانية. فأنهم تنازلوا عم كل ولاية الموصل لفرنسا بأستثناء كركوك و إمتداداتها بموجب "إتفاقية سايكس-بيكو" المعروفة, إذ إقتطعوا منطقة شهرزور التأريخية, أي كركوك الى حد السليمانية ومن ثم الحدود الايرانية, منولاية الموصل, وجعلوها ضمن المنطقة (ب) المقررة لهم, في حين تركوا

---

435 A.M.Hamiltion,Road through Kurdistan,The Narrative of an Engineer in Iraq, London,1937,P.302.

436 Public Record Office,Air,23/417,XM/04583, " Zari Krmanji ", No.23,January 1930.

البقية الباقية من ولاية الموصل ضمن المنطقة (أ) لتصبح مع القسم الشرقي من سوريا ضمن المنطقة المخصصة لفرنسا[437].

كان موقف الشيخ محمود من هذا الموضوع الحساس يستوجب ضربه دون رحمة من وجهة نظر بريطانية براغماتية, والپراغماتية فلسفة إستعمارية, إستغلالية لا تعير الحق أي إهتمام بنظر من يعدون أنفسهم ثوريين حقيقيين. في معرض حديثه عن كركوك والنفط ورد في تقرير إداري خاص وضعه ادموندس النص الاتي الذي له مغزاه بالنسبة للموضوع الذي نحن بصدد معالجته هنا:

"من الخطر أن نقبل أي ضعف إداري في محل يكون فيه هذا المنبع المهم لثروة العراق"[438].

نرى من الضروري أن نقبل أي ضعف مهمة أخرى بالنسبة لدراستنا هذه, وهي أن الدول الكبرى نفسها كانت تعترف في وثائقها الخاصة أن نفط كركوك يقع ضمن حدود كردستان, وأن ذلك كان يدخل ضمن اهم أسباب إهتمامها بكردستان. فحين تنازلت فرنسا عن ولاية الموصل الى بريطانيا أرادت أن تضمن لها حصة في نفط العراق ككل مقابل ذلك التنازل. ففي الثاني عشر من كانون الاول سنة 1919 قدم رئيس

---

[437] M.S.Lazarev,Krushenie Turetskovo na Arabskom Vostoke,Moskva,1960,P.130.

[438] دار الكتب والوثائق, الوحدة الوثائقية : ملفات البلاط الملكي, التسلسل العام 1132-وع, رقم الملف د/7, موضوع الملف: القضايا الكردية, ص15, الوثيقة رقم 1.

الـوزراء الفرنسـي كليمنصـو مـذكرة رسميـة سـرية الى رئـيس الـوزراء البريطاني لويد جورج حول هذا الموضوع ورد فيها مانصه:

"بما أن التنازل عـن (ولايـة) الموصل يخص فرنسا, فأنـه يجعـل مـن المفترض ضمان مساواة كاملة (للمصالح الفرنسية مع المصالح البريطانية) في إسـتغلال منـابع الـنفط في ميسـوبوتاميا (بـلاد مـابين النهـرين) وكردستان بأعتبار ذلك تعويضاً مقبـولاً (عـن ذلـك التنـازل), وهـو أمـر تصر عليه الصناعة الفرنسية والبرلمان الفرنسي على حد سواء. ان لهذه المسألة أهمية كـبيرة بسبب عـدم وجـود الـنفط في فرنسا, وحاجـة تلـك البلاد للنفط"[439].

ومـن المفيـد أن نشـير الى ان رئـيس الـوزراء الفرنسـي أكـد في المـذكرة نفسها ضرورة إستمرار فرنسا وبريطانيا في "تبادل وجهان النظـر حـول قضـايا القفقـاس وكردسـتان وبـلاد فـارس الـتي لـن يظهـر أي خـلاف بصددها على مايبدو"[440].

لايمكن فصل نفط كركوك عنولاية الموصل ومشكلتها. يقول الدكتور فاضـل حسـين في ختـام دراسـته الوثائقيـة عـن "مشـكلة الموصـل" الـتي قـدمها الى جامعـة إنـديانا الامريكيـة في العـام 1952 أن الـنفط كـان "العامل الحاسم في مشكلةالموصل", وان "النفط في التحليـل الاخـير عـين

---

[439] David Lloyd George,The truth about Peace Treaties,Vol,London,1938,P?

[440] Ibid,P??

مواقف تركيا و بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا" إزاء تلك المشكلة[441].

في ضوء هذا التقويم الصحيح يمكن منهم دوافع سياسة بريطانيا المتشددة للغاية بالنسبة لمخططات الشيخ محمود. ففي عز أيام نفوذه, بعد إعلان ملوكيته الى تزامنت مع تفاقم الصراع على نفط كركوك, وإنفجار مشكلة الموصل, نشرت صحيفة "رۆژی کوردستان" (شمس كردستان) الناطقة بأسم حكومته في عددها الاول بالتحديد مقالاً إفتتاحياً جاء فيه:

"نشرت جريدة العراق البغدادية في عددها 738 مقالاً بعنوان "منشور حزب الحر العراقي" وفي عددها 743 مقالاً آخر بعنوان "مجلس إدارة كردستان" وردت فيهما بعض المعلومات عن مطالبة حزب الحر العراقي من حكومتهم العمل من أجل محافظة كل حقوق والحدود الطبيعية للعراق, وأدخل (الحزب) كردستان إسم السليمانية ضمن ذلك لان لها روابط تجارية و إقتصادية كثيرة مع بغداد, كما ذكر مجلس رؤساء (وزراء) كردستان بأسم مجلس إدارة كردستان. انه لآمر عجيب ومؤسف, إذ لايمكن لامرئ له ضمير أن يصدق إبتعاد شخص مثقف عن الحق الى هذا الحد.. ان علوم التأريخ والجغرافية هي شواهد عدول أن الامة الكردية كانت تعيش وحدة قائمة بذاتها.. إن نعمة الحقوق

---

[441] الدكتور فاضل حسين, مشكلة الموصل. دراسة في الدبلوماسية العراقية-التركية وفي الرأي العام, الطبعة الاولى, بغداد 1955, ص301.

والحدود التي وزعت في عصبة الامم بالعدل لنا فيها نصيبنا, وسوف نضحي من أجل ضمان هذا النصيب بكل موجودنا المادي والمعنوي"[442].

تطرقت الصحيفة نفسها الى الموضوع بوضوح أكبر في عددها السادس حين ذكرت في مقال إفتتاحي بعنوان "ولاية الموصل في لوزان":

"ولما كان جميع أهالي ولاية الموصل كرداً.. فلماذا تطالب بها أقوام أخرى.. إن الترك والعرب والاشوريين يدعمون مطاليبهم بها بوجود عدد قليل من أبناء بلدتهم فيها.. إن المطلب الذي وضعناه أمام مؤتمر لوزان ليس حماية أقلية وإنما الدفاع عن حق الحياة لشعب عظيم مستقل صاحب وطن.."[443].

تبقى النقطة الثالثة الحساسة التي إستوجبت تجيم الحركة القومية الكردية, وهي ماظهر من بوادر التقرب من السوفيت, وإستحسان الفكر البلشفي. تتوفر في الوثائق والتقارير السرية البريطانية عشرات الشواهد التي تبين بوضوح مدى القلق الذي أثاره ما عده البريطانيون إنتشاراً للفكر البلشفي بين الكرد في ذلك الوقت المبكر[444]. أما الشيخ محمود

---

[442] " رۆژ كردستان ", العدد الأول, 25ربيع الاول 15/1341تشرين الثاني 1922, ص1-2.

[443] "رۆژ كردستان", العدد السادس, 9جمادي الاول 27/1341 كانون الأول 1338 (1922), ص1-2.

[444] ينظر على سبيل المثال في:

" Documents on British Foreign Pelisy,1914-1939",First series , Vol.XLLL.P.667,Public Record

نفسه فقد إتصل بالحكومة السوفيتية بصورة مباشرة, طالباً منها تأييد القضية الكردية, وتزويده هو بكميات كبيرة من الاسلحة, بما في ذلك الاسلحة الثقيلة[445]. وقف البريطانيون على إتصالات الشيخ محمود هذه بصورة مباشرة, كذلك علم بها الملك فيصل في وقت مبكر. ورد في التقرير الخاص الذي أعده منجوب فيصل الى الشيخ محمود في كانون الثاني 1923, والذي أمض عدة أيام في السليمانية, النص الاتي بهذا الصدد:

"3-جاء الى السليمانية قبل أسبوع نصرالله ملك أفشا وهو حمو سمكو إسماعيل خان.. وقد قابل الحكمدار, وأخذ التعليمات المقتضيةو وإصطحب معتمدي حكمدار السليمانية مرزا عارف وقائد الاي الخيالة الرئيس الول رشيد أفندي (جودت), وسافروا في 21 منه (كانون الثاني 1923) على طريق سقز الى جوار تبريز, وبعد تعميق البحث وجد ان التعليمات كانت الاتصال بقوى البلشفيك"[446].

Office,F.O,371/4342,F.O,371/13428,A.T.Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P.

445 " Bulletin Pressi Polnomochnovo Predstavitelia RSFSR Persii ", No.3,Mart 1928,Prilojenie No.12.

ينظر النص العربي للرسالة في صحيفة " خەبات- النضال " , بغداد, 11تشرين الأول 1960.

446 **دار الكتب والوثائق, الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي, رقم الملف: 2574, عنوان الملف: إدارة كردستان, الوثيقة رقم 6, ص11, الفقرة الثالثة.**

وهنا نشير الى أن "عدم إتفاق الامير فيصل مع البلشفية, وكرهه لها" كان "واحداً من الاسباب الرئيسة لاختياره ملكاً على العراق" كما ورد في تقرير سري أعدته وزارة الحربية البريطانية بتأريخ السابع عشر من شباط 1921[447].

ظلت إحتمالات التغلغل البلشفي بين كرد العراق يؤلف هاجساً يقلق البريطانيين, ويؤثر على رسم سياستهم بالنسبة للقضية الكردية. وردت في ديباجة الكتاب الذي أرفقه قائد القوة الجوية البريطانية في العراق بالتقرير المطول الذي أعدته قيادة قوته خصيصاً لوزير الطيران البريطاني بعنوان "الحركة الكردية", العبارة الاتية التي تنطوي على مغزى عميق:

"2-يبدو واضحاً من المعلومات الواردة في هذا التقرير أن الكرد يؤلفون أداة قوية, ومهيئة لليد التي ترغب في خلق المشكلات للدولة العراقية, ولاسيما للبلاشفة حين يرون ان الوقت قد حان"[448].

بقي "الخطر البلشفي" يمثل بعبعاً يؤرق البريطانيين, وعموم الغربيين, ويستوجب في نظرهم إتخاذ كل مايلزم من أجل إبعاده عن

---

[447] Public Record Office,F.O.,371/6349,

الدكتور فاروق صالح عمر, حول السياسة البريطانية في العراق 1914-1921 دراسة وثائقية, بغداد, 1978, ص104-105.

[448] Public Record Office,F.O.,3371/12255/2542,Secret,Reference No.1/407,from AirHeadquarters,British Forces in Iraq,Baghdad,to the Secretary,Air Ministry, Adastral House,London,W.C.2,Dated 30th March,1927.

نفط المنطقة. إزداد القلق البريطاني بهذا الخصوص أكثر بعد أن وجد الفكر البلشفي طريقه الى صفوف المثقفين الكرد بعد تحجيم حركات الشخ محمود. كتب ادموندس في الجادي عشر من شبا سنة 1927 عن هذا الموضوع يقول:

"أن المنفذ الواضح الثاني[449] الذي بوسع البلاشفة أن يسيئوا عن طريقه الى العراق هم الاكراد. لقد كان الروس لعدة سنوات جيران الاكراد المباشرين عن طريق مناطق القفقاس واذربيجان الايرانية التي كانت في سنة 1914 منطقة روسية فعلاً. أن معظم المؤلفات الجغرافية والاثنوغرافية واللغوية عن الكرد كان من إنتاج يراع الروس, كما أن تذمر الكرد في تركيا وإيران قد إستخدم للتوجه الى روسيا الاسيوية عدداً من الجمهوريات السوفيتية الصغيرة القانعة بوضعها عموماً, وإن تأليف جمهورية كردية مستقلة هو نقطة إبتدائهم الواضحة حين يكونون مستعدين للعمل من الشمال الشرقي[450], من قواعدهم في أذربيجان الايرانية"[451].

وفي الخامس عشر من شباط عام 1940 قدم ادموندس نفسه, بوصفه مستشاراً لوزارة الداخلية العراقية, مذكرة مطولة حول الموضوع

---

[449] ذكر المنفذ الاول قبل ذلك, وهو " إثارة إضطرابات العمال ".

[450] تحققت نبوءة أدموندس على أرض الواقع بعد حوالي عقدين من الزمن حينما أقام كرد إيران بمساعدة السوفيت ماعرف في التأريخ بجمهورية مهاباد.

[451] Public Record Office,F.O., 371/24560,Russia and the Kurds.

نفسه تحمل عنوان "روسيا والاكراد" كرر فيها الاحتمالات نفسها, مع إضافة معلومات جديدة إستقاها من مصادر إستخبارية مختلفة[452].

لم تكن طموحات الشيخ محمود, وإتصالاته الخارجية, بما في ذلك إتصاله بالسوفيت, بخافية على البريطانيين. فأن المفتش الاداري, ومن ثم الضابط السياسي البريطاني في كركوك أدموندس, مثلاً كان يتابع كل تحركات الشيخ محمود وإتصالاته وما تكتبه صحافته بدقة, وقد نشر مقتبسات مفصلة من الصحافة الكردية ضمن كتابه "كرد وترك عرب", وكان هو أول مسؤول بريطاني إطلع على إعداد جريدة "بانگى حەق" (نداء الحق) التي أصدرها الشيخ محمود في كهف جاسنة قرب دوكان[453] لتمثل بذلك صفحة فريدة في تأريخ الصحافة عموماً.

مارس البريطانيون من جديد ضغوطاً شديدة على الشيخ محمود ونظامه, ولاسيما بعد أن بدأ يخطط, مع خياط كماليين وصلوا السليمانية خصيصاً, من أجل طرد البريطانيين من كركوك[454], وبعد

---

[452] Ibid.

[453] C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arbs,PP.301-302,319 , وفي الترجمة العربيةك ص 272-273,287, M.A.Kamal,Natsionalno-Osvoboditelnoe Dvijenie Irakskom Kurdistane,P.121.

[454] A.Toynbee,Survey of International Affairs,1925. The Islami World since the Peace Settelment,London,1927,P.489.

أن وصلت بغداد تقارير تتوقع بأن في حال إجراء أنتخابات, أو تصويت فان "أغلبية سكان لواء كركوك الساحقة ستصوت للشيخ محمود"[455].

يبدو واضحاً من جميع الوثائق السرية, والتقارير الرسمية البريطانية أن كركوك كانت تمثل السبب الاول للعمليات العسكرية الواسعة التي إتخذتها سلطات الانتداب ضد الشيخ محمود. فقد أبلغت الحكومة البريطانية عصبة الامم الموضوع هكذا:

"إن الشيخ محمود الذي نحن أعدناه (من منفاه في الهند) إثر جلائنا من السليمانية, سرعان مابدأ يتأمر مع الاتراك ذدنا بنشاط, وقد أصبح معلومات في مطلع هذا العام (1923) إنه وضع خطة للهجوم على كركوك في شهر آذار"[456].

أبلغت الحكومة البريطانية عصبة الامم الرأي نفسه مرة ثانية في تقرير لاحق عن سير الادارة في العراق, ورد فيه مانصه:

"أن الشيخ محمود منشغل الان بأتخاذ الاستعداد للهجوم على كركوك"[457].

---

[455] C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arbabs,P.304.

في الترجمة العربية: ص275.

[456]" Report on Iraq Administration April,1922-March 1923",P.64

[457]" Report by His Britannic Majesty's Government on the Administration of Iraq for the riod April,1923-December,1924", London,1925,P.32.

ويعترف البريطانيون في وثائقهم السرية صراحة بان خطط الشيخ محمود بالنسبة لكركوك هي التي دفعتهم الى إتخاذ أجراءات حاسمة ذده[458]. ورد في برقية مطولة بعثها المندوب السامي البريطاني يوم الثالث من اذار 1923 من بغداد الى وزير المستعمرات والى السفير البريطاني في طهران الاتي نصه:

"لقد إضطررت, بالاستشارة مع قائد الطيران, الى إعطاء الامر بقصف السيمانية للحيلولة دون قيام الشيخ محمود بالهجوم على كركوك وكفري"[459].

وفيما بعد كلما ورد إسم الشيخ محمود في الوثائق البريطانية الخاصة كان لابد من الرجوع الى الحقيقة ذاتها, والتأكيد عليها في الغالب. ففي التقرير المهم عن "الشخصيات الرئيسة في العراق في سنة 1935", الذي وضعته السفارة البريطانية في بغداد خصيصاً للخارجية البريطانية بناء على طلبها, ورد عن الشيخ محمود النص الاتي:

"في سنة 1923 كان لابد من إتخاذ أجراءت مسلحة ضده للحد من محاولاته لمد نفوذه الى مناطق كركوك وأربيل"[460].

---

[458] Public Record Office,F.O.,371/18948,431/431/93,No.52.

[459] دار الكتب والوثائق, الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي, رقم الملف 2574, عنوان الملف: إدارة كردستان , ص39, الوثيقة رقم 10, برقية المعتمد السامي عدد 148/و/48.

وهكذا كان الامر فعلاً, ففي أواسط شباط 1923 عقد إجتماع خاص في بغداد بحضور كبار المسؤولين البريطانيين, مثل كركوك فيه أدموندس, لمناقشة الوضع في كردستان. تقرر في الاجتماع دعوة الشيخ محمود الى بغداد لايجاد مخرج سلمي للخلافات القائمة, وإذا رفض الحضور يوجه المندوب السامي إنذاراً يطلب منه ان يترك السليمانية ويأتي الى بغداد مع أعضاء حكومته في غضون خمسة أيام فقط[461]. توجه في الوقت نفسه عدد من كبار المسؤولين البريطانيين الى كركوك و أربيل وغيرهما من اجل حشد العشائر الكردية ضد الشيخ محمود[462]. وفي كركوك وتوابعها نشط أدموندس بهذا الاتجاه بصورة خاصة, فيقول عن ذلك بنفسه:

"بذلت مافي وسعي لتقوية الروح المعنوية في المتصرف والموظفين (في ركوك) دون ما خوف, أو مصانعة, وقمت بزيارات عديدة (للشيخ) عبدالكريم في قادر كرم, ولزعماء الطالباني والجاف وغيرهم من رؤساء العشائر لتشجيعهم على مقاومة الدعاية المعادية التي تنهال عليهم..

---

[460] "العراق في الوثائق البريطانية سنة 1936", إختيار و ترجمة وتحرير نجدة فتحي صفوة, من منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة, البصرة, ص68.

[461] C.J.Edmonds, Kurds,Turks and Arabs,PP.314-315.

في الترجمة العربية: ص283-284.

[462] " The Near East and India ", London,April,1923,P.368.

وأنبأني (الكابتن) لاين وإستخباراتي الخاصة بأن إنـلاع الثـورة قـد وقـت في أوائل أذار, وإن كركوك وكويسنجق ستكونان الهدفين الاولين"[463].

رفـض الشـيخ محمـود العـرض البريطـاني, وباشـر بأتخـاذ الاجـراءات الضـرورية للتوجـه صـوب كركـوك[464]. إذاء ذلـك باشـر البريطـانيون بتنفيـذ خطـتهم الـتي أعتمـدت علـى الطـيران العسـكري. سـجل لنـا أدموندس الذي أشرف من كركوك على تنفيذ الخطة, ملاحظات معـبرة تـبين مـدى أسـتعداد البريطـانيين لضـرب الشـيخ محمـود, فأنـه يسـمى الطائرات العشرين, وهذا بحد ذاته رقم كبير بالنسبة لامكانـات الطـيران العسكري عالمياً في ذلك الوقت, يسميها "أرمادا العظيمة" التي "حامت في سماء كركوك"[465] تشـبيهاً باسـطول أرمـادا الاسـباني الشـهير الـذي بنـاه فليـب الثـاني (1527-1598), وكـان يوصـف عـادة بالاسـطول الـذي لايقهر.

ويتحدث لنا أدموندس أيضاً عن الاجراءات التي إتخـذها البريطـانيين لنقل الجنود الى كركوك ضمن الخطة المقـررة, ويعلـق علـى ذلـك بـالقول

---

463 C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,P.314.

في الترجمة العربية: ص 283.

464 M.A.Kamal,Natsionalno-Osvoboditelnoe Dvijenie Iraq skom Kurdistane 1918-1958,Vol.I,Moskva 1969,p.198.

465 c.j.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,P.315.

في الترجمة العربية: ص284.

"وهذا كان عملية عسكرية جديدة في ذلك الوقت"[466]. بمعنى أن واحدة من أولى عمليات النقل الجوي للمشاة في التأريخ جرت فوق أرض كردستان لقمع حركتها القومية. وفي مكان آخر من كتابه, الذي هو سجل حافل لمذكراته عن تلك السنوات, يعترف أدموندس بأن الطائرة البريطانية إستخدمت لتحقيق الهدف نفسه قنابل تزن الواحدة منها 220 رطلاً لاول مرة في التأريخ[467]. فلا غرو, إذن إن منح البريطانيون الشيخ محمود لقب "مدرب القوة الجوية البريطانية"[468]. وبقي أن نقول حقاً أن "النفط مستعبد الشعوب" كما قال ذلك الكاتب العربي التقدمي يوسف إبراهيم يزبك في أواسط ثلاثينيات القرن الماضي[469].

إضطر الشيخ محمود تحت هذا الضخط الكبير الى اللجوء الى الجبال إعتباراً من اليوم الرابع من اذار سنة 1923 ليصدر من هناك, كما سبقت الاشارة الى ذلك, صحيفة يعبر عنوانها "بانگی حەق" (نداء الحق) عن الكثير الكثير. لكن البريطانيين لم يستجيبوا لنداء الحق بسبب نفط كركوك الذي دفعهم, على العكس من ذلك, الى إتخاذ أجراءات عاجلة لعزل كركوك وتوابعها عن الحركة القومية الكردية الى

---

[466] Ibid.

[467] Ibid,P.350 313 في الترجمة العربية: ص

[468] القول لمجلة The Near East and India اللندنيةز عن ذلك ينظر في "روشنبيرى نوى", العدد 136, 1995, ص16-17.

[469] يوسف إبراهيم يزبك, النفط مستبعد الشعوب, بيروت, 1934.

أقصى حد ممكن. فقبل كل شئ فصلوا أربيل عن كركوك أدارياً كما أنبأوا عصبة الامم بذلك في تقريرهم عن سير الادارة في العراق من نيسان 1922[470]. ومن ذلك الحين بوشر بتعيين متصرفين "معادين للكرد" في كركوك بأعتراف الوثائق البريطانية السرية[471], منهم عبدالمجيد اليعقوبي كما ورد صراحة في تقرير سري لضابط الخدمة الخاصة في كركوك[472], فقد خلف فتاح باشا في منصبه إعتباراً من أيار 1924.

لم يترك ذلك كله سوى أثر محدود علىالواقع الاجتماعي والسياسي لكركوك, الامر الذي نتطرف الى ابعاده بقدر من التفصيل في المبحث الخاص بالافرازات السياسية الاخرى للواقع القومي لكركوك وتوابعها. كما لم تدفع الاجراءات الاخيرة الشيخ محمود الى التخلي عن كركوك, فسرعان ما عاد الى التخطيط من أجل الزحف على كركوك بالتعاون مع بعض العشائر الكردية بعد إنسحابه من السليمانية, الخطة التي لم

470" Report on Iraq Administration April, 1922-March,1923 ", P.74.

471 Public Record Offive,Ari,23/417/5088,Reference:No.I/Bd/39,Secret,Special Service Officer,Baghdad,to:Air Staff Intelligence,Air Headquarters,Hinaidi,18th August 1930,P.2.

472 Ibid,23/418/5132,Extract from S.S.O.Kirkuk Report, No.V/175,Dated for period ending 28th April,1931,P.2.

يكتب لها النجاح مرة أخرى بسبب موقف البريطانيين المتشدد[473]. ولم يكن مجرد صدفة أن رئيس الوزراء ياسين الهاشمي حين قام بزيارة خاصة الى كردستان بدأها بالسليمانية التي وصلها يوم الاول من ايار سنة 1925, ثم توجه منها "الى كركوك, وإتخذ (فيها) بعض الاجراءات لحد من نفوذ الشيخ محمود الحفيد, وتشيت شمل أعوانه" حسب تعبير الحسين[474].

بقيت كركوك و توابعها مرتبطة بأسم الشيخ محمود بصورة, أو بأخرى حتى اليوم الاخير من حياته, وقد تجسد ذلك بعد القضاء على نظامه مع تفاقم الصراع على ولاية الموصل.

كركوك وتوابعها في إطار مشكلة الموصل

من المعروف إن كماليي تركيا كانوا يطالبون بولاية الموصل على أساس أنها لم تحتل عسكرياً من قبل القوات البريطانية قبل التوقيع على هدنة مودروس بين الحلفاء والدولة العثمانية يوم الثلاثين من تشرين سنة 1918. أدى ذلك الى إثارة مشكلة دولية دخل التأريخ بأسم "مشكلة الموصل" التي مست القضية الكردية من جميع الاوجه بصورة مباشرة, لان كردستان الجنوبية كانت تؤلف أصلاً الجزء الاكبر

---

[473] M.A.Kamal, Natsionalno-Osvoboditelnoe Drijenie Irakckom Kurdistane 1918-1958,Vol.I,P.205.

[474] عبدالرزاق الحسني, تأريخ الوزارات العراقية, الجزء الأول ص252.

من ولاية الموصل السابقة. ذكر عضو مجلس العموم البريطاني الميجر گلاين أثناء مناقشة مشكلة الموصل داخل أروقة المجلس:

"ان الذي يقلق في كل هذه القضية لايمكن في رسم الحدود, ولايرتبط بمسائل الاقليات القومية, بل أنه يمكن في المشكلة الكردية الكبرى (great Kurdish Problem) والى أن تحل القضية الكردية فأن ثمة صعوبات تبقى ماثلة بأستمرار"[475].

أكد المؤرخ البريطاني المعروف أرنولد توينبي الشئ نفسه[476], كما أكد صحيفة (تايمس) اللندنية التي ذكر مراسلها في تقريره الذي بعثه اليها من إستانبول بتأريخ التاسع عشر من كانون الاول سنة 1925 مايأتي:

"كلما يتعمق المرء أكثر من النقاش مع الاصدقاء الترك كلما تأكد لديه أكثر أن المشكلة الكردية هي التي تؤلف أساس النزاع كله. أن هذا الجانب من القضية قلما يعالج في الصحافة التركية.. مع العلم أنه يؤلف في الحقيقة النقطة الجوهرية في المسألة برمتها"[477] (في النص الانكليزي: This is really the crax of the whoie matter).

---

[475] " The Parliamentary Debates.The House.The House of Commons ", Official Report,Fifth Series,Vol.189,1924-1925,London,Col.2102.

[476] A.J.Toynbee,Angora " and the British Empire in the East,-" The Contemporary Review ", London , Vol.CXXLLL,June 1923,PP.686-687.

[477] " The Times ", No.44,December 21,1925.

وفعلاً أن جل ماأثير بالنسبة لمشكلة الموصل من البداية حتى النهاية, ومن جميع الاطراف المتصارعة, يظهر دون لبس الواقع الكردي والكردستاني لكركوك وتوابعها, مع العلم ان الكرد كانوا الطرف الوحيد الذي لم يمثلهم أحد في ذلك النزاع المصيري ولم يتبين أي من أطرافه قضيتهم, أويدافع عنها.

أثير موضوع النزاع حول ولاية الموصل لاول مرة أمام مؤتمر لوزان في سويسرا, الذي إفتتحت أعماله يوم العشرين من تشرين الثاني سنة 1922 بهدف عقد معاهدة صلح جديدةمع تركيا الكمالية لتحل محل معاهدة سيڤر . فبعد أن فشل تبادل وجهات النظر بين اللورد كيرزن وزير الخارجية ورئيس الوفد البريطاني الى المؤتمر, وعصمت أينونو وزير الخارجية و رئيس الوفد التركي اليه, تم عرض النزاع على لجنة خاصة منبثقة منالمؤتمر إعتباراً منيوم الثالث والعشرين من كانون الثاني سنة 1923.

إن الحجج التي أثارها الطرفان أمام المؤتمر جاءت لصالح الواقع الكردي لولاية الموثل بأستثناء مدينة الموصل نفسها, وبعض أطراف الولاية. فمن بين الحجج التي شدد عليها عصمت أينونو بصورة خاصة ان النواب الكرد هم الذين مثلوا الولاية في المجلس الوطني الكبير الذي أسسه الكماليون على إثر أنتصار حركتهم. أما بالنسبة لكركوك و توابعها بالتحديد فقد تقدم الطرفان بقائمتين إحصائيتين تثبت أينونو تحيزت صراحة الى جانب التركمان في تقديراتها, بينما تحيزت قائمة اللورد كيرزن الى جانب العرب بالنسبة للولاية عموماً, وهي كانت غير

موضوعية بالنسبة للكرد أيضاً, كما أن الحالتين تناقضان كلياً مع الارقام البريطانية والعثمانية السابقة الى حد كبير كما يبدو ذلك جلياً في ثنايا هذه الدراسة[478], وفيما ياتي تفصيلات القائمين بالنسبة لكركوك وتوابعها:

-قائمة عصمن اينونو:

الكرد 97000

التركمان 79000

العرب 8000[479]

2- قائمة اللورد كيرزن:

الكرد 45000

التركمان 35000

العرب 1000

اليهود 1400[480]

لكن اللورد كيرزن لم ينكر الطابع الكردي للقسم الاعظم من ولاية الموصل, إلا إنه ركز بصورة خاصة على ضرورة الولاية بالنسبة للعراق

---

[478] نعود الى تفصيلات ذلك في مبحث "كركوك وتوابعها في الاحصاءات الرسمية و غيرها".

[479]" British Foreign Office,Turkry No 1 (1923) , ansanne Conference on Near Eastern Affairs 1922-1923,Record of Proceedings and Draft Terms of Peacemd . 1814 ", P.373.

[480] Ibid,P.366.

من وجهتي نظر سوقية (ستراتيجية) و إقتصادية[481] بينما إنصب إهتمام الكماليين, وقلقهم على الجانب القومي الكردية للولاية أساساً[482], فألتقى الطرفان عند هذه النقطة الحيوية- نقطة كردية معظم الولاية, ولكن من منطلقين متناقضين تماماً, ومن أجل هدفين متباينين كلياً.

إنتهى مؤتمر لوزان بالتوقيع معاهدة بين الحلفاء وتركيا يوم الرابع والعشرين من تموز 1923 من دون التوصل الى حل لمشكلة الموصل. لكن الفقرة الثانية من المادة الثالثة من معاهدة لوزان نصت على ان يعين خط الحدود "بترتيب بين تركيا وبريطانيا العظمى خلال الاشهر التسعة فيرفع النزاع الى مجلس عصبة الامم"[483].

حاول الطرفان, بريكانيا وتركيا, إيجاد حل لنزاعهما حول ولاية الموصل في غضون الاشهر التسعة التي حددتها معاهدة لوزان, فعقدتا مؤتمراً في القسطنطينية في ايار 1924 أثار فيه الجانب التركي من جديد موضوع النواب الكرد الذين يمثلون ولاية الموصل في المجلس الوطني الكبير, بما فيها كركوك. لم يسفر مؤتمر القسطنطينية بدوره عن نتيجة, وحين إنتهت مدة التسعة أشهر المقررة يوم الخامس من حزيران 1924 دون التوصل الى إتفاق باشر الجانب البريطاني ذلك

---

[481] Ibid,P.359.

[482] " The Contemporary Review ", Vol.CXXLLL, June 1928,PP.386-387.

[483] الدكتور فاضل حسين, مشكلة الموصل , الطبعة الاولى, ص38.

النزاع على العصبة الامم كما كان مقرراً في لوزان. على أثر ذلك الفت العصبة لجنة خاصة لدراسة النزاع, وإعداد تقرير مفصل عنه حتى يتسنى للعصبة إتخاذ قرار محدد في ضوئه. روعي في تأليف اللجنة, التي أذيعت أسماء أعضائهم يوم الحادي والثلاثين من تشرين الاول سنة 1924, التوازن من وجهة نظر دولية وذل بأن أختير أحد أعضائها من بلجيكا حليفة بريطانيا في الحرب العالمية الاولى, والآخر من المجر حليفة تركيا فيها, والثالث من السويد المحايدة, وقد أختير الاخير رئيساً للجنة.

وصلت اللجنة الى العراق في السادس عشر من كانون الثاني 1925, وباشرت أعمالها في ولاية الموصل إعتباراً من السابع والعشرين منه, يوم وصولها مدينة الموصل وإنتقلت اللجنة الى أربيل و كركوك والسليمانية وبعض توابع هذه المدن, وإستمرت تحقيقاتها داخلالولاية لغاية نهاية أذار 1925, ثم رجعت الى جنيف لاعداد تقريرها.

هناك مجموعة من النقاط الجوهرية بالنسبة لموضوع دراستنا ينبغي التوقف عندها بصورة خاصة. فقبل كل شئ أن الجانب البريطاني لم يعر رغبات الكرد وطموحاتهم القومية إهتماماً يذكر فقد أخبر لجنة التحقيق مقدماً بان الاكثرية الساحقة من الكرد بين الجميع, "ساذجة لاتستطيع التعبير عن أرائها"[484] مع العلم إن أدموندس, الذي

---

[484]" League of Nations.Question of the froniter between Turkey and Iraq by the Commission instituted by the Commission instituted by the Council Resolution of September 30,1924 ", Lausanne,1925,P.16.

رافق اللجنة الى السليمانية يؤكد ان أعضاءها إنذهلوا حين سمعوا أجوبة من إستجوبوا هناك على الاسئلة التي وجهت اليهم "إقتصادية كانت أم سياسية", كما لاحظوا الشئ نفسه بالنسبة لكرد كفري[485].

ومن أجل توضيح الموضوع أكثر تحيل القارئ الى المحاورة العميقة التي جرت بين الملا محمد الكويي (الملا الكبير) وبين أعضاء اللجنة غي أربيل المنشورة في "مجلة المجمع العلمي العراقي"[486] والتي دفعت رئيس اللجنة الى القول "إن هذا الانسان يليق بان يكون عضواً في محكمة العدل بلاهاي وإن لم يكن حائزاً على أي شهادة رسمية حامعية".

من المنطلق نفسه بذل البريطانيون كل ما في وسعهم من أجل أن يحولوا دون إتصال أعضاء اللجنة بالممثلين الحقيقيين للكرد. وفي المقدمة منهم الشيخ محمود الذي حرر, مع ذلك مضبطة نسخاً منها الى الموصل وأربيل وكركوك بامل إيصالها الى اللجنة[487] وحين جاء أعضاء اللجنة الى السليمانية تحت حراسة مشددة متألف من "جنود بريطانيين و

---

[485] C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,PP.420,422.

في الترجمة العربية: ص 374,376.

[486] "مجلة المجمع العراقي. الهيئة الكردية", المجلد الثاني عشر, 1985 ص 420-422.

[487] Public Record Office, Air,23/190,Part II,XM/4583,ammary of Intelligence Service Officer Sulaimani for the peod ending 21st February 1925,Secret.

شرطة عراقية مع خمس طائرات محلقة فوقهم"[488] حاول الشيخ عبثاً إشعارها بوجوده عن طريق أشعال النيران فوق قمم جبل گويـژه المطلة على المدينـة, ويفـتح الـنيران علـى ضـواحي المدينـة, ممـا عرقـل وصـول اللجنة اليها كما تؤكد ذلك التقارير الاستخبارية البريطانية[489].

علىالـرغم مـن ذلـك ان جميـع مـن إسـتجوبوا مـن كـرد الولايـة وبضمنهم كرد كركوك وتوابعها, أكدوا في ردودهم ضرورة ضمان حقوق شـعبهم القوميـة. وبالنسـبة لكركـوك تحديـداً توصـلت اللجنـة الى إستنتاجات لها مغزاها الكبير بالنسبة لما نحن بصدد معالجته هنا, إقتنـع عضوها البلجيكي پاولس, الذي وقعت على عاتق مهمـة تقصـي الحقـائق وتوابعها, وأمضى فيهما أسبوعين كاملين, بانه "إذا كان الجزء السائد من سكان المدينـة تركاً فان الاغلبية الساحقة من سكان اللواء هـم كـرد"[490].

وقد أكد تقرير اللجنة, وحجج الطرفين التركي والبريطاني المقدمـة لهـا, الحقيقة نفسها, والتي لاتختلف في الواقع عمت قـدماها في مـؤتمر لـوزان, وقد سبق أن أشـرنا الى تفصـيلاتها المحـددة في مـدخل هـذا المبحـث. لكـن تقرير اللجنة أضاف الى ذلك الحقائق الاتيـة الـتي يجب أن تؤخـذ بنظـر

---

[488] عن ذلك ينظر في: الدكتور فاضل حسين, مشكلة الموصل, الطبعة الاولى, س 374,376.

[489] Public Record Office,Air,23/190,Part II,XLM/4583,Aviation,Baghdad,23/2,Y/3335,Secret.

[490] C.J.Edmonds,Kurds,turks and Arabs,P.416.

في الترجمة العربية: ص371.

الاعتبار بصورة جدية لانها إعتمدت في إعداد تقريرها على دراسة ميدانية دقيقة ثم السفر بالسيارة, وبالطيارة, بل وسراً على الاقدام وعلى خرائط العرب القديمة, والخرائط الاوروبية, وعلى مؤلفات الاقدمين, والسالنامات العثمانية, وكتب الرحال وكتب الجغرافية لمدارس مصر الثانوية وغيرها[491] :

-إن الكرد يؤلفون العنصر الغالب في جميع الاراضي المنتاز عليها, ويتركز العرب على ضفاف دجلة, وفي مدينةالموصل[492] .

-إن الجماعات الوحيدة المتماسكة التي تسكن مناطق واسعة من ولاية الموصل هم الكرد والعرب, والخط الذي يفصل بين الجنسين هو نهر دجلة حتى إلتقائه بالزاب الصغير, ثم جنوب طريق كركوك-كفري[493] .

-إذا عدت "الحجة العنصرية عاملاً حاسماً" لحل المشكلة حينئذ "يجب إقامة دولة كردية مستقلة", الرأي الذي أبدت معظم المناطق الكردية تمسكها به[494] .

---

[491] " The Near East and India ", Vol,XXVIII,No.745,August 20,1925,PP.217-218.

[492] " League of Nations ,Question of the frontier between Turkey and Iraq .. ",PP.54-55.

[493] Ibid,PP.86-87.

[494] Ibid,PP.57,77,89.

من الجدير بالذكر ان الدكتور فاضل حسين ثبت معظم هذه الحقائق نصاً أو مضموناً في أطروحته باللغة الانكليزية, وفي الطبعة العربية الاولى من كتابه المطبوع

-بينت اللجنة ان الكرد حيثما إلتقت بهم أكدوا ضرورة ضمان حقوقهم القومية في حال ضم الولاية الى العراق, وإلا ان الكرد لايرغبون في العيش في تركيا "كما ثبت ذلك بثوراتهم". وفي ضوء المقارنة بين الحالتين أصرت اللجنة على ضرورة تقديم ضمانات كافية بخصوص حماية حقوق الكرد القومية, وتمديد مدة الانتداب البريطاني علىالعراق في حال ضم الولاية إليه, وبعكس ذلك إرتأت ضمها الى تركيا لانها "تتمتع بأحوال داخلية, ووضع سياسي أكثر إستقراراً من العراق بكثير"[495].

هنالك جوانب أخرى من مشكلة الموصل, وإفرازاتها تستحق التوقف عندها في إطار علاقتها بكركوك وتوابعها. فقبل كل شئ إن المشكلة أثارها نقاشاً مطولاً داخل أروقة المجلس التأسيسي العراقي بوصفه أول سلطة تشريعية في البلاد, والذي كان ممثلوا كركوك فيه من الكرد قاطبة باستثناء أسحق ؟؟؟ الذي كان يمثل جميع يهود ولاية الموصل فيه. في الجلسة العشرين للمجلس, المنعقدة يوم الثلاثاء الواقف للثالث من حزيران عام 1924, عبر ممثل بغداد الشيخ أحمد الدواد, الذي أبدى نشاطاً كبيراً للدفاع عن حق العراق في ولاية الموصل, عبر عن رغبته في:

في بغداد في العهد الملكي, فيما حذف الرقيب مقاطع مهمة من الكتاب في طبعاته اللاحقة.

[495] Ibid,PP.88-89.

"أن يشاركنا بقرارنا نواب أربيل وكركوك, ولا يتخلوا عنا في هذا اليوم العصيب" في "الدفاع السياسي عن الموصل"[496].

تجاوزت مداخلات أعضاء المجلس التأسيسي هذا الاقرار الضمني من قومي عربي بكردية كركوك وتوابعها الى حد كبير, ففي الجلسة نفسها ذكر ممثل الموصل امجد العمري إنه حين يتحدث عن الموصل لايقصد بها فقط مدينة الموصل, بل أيضاً "كركوك واربيل والسليمانية وسائر الاقضية الكردية"[497]. وفي الجلسة الثالثة والعشرين المنعقدة بتأريخ التاسع من حزيران 1924 دعا وزير الداخلية, ممثل الموصل في المجلس أيضاً, علي جومت الايوبي, وهو من كبار ساسة العهد الملكي[498], دعا الى "تقوية المركز العراقي في مفاوضات الحدود, وإن وجود مندوبي (مدينة) الموصل وكردستان مما يتطلب تقوية ذلك المركز"[499], وهذا

---

[496] "الحكومة العراقية . وزارة الداخلية. مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي لسنة 1924م-1343ه", بغداد, بلا, ص 352.

[497] المصدر نفسه , ص 344.

[498] علي جودت الايوبي (1886-1969) من مواليد مدينة الموصل, خريج المدرسة (الكلية) العسكرية باستانبول سنة 1906, عروبي النزعة, إشترك في الثورة العربية بقيادة الشريف حسين, إشترك في حكومة الملك فيصل في سوريا, مثل الموصل في البرلمان العراقي مراراً, منذ العام 1930 إشترك في تأليف عدد من أهم الوزارات, رئيس للديوان الملكي 1933, رئيس وزراء أكثر من مرة, سفير للعراق في فرنسا و الولايات المتحدة الامريكية وغيرهما.

[499] "مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي..."، ص 393 .

يعني بوضوح إن الوزير لم يفصل سوى الموصل عن كردستان. والاهم من كل ذلك هو ان مندوبي كركوك وأربيل وحدهم, من بين جميع مندوبي المناطق الكردية قدموا مذكرة خاصة الى المجلس أثناء مناقشته لمشكلة الوصل طالبوه فيها بضمان حقوق الكرد[500].

واثناء البت في مشكلة الموصل أثير موضوع التعليم باللغة الكردية أمام المجلس التأسيسي بروح إتسمت بقدر واضح من الديمقراطية[501], لم يفصل المجلس أثناءه كركوك وتوابعها عن كردستان, بل أكد حقائق مهمة إقراراً تأريخياً صريحة من لدن أول سلطة تشريعية عراقية. ففي جلسة المجلس السادس والعشرين المنعقدة يوم الاثنين الموافق للسادس عشر من حزيران 1924 تحدث أحد أبرز مؤسسي الدولة العراقية الحديثة, رئيس المجلس التأسيسي وممثل البصرة فيه عبدالمحسن السعدون عن هذا الموضوع المهم, وقال بالحرف الواحد:

"لايخفض على رفقائي أعضاء المجلس إن السبب الاكبر الذي أدى الى سقوط الحكومة العثمانية هو غمط المنافع الامم وحقوق الطوائف التي كانت تستظل بالرية العثمانية, فنحن إذا إتبعنا الطريقة التركية التي كانت تغمط حقوق الاقوام فنكون قد أخطأنا كما أخطأوا, فلذا أرى من اللازم والضروري أن نكون أحراراً ونعطي الحرية الى جميع العناصر-

---

[500] المصدر نفسه, ص 342-344.

[501] يستثنى من ذلك موقف عدد قليل من أعضاء المجلس من أمثال جيب خيزران ممثل ديالى, و عمر الحاج علوان ممثل كربلاء, و داود الجلبي ممثل الموصل.

تصفيق- ولانكون حريصين أو بخلاء في إعطاء هذا الحق الى أهله, ولا يخفى إن في العراق عنصراً عظيماً, وهو العنصر الكردي, فأذا لم نعط العنصر الكردي حقه, وندع مدارسه تدرس باللغة الكردية فقد تكون النتيجة غير حسنة.. فأتمنى من المجلس أن لايبخل في إعطاء هذا الحق حتى تكون القلوب متحدة.."[502].

وفي تعقيبه على أقوال عبدالمحسن السعدون, التي إستقبلت بالتصفيق من أعضاء المجلس, أوضح نائب الموصل أمجد العمري حقائق مهمة في ضوء تجاربه العملية, وإحتكاكه المباشر بالمنطق واهلها, إذ قال:

" إن الطوائف المختلفة, سواء كانت من العنصر الكردي او من الطوائف غير المسلمة علينا أن نظاهرها, ؟؟ العنصر العربي إليها لتكون دولة العراق مرتبطة العناصر عم حب حميم لاكما كانت عليه الدولة التركية, وإذا أردنا أن نكسب مؤازرة إخواننا سكنه أربيل وكركوك و السليمانية فعلينا أن نساعدهم في هذه المسألة لان الطالب إذا أردنا أن ندرسه بلغة غير لغته الاصلية نجهله يتعب مرتين, مرة للغة وأخرى للدرس. وحينما كنت مدرساً في زمن الحكومة التركية بدار المعلمين كنت أدرس الحكمة الطبيعية (الفيزيك) وكنت أضطر الى أن أقرء باللغة الكردية بواسطة طالب إنتخبه من بين الذين يجيدون اللغتين التركية (لغة التدريس) والكردية لان العلم الذي كنت أدرسه علم دقيق, وقد إطلعت بنتيجة تجارب عديدة بان أسهل طريقة لتعليم المرء العلم

---

[502] "مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي ..", ص 517-518.

تدريسه بلغته, فيجب أن لا نسير على منهج الحكومة العثمانية, ويجب علينا أن نجلب قلوب الاكراد". وأضاف "كما إنني أعتقد أنهم سوف يتعلمون اللغة العربية لانهم يحبونها, ويعرفون مزاياها, وكذلك لايمكن أن ندرس في كركوك الهندسة باللغة العربية لان هذه البلاد العراقية لابد لها من أن تتمسك بالمحبة والالفة لا بالقوة والضغط والحجر على اللغات"[503].

أما نائب بغداد المتنور يوسف غنيمة فقد عد الاعتراف بالكردية لغة رسمية بصورة قانونية شرطاً من شروط ضمان "الحرية العامة" خصوصاً "ونحن نريد أن نؤسس حكومة ديمقراطية"[504].

رداً على ماقيل في تلك الجلسة من جلسات المجلس التأسيسي العراقي, وتعبيراً عن مشاعر الكرد وخواطرهم, القى ممثل أربيل في المجلس الملا محمد كويي كلمة قصيرة إستقبلت بتصفيق الحضور, ننقل أدناه نصها لاهميتها:

"لقد علمنا قيمة الموصل بملحقاتها, وقد وضعت في كفة والمعاهدة[505] في كفة أخرى, ومعلوم لديكم ان العنصر الكردي لايعد من

---

[503] المصدر نفسه, ص 518-519.

[504] المصدر نفسه, ص 517.

[505] يقصد أول معاهدة عقدت بين العراق وبريطانيا في العام 1922, والتي إرتبط موضوع التصديق عليها وإبرامها بمشكلة الموصل, وبأفرازات القضية الكردية بصورة مباشرة.

الاقليـات, وقـد شـاهدتم أن ؟؟ الاكـراد إشـتكوا عنـد الـرئيس, وعنـد حضراتكم بسبب عدم فهمهم اللغة العربية جيداً, وكثيراً من المطاليب التي دارت في خلد الكردي بقيت غير مفهومة لانه لم يستطيع التصريح بها, فتلتمس من العرب إخواننا ان يحترمونا كما نحترمهم- تصفيق- وهذه الفكرة هي أن بقا القومية ببقاء لسانها. يعلم الكردي أكثر من كل الشعوب بان اللغة العربية من الاهمية بمكان, عظيم لانها تتعلق بأساس الديانة, وهي لغة شريفة, ولايمكن أن تعدد مزاياها, ولكن للغة الكردية قيمة أيضاً, وإنما (سبب) عدم إشتهارتها هو عدم تقدم الكردي, وكما قال الحاج قادر[506] ان البلاغة والفصاحة في الكردية تشب مافي العربية, ولكن عدم تقدم الاكراد هو الذي جعلها بغير أساس, فنرجو منكم أن تساعدونا في هذ المادة الروحية, إذ لايمكن أن يضمحل قوم إلا بأضمحلال لسانه, وإن رابطتنا القديمة ستبقى الى يوم يبعثون"[507].

ومن المفيد أن نشير الى أن السياسي العراقي المعروف حسين جميل نقل لما دار في الجلسة السادسة والعشرين للمجلس التأسيسي بوصفه "شهادة سياسية" عن "الحقوق القومية للاكراد وحقهم في التدريس

---

[506] من أبرز شعراء الكرد المجددين, ولد بكويسنجق وتوفي بأستانبول سنة 1897, عرف بروحه القومية الجياشة, وبعنايته الفائقة بلغة قومه, يشبهه الباحثون بالشاعر التركي المعروف نامق كمال.

[507] "مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي ..", ص 519.

بالكردية في مدارسهم "[508]. في السياق نفسه تبقى نقطة مهمة اخرى جديرة بالتمحن والتقويم في إطاره التأريخي الصحيح, وهي أن الكرد أدو دوراً حاسماً في تقرير مصير ولاية الموصل لصالح العراق. ينطبق هذا القول على كرد كركوك و توابعها[509], الامر الذي يطوي على مغزى عميق, خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار إن أقوى مقاومة لضم الولاية الى العراق جرت في كركوك تحديداً, بل إن اللجنة نفسها فوجئت بان عداً كبيراً من عرب توابع كركوك صوتوا الى جانب الانضمام الى تركيا[510], كما إن أسراً عربية عريقة في مدينة الموصل وقفت الى جانب تركيا صراحة في عز أيام الصراع المصيري الدائر على الساحة بصدد المشكلة.

وفي سياق موقف الكرد نرى من الضروري أن نشير أيضاً الى ان عدداً من مثقفي كردستان أسسوا "الجمعية الكردية" التي تمتعت بتأييد الاوساط المساءة من سياسة الكماليين الشوفينية تجاه الكرد عموماً. رفع المركز العام للجمعية مذكرة مطولة برقم 719 وتأريخ الاول من تشرين الاول 1924 "الى مجلس عصبة الامم" وردت فيها معلومات تدحضن إدعاءات الجانب التركي وحججه بصدد العلاقات القومية

---

[508] حسن جميل, العراق. شهادة سياسية 1908-1930, دار اللام لندن, 1987, ص 142-143.

[509] عن ذلك يروي لنا أدموندس, وهو شاهد عيان مهم, أمثلة معبرة . ينظر: C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,PP.282, 109,416-417,420.

[510] الدكتور فاضل حسين, مشكلة الموصل, الطبعة الاولى, ص 120.

واللغوية بين الكرد والترك, الامر الذي راهنت عليه كثيراً من أجل إقناع المحافل الدولية وعصبة الامم للموافقة على ضم ولاية الموصل اليها, ما يبدو واضحاً في ثنايا تقرير اللجنة و وثائق العصبة ومؤتمر لوزان. ورد في المذكرة, التي أولتها الاوساط السياسية والصحافة العراقية إهتماماً كبيراً مايأتي:

"في الزمن الذي يدعى مجلس عصبة الامم الى البت في عصبة ولاية الموصل نهائياً ترى الجمعية الكردية من واجبها ان توصل لكم صوت تلك البلاد النائية, وإن كان هذا الصوت ضعيفاً لايسمع في العالم المتمدون. إن جمعيتنا قامت في وجه الاتراك المطالبين بحاكميتهم على بلاد تحررت أخيراً من مظالمهم, ولم تزل قائمة بوجههم, فهي لكونها تأسست للدفاع عم منافع القوم الكردي تعارض شديداً مطالب حكومة أنقرة في إمتلاكها الموصل' لان أكثرية سكان هذا الولاية أكراد.. إن اقوى مبدأ تمسك حكومة أنقرة لتبرير مطالبتها في ولاية الموصل هو إشتراك الترك والكرد في الدين والحرث والعرق, والحقيقة ان هذه (الادعاءات) لم تجد قبولاً, وتصديقاً لدى الكرد لان الكرد يعلمون إنه ليس لهم من صلة بالترك من حيث المنشأ واللغة, ولانهم مستقلين عن العرق التركي و لغته.. وإعادة الادارة التركيةعلى الموصل تكون جريمة مشهودة على حقوق الامم بوجه عام, ومضرة بحقوق الاكراد بوجه خاص, أولئك الاكراد الذين لهم حق الحياة المختارة, فارجاع الموصل الى الاتراك يفضي حتماً الى إختلافات مستمرة تجعلها عرضة لاسوأ العواقب. نحن وطيدو الامل بأن عصبة الامم الممثلة بمجلسها لاتذهب مذهب الشطط, وتتباعد

عن مبادئ الحق والعدل التي هي قوتها الحقيقية, بل ترفض بصورة قطعية مطالب الاتراك.. وهذا التدبير هو الذي يضع حداً نهائياً الى مطامع الاتراك, فيخلص الموصل ذات الصبغة الكردية الظاهرة من الادارة التركية المشؤومة, فالعصبة الكردية تتشرف بتقديم هذه المذكرة الى أنظار الهيئة العادلة, والقاضية بالحق بين الامم لتبين لها حالة الاكراد المحزنة, والمنبعثة من رضوخهم الى الى الادارة التركية, ونأمل ان تتمكن عصبة الامم من إتخاذ التدابير الضامنة لحياة حرة, وإنكشاف سريع لقوم مظلوم كالشعب الكردي, وبهذه الصورة ربما يملأ الفراغ الذي أحدثته معاهدة لوزان عن قصد بتجاهلها المسألة الكردية. فبأسم العدالة, وباسم حقوق الشعوب المقدسة, وبأسم المدينة تطلب الجمعية الكردية مساعدة محكمة العدل الكبرى عبى تحسين حالة شعب منسي, ومهجوس بحكم القوة حتى إذا إكتسب حريته الشرق الادنى..".

أحدثت هذه المذكرة صدى كبيراً في الوسط السياسي العراقي ولاسيما بين الجماعات القومية العربية التي رأت فيها دليلاً دافعاً لدحض جميع إدعاءات الجانب التركي. فقد نشرت صحيفة "الاستقلال" التي كان يديرها عبدالغفور البدري, ويرأس تحريرها قاسم العلوي, نصها في مكان بارز[511]. ونشرت صحيفة "العالم العربي" الواسعة الانتشار نصها أيضا[512], كما إعتمد الدكتور فاضل حسين في دراسته الاكاديمية عن

---

[511] "الاستقلال" (جريدة), بغداد, العدد 556, 8 شباط 1925.

[512] "العالم العربي", 14اذار 1925.

مشكلة الموصل على المضمون العام للمذكرة لتحديد موقف الكرد في العراق من الموضوع[513]. أما "حزب الامة" فقد إختار المذكرة ملحقاً لتقريره "عن قضية الموصل" الذي رفعته "الهيئة المركزية للحزب الى لجنة الحدود التي إنتدبتها عصبة الامم لحل مشكلة الحدود بين دولتي العراق وتركيا", ذلك الحزب الذي أسسه عدد من القوميين العرب للدفاع عن "حق العراق في ولاية الموصل" من أمثال ناجي السويدي و المحامي محمد علي محمود و المحامي علي محمود الشيخ علي و المحامي إبراهيم ناجي و غيرهم[514]. وقد أكد الحزب أهمية مذكرة "الجمعية الكردية" بصورة خاصة[515], والتي تضمنت إحصاء عن ولاية الموصل يبين بوضوح الطابع الكردي لكركوك وتوابعها, الموضوع الذي نعود الى تفصيلاته في المبحث الخاص بكركوك وتوابعها في الاحصاءات الرسمية وغيرها.

وبالمناسبة نرى من الضروري أن نشير الى أن المحامي يوسف الحاج الياس, وهو من مؤسسي "حزب الامة" كما نوهنا, والذي تحول فيما بعد الى أحد أقطاب "الحزب الوطني الديمقراطي" النشطين, يؤكد إن القوميين العرب لم يكونوا في الواقع في مستوى فهم أبعاد القضية

---

513 الدكتور فاضل حسين, مشكلة الموصل, الطبعة الاولى, ص 229-230.

514 "تقرير حزب الامة عن قضية الموصل, مطبعة دار السلام, بغداد, 1343هـ – 1925م, الملحق رقم 1, ص أ-هـ.

515 المصدر نفسه, ص 23.

الكردية كما ينبغي حتى في تلك المرحلة الحرجة من تأريخ العراق, إذ لم يتجاوز موقفهم حدود رفع شعارات عاطفية مرحلية, فيما تبنى العديد من مؤسسي "حزب الامة" فيما بعد مواقف شوفينية متعصبة تجاه الكرد و حقوقهم المشروعة[516].

وفي خضم الصراع على مصير ولاية الموصل إتخذ الكرد مواقف أخرى غير قليلة إنصب كلها في صالح العراق, فان كرد كركوك والسليمانية, و "جميع العشائر الكردية القاطنة في ولاية الموصل", أهالي "300 قرية في الجبال الشاهقة التابعة لرواندوز التي كانت من القديم مركزاً لامارة كردية إستولى عليها الاتراك قبل سبعين سنة", و "معشر اكراد عقرة", و "مشائخ دهوك والعمادية", و "علمدار زاده عبدالرحمن عن الكركوكليين", و "فرع جمعية الدفاع في زاخو", وفرعه الاخر في دهوك, وأعيان أربيل وغيرهم رفعوا عشرات البرقيات والمضابط الى أعضاء لجنة التحقيق, أو الى عصبة الامم مباشرة يؤكدون فيها رغبتهم في أن يعيشوا ضمن العراق مادام "قانونه الاساسي يضمن حقوقهم القومية"[517].

---

[516] مقابلة مع المحامي يوسف الحاج الياس بتأريخ 15ايار 1995.

[517] "العالم العربي", 25و26 تشرين الاول و تشرين الثاني 1924 وغيرها, "الاستقلال", 26 تشرين الاول 1924 و 19 و 27 شباط و 3 و 9 و 24 اذار وغيرها.

ومن الجدير بالذكر أن صحف بغداد نشرت صور بعض تلك البرقيات والمضابط أكثر من مرة من اجل النظر اليها بوصفها أدلة معبرة في صالح العراق[518].

وفي السياق نفسه نشر القاضي والبرلماني والمثقف والوجه الاجتماعي الكردي البارز معروف جياوك, وكان من أشد المتحمسين للاسلام, وللاخوة العربية الكردية, سلسلة مقالات حول الموضوع نفسه على صفحات "المفيد" التي أصدرها ببغداد إبراهيم حلمي العمر, و "إندفعت في مسايرة الحركة الوطنية أندفاعاً مدهشاً[519]. دحض جياوك في سلسلة مقالاته التي إختار لها عنوان" الاكراد وحدود العراق "حجج الكماليين بقوة, وجلب" أنظار أعضاء لجنة التحقيق الى قضايا إجتماعية و إقتصادية و سياسية ةتأريخية مهمة[520], مما دفع صاحب "مطبعة الاستقلال" البغدادية الى الاسراع في جمع تلك المقالات في كتاب يحمل عنوان "القضية الكردية", ونشره على نفقة مطبعته[521].

---

[518] **تنظر على سبيل المثال البرقية المطولة من " رواندوز مركز الامانة الكردية " في عددي 573 و 581 من جريدة " الاستقلال " لصاحبها عبدالغفور البدري, الصادرتين في 27 شباط و 19 اذار 1925.**

[519] **عبدالرزاق الحسني, تأريخ الصحافة العراقية, ص 86.**

[520] **جياوك الكردي, القضية الكردية, بغداد, 1925, ص 26-66.**

[521] **ينظر غلاف المصدر نفسه.**

وجد موقف الكرد هذا صدى ملموساً له خارج العراق أيضاً, وبأتجاه من شأنه أن يساعد على إضعاف موقف تركيا, فعلى حد معلوماتنا أولته الصحافة الاجليزية, وكذا العربية غير العراقية قدراً واضحاً من الاهتمام. إن ماورد في صحيفة المقطم المصرية في مقالها المعنون "الاكراد والعراق" يوضح المقصود هنا, إذ قالت فيه:

"لم يقع تبدل مسألة الموصل سوى ما وافتنا به رويتر أخيراً من أن زعماء الكرد ووجهاءهم في هذه الولاية أرسلوا الى جمعية الامم بأسم جميع العشائر الكردية إحتجاجاً شديداً على دعوى الترك قائلين إنه لاحق لهم بولاية الموصل لا من الوجهة الاقتصادية ولامن الوجهة الجنسية .. وكيفما كان الحال فان في هذا الاحتجاج المرسل من جميع القبائل الكردية ما يضعف الحجة التركية القائلة علة تمسك الكرد بالترك, ونفورهم من الحكم العراقي, ويؤثر تأثيراً كبيراً في سير هذه القضية, لان الكرد يؤلفون القسم الاكبر من سكان هذه الولاية, فهم معظم أبناء الشمال, كما أن العرب يؤلفون معظم سكان الجنوب والغرب, ومالترك إلا أقلية صغيرة ضئيلة لايحسب حسابها, ولايقام لها وزن في تقرير المصير, فالأمم تحكم برأي الاكثرية لا الاقلية على التفاهم والاتفاق بين عرب العراق وكرده الذين عاشوا السنين الطوال وهم على خير مايكون من الوفاق والوئام"[522].

---

[522] مقتبس في: "العالم العربي", العدد 194, 8تشرين الثاني 1924, ص2.

أما أخطر موقف كردي ادى دوراً حاسماً في تقرير و مصير ولاية الموصل فيمكن في الانتفاضة الواسعة التي إنفجرت في كردستان تركيا بقيادة الشيخ سعيد بيران والمثقفين البدرخانيين والشمزينيين والدكتور فؤاد في شباط 1925[523], إن هذه الانتفاضة كانت تعني, بكل بساطة, إن تركيا الكمالية مرفوضة في أعين الكرد بدوافع قومية ودينية, مما ترك تأثيراً واضحاً على الرأي العام العالمي, ولاسيما إن الصحافة الغربية أولت أسبابها و وقائعها ونتائجها إهتماماً كبيراً[524] وكان أمراً طبيعياً أن ينعكس ذلك بقوة على أراء لجنة التحقيق وداخل أروقة عصبة الامم, خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار حقيقة إن اللجنة باشرت تواً باعداد تقريرها لمجلس العصبة وللاستدلال أكثر على ما نقول نورد أقوال ليوبولد إيمري, وزير المستعمرات ومندوب بريطانيا لدى مجلس العصبة, بهذا الخصوص, فقد قال أمام المجلس, وفي ذروة النقاش الدائر حول مصير الولاية مانصه:

"عن البيان التركي أكد بصورة خاصة, من أوله الى آخره, على الفرضية القائلة إنه مادام هناك عدد كبير من الاكراد في تركيا, فيجب

---

[523] للتفصيل عن الانتفاضة ينظر: كمال مظهر , إنتفاضة عام 1925 الكردية في تركيا. دراسة تحليلية, الطبعة الثانيةو كاوا للنشر والتوزيع, بيروت, 2001.

[524] تنظر على سبيل المثال:

" The Times ", February 28,March5,April1,7,9,13,16,28,May 29, August 25,November 26,1925, " Survey of International Affairs 1925 ", Vol.I,PP.508-510," The Near East and India ", August 13,27,1925.

إعتبار أكراد العراق راغبين بالعودة الى تركيا, ورجى المجلس أن يقدر ماإذا كانت الثورة الكردية في تركيا تشجع الاكراد خارج تركيا على الرغبة في الخضوع للحكم التركي, وعلى إبداء عواطفهم مع الحكومة التركية ضد الشعب من جنسهم الخاص"[525].

من هنا فأن الدكتور فاضل حسين, المتخصص الاول في تأريخ مشكلة الموصل, يبدو على حق تماماً حين يحدد تأثير الانتفاضة في كردستان تركيا على تقرير مصير ولاية الموصل هكذا:

"وقد إعتبرت (الثورة) الكردية حادثة مشؤومة لتركيا في الوقت الذي كان يقرر فيه مصير ولاية الموصل ذات الاكثرية الكردية"[526].

إهتمت الصحافة العراقية باحداث الانتفاضة في كردستان تركيا, فنشرت تفصيلات أخبارها أولاً باول, وفي صدر صفحاً, الاولى, أو في اماكن بارزة من صفحاتها الاخرى[527], فقد إتخذت حجة إضافية لتأكيد ضرورة إعطاء ولاية الموصل للعراق[528]. إستغناء الصحافة الغربية بدورها الانتفاضة لترويج فكرة ضم الولاوية الى العراق[529] دفع كرد

---

[525] مقتبس في: الدكتور فاضل حسين, مشكلة الموصل, الطبعة الاولى, ص 155.

[526] المصدر نفسه, ص 313.

[527] إعداد "العالم العربي " و "الاستقلال"و "العراق" و المفيد "وغيرها طامخة بالاخبار والتعليقات والمقالات عن إنتفاضة العام 1925 في كردستان تركيا.

[528] ينظر على سبيل المثال في: "العراق" , "11 آب 1925.

[529] عن ذلك ينظر في: الدكتور فاضل حسين, مشكلة الموصل, الطبعة الاولى, ص 296.

تركيا ثمن موقفهم هذا غالياً, فقد عد مصطفى كمال إنتفاضة الشيخ سعيد طعنة بخلاء وجهت اليه من الخلف في واحدة من أحرج لحظات تأريخ نظامه, مما دفعه أن يصيب جام غضبه عليهم بعد أن كان أول زعيم ثوري يعترف بحق الكرد في الحكم الذاتي في كانون الثاني 1923, ورد نصه في وثيقة رسمية نشرت مجلة "نحو العام الفين" التركية صورتها في العام 1988[530]. لكن من سخرية القدر ان تحور هذه الحقيقة الى شماتة ساذجة متداولة على الالسن يوصم بها كرد العراق اليوم من أناس يقارنون "فردوسهم هنا بجحيم إخوتهم هناك مع إصرار عجيب على جهل مطبق بالتأريخ. ومن المفيد ان نشير بهذه المناسبة أيضاً الى أن مصطلح "أتراك الجبال" بدأ يظهر بين الاوساط الشوفينية التركية بعد إنتفاضة الكرد بقيادة الشيخ سعيد في العام 1925, هذا المصطلح الغريب عن روح العصر, والذي عير العديد من المؤلفين والمثقفين العرب الكرد به مراراً وتكراراً حتى الان, ولايستبعد أن يستمروا على ذلك حتى يوم الدين.

ولابد أن نشير أيضاً, ونحن بصدد معالجة هذا الموضوع إن إنتفاضة الشيخ سعيد أثارت حفيظة تركمان كركوك وتوابعها بقوة بحكم أعجابهم الشديد بمصطفى كمال أتاتورك بوصفه زعيماً وطنياً, كما اثار

---

[530]" 2000 Dogru Dergisi", Sayi 46,6.XI.1988,

الدكتور إبراهيم داقوقي, أكرد الدولة العثمانية, "المجلة التأريخية العربية للدراسات العثمانية", تونس, العدد الخامس والسادس فيفري 1992, ص 194.

اسلوب قمعها حفيظة كرد العراق بقوة, فتحول الامران الى أول عامل مؤثر سلباً على العلاقات الطيبة التي كانت تسود الطرفين الى ذلك الحين.

كان بوسع الشيخ محمود وأنصاره أن يثيروا في كردستان العراق إنتفاضة مشابهة لتلك التي شهدتها كردستان تركيا في أحرج أيام البت في مشكلة الموصل, إلا أن جهود الشيخ محمود إقتصرت على محاولات سلمية إستهدفت ضمان الحقوق القومية لكرد في ظل الظروف الذي إستجد نتيجة تدويل النزاع حول مصير ولاية الموصل, وقد سبق أن أشرنا الى مواقف الشيخ في هذا المضمار, ونضيف الى ماذكرناه بهذا الصدد ان الشيخ قادر, أخ الشيخ محمود, وعدداً منأبرز أعوان الشيخ كانوا من بين من إستجوبتهم لجنة التحقيق في السليمانية, فكانوا, حسب رواية شاهد عيان, "ممتلئين بروح النضال, فالامر بالنسبة لهم لم يكن قبولاً ذليلاً لاستجواب مفروض, ولا أجوبة سرية عن سؤال ثانوي (petite question), بل كان الأمر أخطر من هذا, فعقدوا العزم بجهرهم بسوء الحكم العثماني ورفضهم له في جلسة عامة للجنة.. أعلنوا فيها إصرارهم الا يخضعوا ثانية الى الاسياد الذين قاسوا منهم الامرين"[531] يقوم أدموندس موقف الشيخ محمود من تحقيقات اللجنة هكذا:

---

[531] C.J.Edmonds, Kurds,Turks and Arabs, P.413.

في الترجمة العربية: ص 369.

"كان الشيخ محمود أذكى, وأبعد نظراً من أن يظهر نفسه أثناء زيارة أعضاء اللجنة, فبقى بعيداً, وقرر هؤلاء من تلقاء أنفسهم إنه ليس من حسن اللياقة إستقدام ثائر علني ليقدم شهادة. هكذا إنتظر الشيخ حتى عادوا فواصل تكتيكه الحربي"[532].

ومن الضروري ان نشير هنا الى أن الشيخ محمود تبنى موقفه هذا في وقت أثارت فيه مشكلة الموصل موضوع بنود معاهدة سيڤر بالنسبة للقضية القومية الكردية. فقد أعاد مؤتمر نقابات العمال واللجنة الاستشارية في الشؤون الدولية لحزب العمال البريطاني الى الاذهان "إن بريطانيا وافقت على تأسيس دولة كردية بمعاهدة سيڤر"[533]. كما ان لجنة عصبة الامم نفسها لم تستطع ان تتجاهل بنود سيڤر بهذا الخصوص, مما يضفي بعداً خاصاً على موقف القوى القومية الكردية من مشكلة الموصل. أصنف الى ذلك ان الدعاية التركية كانت قوية, ومؤثرة هي الاخرى منذ بداية إثارة المشكلة[534], لكنها عجزت, مع ذلك, في التأثير على موقف الراي العام الكردي إلا في حدود.

---

[532] Ibid,P.422.

في الترجمة العربية: ص 376.

[533] مقتبس في: الدكتور فاضل حسين, مشكلة الموصل, الطبعة الاولى ص 246-247.

[534] " The Near East and India ", Vol.XXII,No.604, December 7,1922,P.723.

هكذا ادى الكرد, بمن فيهم كرد كركوك و توابعها, حاسماً من جميع الاوجه من أجل ضمان ضم ولاية الموصل الى العراق بدوافع مختلفة لم تكن مصلحتهم آخرها قطعاً. لكن ذلك لم يقدر حق قدرة. يقول أدموندس, الذي كان من اكثر الناس إطلاعاً على دقائق ذلك الموقف, وأهميته في حسم الصراع من أجل الموصل:

"ان زيارة اللجنة أعطت زخماً شديداً للشعور الوطني الكردي الذي جرف في طريقه عدداً كبيراً من المستائين الذين كان أكثرنا تفاؤلاً يتوقع وقوفهم الى جانب تركيا فأضا بهذا الشعور يدفعهم الى المعسكر المعادي للترك ان الاستجوابات الطويلة كادت كلها, وعلى حد سواء تكون ذات إتجاه قومي غلاب, لكنها لم تتخذ طابع الانفصال بصورة عامة.. وان كرد السليمانية وجهوا مايمكن وصفه بالضربة القاصمة في المعركة الدائرة للمحافظة على كيان العراق, وإنهم لعلى إدراك تام بما فعلوا, لكن ياترى هل ترتفع الحكومة العراقية الى مستوى الحدث فتتبنى سياسة كريمة, بعيدة النظر إزاء الكرد؟ ان التقرير اللجنة الخاصة التي عينتها الامم جاء الان مؤيد لاماني الكرد الذين.... أنقذوا البلاد من تجزأة فتالة يوقفتهم الخالدة في السليمانية.. ان قادة الراي العام الكردي غدوا هكذا في خيلاء جيد مع انفسهم ومع الدولة التي شعروا بانهم أثبتوا (لها) أنهم ليسوا مجرد مواطنين أذلاء"[535].

---

[535] C.J.Edmonds , Kurds, Turks and arabs,P.434.

في الترجمة العربية: ص 386.

حين نقوم موقف الكرد في الصراع التأريخي من أجل الموصل ينبغي أن نعيد الى الاذهان موقف القوى العربية في العراق تجاه حقوقهم المشروعة, الموقف الذي إتسم بروح شوفينية, وتجاهل مقيت حتى في ذلك الظرف العصيب. فان أياً من الاحزاب و الجمعيات والهيئات التي ظهرت يومذاك للدفاع عن حق العراق في ولاية الموصل لم تشر في برامجها, أو في صحافتها ونشاطاتها الى حقوق الكرد وقضيتهم بأي شكل كان على الرغم من إعترافها على مضض منها بان الكرد يؤلفون أكثرية سكان الولاية[536]. ولكن حتى بالنسبة للموضوع الاخير فان تلك الاوساط لم تتبن موقفاً موضوعياً. فعلى الرغم من الحماس الذي أبدته بالنسبة للمذكرة التي رفعتها "الجمعية الكردية" الى عصبة الامم, كما سبق أن نوهنا الى ذلك, إلا أنها أبدت إعتراضاً على الارقام الاحصائية التي وردت في المذكرة بالنسبة لعدد الكرد في الولاية, مع العلم أن الجمعية أستقت معلوماتها من السالنامات العثمانية. كما أن الرقم الذي ذكرته بالنسبة للكرد (450 ألف) كان أقل من الرقم الوارد في سجلات إحصاء النفوس العراقية لسنة 1922-1924 وهو 494007, فيما أن الرقم الذي ذكرته الجمعية بالنسبة للعرب (180ألف) كان أكثر من الرقم الوارد

---

[536] عن مناهجها ونشاطاتها ينظر في: عبدالرزاق الحسين, تأريخ الاحزاب السياسية العراقيةو ص70-86, الدكتور فاروق صالح العمر, الاحزاب السياسية في العراق 1921-1932, بغداد, 1978, ص 134-135, 141-155, "تقرير حزب الامة عن قضية الموصل".

بالنسبة للعرب في الاحصاء نفسه وهو (166941). ومن الضروري أن نشير بالمناسبة الى أن لجنة عصبة الامم عدت الارقام الواردة في سجلات إحصاء النفوس العراقية لسنة 1922-1924 الادق, والافضل من بين جميع الارقام الاحصائية المقدمة لها من الاطراف المتنازعة, أو المذكورة في المصادر والمراجع المختلفة. مع ذلك فان "حزب الامة" حين نشر مذكرة الجمعية الكردية ضمن تقريره عن القضية الموصل سجلت عبارة يقول نصها "وهذا الاحصاء لايعتمد به حزب الامة" بعد المعلومات الاحصائية التي سجلتها الجمعية في مذكرتها مباشرة[537].

حذت صحيفة "الاستقلال" حذو "حزب الامة" تماماً[538] بل أنها تمادت في موقفها الشوفيني بصورة من الصعب تصديقها نظراً لحراجة الموقف يومذاك, والحاجة الملحة الى جلب عواطف الكرد, وضمان تأييدهم لا إثارة حفيظتهم بصورة فظة, ؟؟؟ بعيد عن أبسط قواعد الموضوعية, أو الذوق على أقل تقدير ففي عددها المرقم 604 كتبت تقول:

"وليس سكان كردستان أمة, بل هم مجموعة قبائل فلغتهم غير موجودة, وكل قبيلة منهم تتكلم لهجة مختلفة".

قالت "الاستقلال" ماهو أمر من ذلك وأدهى, فقد تحدث بلغة الطورانيين ومنطقهم تماماً, وفي ذلك وجه من الغرابة يعجز الباحث

---

[537] "تقرير حزب الامة عن القضية الموصل", ملحق رقم 1, ص:ب.

[538] "الاستقلال", العدد 556, 8شباط 1925, ص 3.

عن إيجاد أي تفسير منطقي له حتى فيما لو نظرنا إليه من زاوية التعالي الشوفيني الذي يسيطر على عقلية القوميين المتعصبين. تساءلت "الاستقلال" "هل في كردستان قومية كردية حقيقية؟", وأجابت : "لانستطيع أن نرد على هذا السوءال بما يقرب من الحقيقة إذا إقتصرنا على أقوال سكان الاستانة فأن الكرد المقيمين فيها أصبحوا تركاً, ونسوا جنسيتهم الاصلية وكذلك كثير من المشايخ الذين تغلبت العصبية الدينية فيهم على العصبية القومية, فلايريدون أن يعرفوا أنفسهم الا تركاً.."[539].

تبدو أبعاد هذه الصورة القاتمة بصورة اوضح إذا علمنا إن الاعضاء المجلس التأسيسي لم يتحملوا المذكرة المعتدلة للغاية التي قدمها ممثلوا كركوك و أربيل الى المجلس اثناء مناقشة مشكلة الموصل, والتي سبقت الاشارة اليها أيضاً, بحيث إضطر محمد شريف وهو أحد الموقعين علىالمذكرة, الى تقديم توضيح هذا نصه الذي تبدو فيه صورة الموقف بشكل جلي وواضح:

"أقول بكل صراحة إننا أبناء العراق الشمالي, أعني الاكراد, لانريد الانفصال عن العراق بوجه من الوجوه لان الاكراد لايعيشون بدون العراق قطعاً, ولكننا مع ذلك لانتنازل عن طلب مايضمن لنا حقوق الاقلية من الميزة الادارية وفق ماجاء في المادة الثالثة من المعاهدة

---

[539] المصدر نفسه, جياووك الكردي, القضية الكردية, ص 67-82.

العراقية-البريطانية[540], وهذا الموقف الحرج هو الذي دعانا الى ان نرفع الى الرئيس المحترم تقريراً نذكر فيه موقفنا تجاه المعاهدة مع بيان أسبابه الموجبة, فزجو من رفقائنا الكرام ان لايداخلهم الريبة في وطنيتنا, وأن لايحملوا ماتلي عليهم في التقرير على محمل ينافي حسننيتنا مادمنا لم تخرج في هذا التقرير عن الحدود القانونية"[541].

على الرغم من ذلك إضطر مندوب أربيل داود الحيدري أخيراً الى سحب المذكرة باسم الموقعين عليها, مع العلم أنها كانت تدعو بالاساس الى تأجيل البت في المعاهدة العراقية-البريطانية الى أن يتم تحديد مصير ولاية الموصل, الشعار الذي رفعته الكرد لانهم ربطوا معه مطلباً متواضعاً يتعلق بجزء قليل من حقوقهم المشرقعة[542].

لم يمض سوى وقت قصير عاى ماحدث داخل المجلس التأسيسي حتى عهد تأليف الوزارة الجديدة الى ياسين الهاشمي في الثاني من اب 1924, ليتزامن مع عهده الذي إستمر حتى الحادي والعشرين من حزيران 1925, أهم وادق مراحل مشكلة الموصل مما كان يتطلب, دون

---

[540] يقول نص المادة الثالثة من المعاهدة بهذا الخصوص: "يوافق جلالة ملك العراق على ان ينظم قانوناً أساسياً ليعرض على المجلس التأسيسي العراقي, ويكفل تنفيذ هذا القانون الذي يجب أن .. يأخذ بعين الاعتبار حقوق ورغائب ومصالح جميع السكان القاطنين في العراق, ويكفل للجميع حرية الوجدان التامة ...".

[541] "مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي", ص 343-344.

[542] المصدر نفسه, ص 342-344, 354, 425, 430, 433-434.

ريب, تبني سياسة مرنة تجاه الكرد على الاقل من منظور تكتيكي صرف. وقد أعلنت الوزارة في منهاجها الذي أذاعته يوم الثامن من شهر اب سنة 1924 أنها تتخذ بصورة خاصة "التدابير المناسبة لرفاه وراحة سكان منطقة السليمانية, وتخفيف ما اصابهم من الالام والاضرار بسبب القلاقل". نشرت جميع صحف العاصمة نص هذا الوعد الصريح, بما في ذلك صحيفة "الاستقلال"[543]. هنا ندع التعليق على ماجرى للمتخصص الاول في تأريخ حياة ياسن الهاشمي ودوره في السياس العراقية الدكتور سامي عبدالحافظ القيسي الذي يقول مانصه بهذا الخصوص في "دراسة وثائقية حصل على درجة الماجستير بتقدير ممتاز في تأريخ العراق الحديث من جامعة بغداد":

"لما تسلم ياسين الهاشمي الحكم في 2آب 1924 كان الوضع في كردستان خطيراً جداً, ولاحظ ان هناك أستياءً عاماً لدى الراي العام العربي في العراق جراء تدهور الاوضاع في شمال العراق تناولته الصحافة من وجهات نظر متعددة, إلا إنها كانت متفقة على ضرورة وصنع حد له. وقد اراد ياسن الهاشمي الاستفادة من رغبة الرأي العام هذه, فبينما في مناهجه الوزاري تعزيزاً لمكانة الوزارة في الاوساط الشعبية, إذ وعد الشعب بعد ستة أيام من تبوئه كرسي الوزارة بانه سيتخذ التدابير المناسبة لرفاه وراحة سكان منطقة السليمانية, وتخفيف ما أصابهم من الالام والاضرار بسبب القلاقل, الا أنه:

---

[543] " الاستقلال ", العدد 417, 8آب 1924.

لم يكن مخلصاً في وعده حيث سار على سنة الوزارات التي سبقته بأستخدام العنف والقمع في علاج هذه المشكلة, ولعله كان أشد من غير في هذا الامر بحكم مسؤوليته كوزير للدفاع, إضافة الى رئاسة الوزارة. فقد شنت وزارته خلال الفترة الواقعة بين 20 و 30 آب 1924 سلسلة متواصلة من الحملات العسكرية ضد قوات الثورة الكردية, وأعقب عمليات جوية مركزة قام بها سلاح الجو البريطاني خلال النصف الاول من شهر أيلول 1924"[544].

إن هذه التعقيب يغني عن الخوض في تفصيلات الموضوع, ولكن من المفيد ان نشير الى ان ياسن الهاشمي نفسه لم يكن من أصل عربي رغم إدعاءات أسرته[545], وان وزارته ضمت عنصراً مثقفاً, مخلصاً من الطراز الاول هو محمد رضا الشبيبي الذي عرف بميوله الديمقراطية, ومنطقه الوطني, وجرأته النادرة, إلا أنه سكت مع ذلك, سكوت من في القبور بالنسبة لما جرى للكرد فقط طوال وجوده في الوزارة الهاشمية الاولى[546], في حين إنه إستقل من

---

[544] سامي عبدالحافظ القيسي, ياسين الهاشمي و دوره في السياسة العراقية بين عامي 1922-1936, البصرة, ص 277-279.

[545] للتفصيل عن ذلك ينظر في: المصدر نفسه, ص 21-23, " العراق في الوثائق البريطانية سنة 1936 ", ص 78-79, مقابلة مه محمد جميل الروژبياني بتأريخ 14 تموز 1994, مقابلة مع اللواء المتقاعد فؤاد عارف بتأريخ 22 تموز 1994.

[546] أشرف مؤلف هذه الدراسة على رسالة ماجستير و أطروحة دكتوراه محمد رضا الشبيبي, أعدهما الدكتور علي عبد شناوة, وقد طبعت الاولى في لندن سنة 1995, والثانية في بغداد سنة 2003.

منصبه إحتجاجاً على منح الوزارة اول إمتياز للنفط في العراق للشركات الاجنبية, وهو موقف يدل دون شك, على الاخلاص والجرأة والتضحية أيضاً لانه في وضع مالي صحب عندما قدمت إستقالته من الوزارة.

مست هذه المواقف عواطف الوطنيين الكرد, ومشاعرهم في الصميم, حتى إن معروف جياوك, الذي قلنا عنه قبل قليل إنه كان من أشد المتحمسين للاسلام, وللاخوة العربية-الكردية والذي دافع عن حق العراق في ولاية الموصل بحماس منقطع النظير في سلسلة مقالات عدت صحيفة "المفيد" البغدادية ما ورد فيها أمراً "يفيد البلاد, ويوطد دعائم الألفة بين جماعات وطوائفها وأفرادها", قرر "ترك السياسة والكتابة منذ مدة لاشتداد لهجة متطرفي العرب تجاه العناصر, لاسيما العنصر الكردي", وقد علقت "المفيد" على ذلك بالقول:؟ نحن نؤكد لجياوك[547], ولكل فضلاء قومه بأن الامة العربية التي رأت كيف تمزقت تركيا من جراء الضغط على عناصرها, وأجناسها لايمكن أن تنسى هاتيك الصبر والدروس البليغة.. ونحن لانسمي الذين إشتدت لهجتهم ضد العناصر, إن صح ذلك, وهو بعيد, بالمتطرفين, بل نوصمهم بالخيانة والمروق عن الوحدة والخروج على الجامعة الوطنية, ومحال أن يكون أولئك, إ، كان لهم أثر, عرباً, بل وهم أعداء للعرب, يريدون أن يحفروا بدسائسهم لهذه البلاد الناشطة الى؟؟ عزها الغابر, ومجدها الدائر, قبراً يلقونها وإستقلالها وأمانيها

---

[547] في النص: له.

فيه"[548]. ولكن للاسف الشديد قل من كان يفكر بمثل هذا المنطق السليم في صفوف القوميين العرب العراقيين يومذاك, وندر عددهم بعد ذلك ندرة الماء في الصحراء.

إنتهت اللجنة التي ألفتها عصبة الامم للبت في مشكلة الموصل من إعداد تقريرها التأريخي في اواسط تموز سنة 1925, فقد ؟؟ الى مجلس العصبة, كما وزعته على الصحافة العالمية. ان اللجنة بعد أن درست المشكلة من جميع أوجهها بعمق أكدت في تقريرها إن الحجج الاساسية, ولاسيما الاقتصادية والجغرافية وعواطف أكثرية السكان تميل لتأكييد ضم الولاية الى العراق, ولكن بشرطين أساسيين, الاول منهما أن تبقى "هذه الاراضي" تحت الانتداب البريطاني لمدة خمس وعشرين سنة "لضمان الاستقرار فيها", والثاني أن تؤخذ رغبات الاكراد بنظر الاعتبار[549], الشرطان اللذان أكدهما مجلس العصبة عندما إتخذ قراره الذي يقضي بضم الولاية الى العراق في السادس عشر من كانون الاول من العام نفسه, ليتحول ذلك الى وثيقة دولية جديدة ملزمة بالنسبة لحقوق الكرد القومية في العراق, بما في ذلك كرد كركوك وتوابعها.

---

[548] "المفيد", العدد 165, 8آب 1925, جياووك الكردي, القضية الكردية, ص26-30.

[549]" League of Nations.Question of the frontier between Turkey and Iraq ", PP.88-89.

أعلنت الحكومتان البريطانية و العراقية رسمياً عن إلتزامهما بالشرط المذكورين بصورة مطلقة[550]. فبالنسبة للشرط المتعلق بحقوق الكرد أعدت السلطات البريطانية في العراق بالتعاون مع السلطات المحلية مذكرة خاصة تضمنت حقائق معينة عن إدارة المناطق الكردية مع نص خطاب رئيس الوزراء أمام مجلس النواب في احادي والعشرين من كانون الثاني 1926, الذي أكد فيه ضرورة منح الكرد حقوقهم القومية, ألحقتها بالمذكرة التي قدمتها للعصبة بخصوص تمديد المعاهدة العراقية-البريطانية[551]. في ضوء ذلك وافق مجلس العصبة يوم الحادي عشر من آذار 1926 على مشروع قرار جديد يعلن فيه "ان قراره المؤرخ في السادس عشر من كانون الاول 1925 أصبح نهائياً" . أرسل الكجلس, في الوقت نفسه, المذكرة البريطانية المتعلقة بأدارة المناطق الكردية الى لجنة الانتداب التابعة للعصبة لمراقبة تنفيذ التعهدات المتعلقة بحقوق الكرد القومية في العراق, الموضوع الذي غدا يؤلف ركناً أساسياً في التقارير اللاحقة التي كانت الحكومة البريطانية تقدمها الى عصبة الامم عن سير

---

[550] Surrey of International Affairs,1925',PP. 520-521.

[551] League of Nations.Frontierbetween Turkey and Iraq.Treocty between Great Britain and Iraq signed at Baghdad on January 13th 1926', Genera,1926

الادارة في العراق, وبقيت كركوك تحتل نفس موقعها السابق في ذلك الركن المخصص للقضية الكردية[552].

بينا ان "عواطف أكثرية سكان" ولاية الموصل كانت تؤلف أحد أهم العوامل الحاسمة في تقرير مصير الولاية لصالح العراق, وأشرنا ضمن المبحث العديد من الحقائق التي تبين إن تلك الحقيقة تنطبق بالدرجة الاولى على كرد الولاية, بضمنهم كرد كركوك و توابعها. ومن أجل أن تبدو هذه الحقيقة في إطارها الواقعي المقنع نضيف الى ما ذكرناه حتى الان من شواهد حقيقة مهمة أخرى هي إن لجنة العصبة "قد فوجئت إذ وجدت إن عدد العرب المؤيدين لتركيا (في الموصل) كبير- فمن بين 188 شاهداً أيد 53 تركيا و 102 العراق.."[553].

كان من المفروض أن يتحول هذا الموقف الى دفع قوي, وثابت لحل مشكلة الكردية في العراق على أسس ديمقراطية بأتجاه "يؤثر على بقية الكرد" و يفضي الى "ضمان تحقيق السلام في هذا الجزء من العالم" كما تمنى ذلك أحد أعضاء مجلس العموم البريطاني[554]. لكن ذلك لم يحدث للاسف, الأمر الذي نلاحظ بعض جوانبه من خلال

---

[552] ينظر على سبيل المثال موضوع الاكراد في: " Special Report by His Majesty's Government… to the Counicl of the League of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931 ",PP.251-266.

[553] الدكتور فاضل حسين, مشكلة الموصل, الطبعة الاولى, ص 122.

[554]" The Parliamentary Debates.The House of Commons ", Officio Report, Fifth Series,Vol.189, 1924-1925,Col.2102.

التطـرق الىالتطـورات السياسـية في المنطقـة الكرديـة بعـد حـل مشـكلة الموصل, وفي إطار علاقتها الجدلية بكركوك وتوابعها.

E-Pirtûk
www.kurdme.com
www.all-kurd.com
www.kurdefrin.com